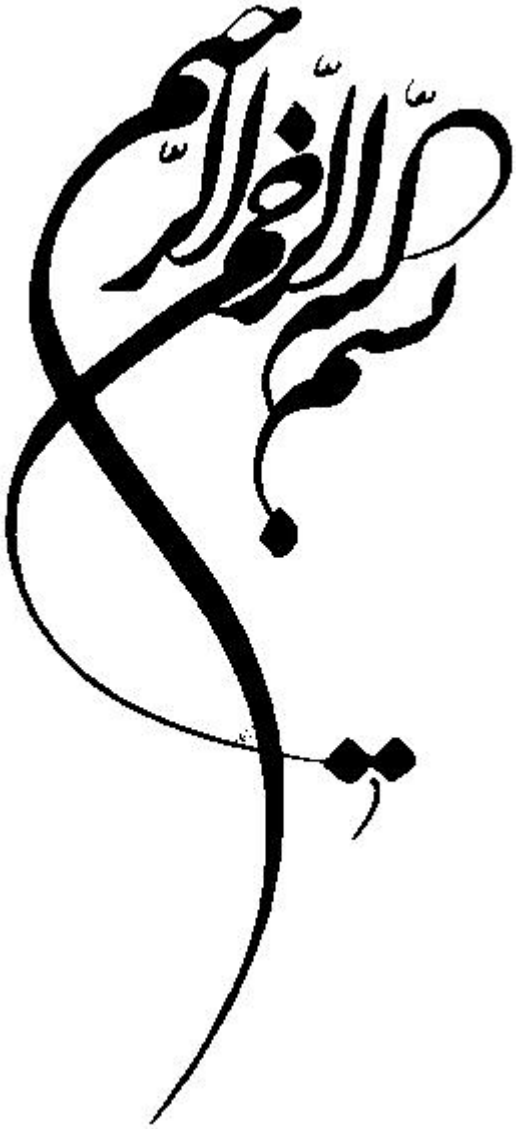
بسم الله الرحمن الرحیم

نظام العشره فی المنظور الاسلامی

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 1

تمهید

إنّ نظام العِشرة قد شغل حيزاً واسعاً ومتميزاً في الكتاب والسنة وكذلك في تراث آل البيت عليهم السلام الذي يعد امتداداً طبيعياً لهما، إن هذا الاهتمام ينشأ من ان الاسلام دين اجتماعي يسعى جاهداً لتعزيز الأواصر الاجتماعية، وذلك منذ بزوغ فجر تاريخه المجيد.

وهناك دافع آخر للاهتمام بالعشرة في تاريخ أتباع آل البيت عليهم السلام حيث يعد سبباً اضافياً للعناية بهذا النظام، وهو المضايقات التي كانت تفرضها السلطات المتعاقبة على سدّة الحكم حين ذاك لمحاربه أتباع آل البيت عليهم السلام للقضاء عليهم وفك شملهم وتشر ذمهم؛ إن هذا السبب أدى إلى أن يتخذ أئمة البيت النبوي عليهم السلام اجراءات وقائية تحول دون انهيار التماسك القائم آنئذ بين أطراف الجماعة المؤمنة من شيعتهم، ومن خلال ذلك قد تمكن الأئمة من احتواء الأزمة المستفحلة التي كادت تعصف بتماسك الجماعة لشدة ما كانت تمارسه السلطات الطاغية يومها من ممارسات تعسفية واجرامية بحقها.

في ظل هذه الممارسات تبلور نظام نوعي ومتكامل في العِشرة لا تجد له نظيراً في النُظم الاجتماعية الاخرى على الاطلاق وبذلك يأخذ نظام العِشرة في تاريخ أتباع آل البيت عليهم السلام طابعاً سياسياً معارضاً يمثل جانباً آخر من الخصائص التي ينفرد بها هذا النظام الرباني الجليل.

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 8

ومن ثَمَّ يكتسب هذا الكتاب أهمية مضاعفة في معالجاته لنظام العِشرة فهو لم يصور نظاماً في بناء العلاقات فحسب بل يعرض نظاماً متكاملًا ذا أبعاد تاريخية غفل عنها الكثير من الذين كانت لهم اهتمامات بهذا المرفق الحيوي.

وأما صاحب هذا العمل فهو سماحة الشيخ الفاضل حسين أنصاريان وهو من الذين نهلوا من معين تراث آل البيت عليهم السلام الصافي العذب حتى ارتوى، وقد انعكس ذلك في نتاجاته ومحاضراته.

إن الاستاذ أنصاريان يعد كاتباً قديراً يتمثل الأسلوب السلسل المبسط بعيداً عن التكلف والرطانة؛ والتجارب برهنت على أن الخطيب البارع يصلح لأن يكون كاتباً بارعاً أيضاً كما نشهد ذلك في الأديب الايراني الذائع الصيت سعدي الشيرازي.

وأما كتاب العِشرة هذا فله قصة، حيث أنّه كان محاضرات لسماحة الشيخ أنصاريان؛ وبما أن الفاصل بين المحاضرة والكتابة بعيد أراد فضيلته أن يختصر المسافة ليقترب الاسلوب من أسلوب الكتابة ولتحقيق هذا الغرض دُعيْت شخصيّاً للعمل على هذه المحاضرات لتحقيقها وترتيبها وتبويبها فشمرت عن ساعد الجد حتى انجزت العمل بتوفيق اللّه وعظيم عنايته وقد ساعدني في ذلك الأخ الشيخ محمّد جواد صابريان فالشكر له موصول.

وبعد الانتهاء من العمل إرتأى سماحته أن يترجم الكتاب إلى العربية لتعمَّ به الفائدة، وفي هذه المرحلة أيضاً أُوكِلت مهمة الترجمة إليّ

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 9

لأخوض تجربة ثانية مع الكتاب وإن طال بها الأمد.

في عملية المخاض هذه ولأجل ولادة الكتاب ثانية أعانني الشاب السيّد منتظر الغالبي في ترجمة فصل أو أكثر من الفصول الأخيرة فأشكره على مساعدته وأدعو له بالتوفيق وحسن العاقبة.

وآخر دعوانا أن الحمد للّهربّ العالمين

آ. مرداني پور

(أكرم النعماني)

7 شوال 1430 الهجرية

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 10

إن قضية الجذب والانجذاب والتأثير والتاثر، حقيقة تسود- تقريباً- جميع ميادين الوجود وتحكم جميع الكائنات وكافة الذرات.

لو لم يكن هذا الواقع سارياً في نظام الكون، لم يحصل تركيب قط ولانعدمت نسبة عالية من الآثار والمنافع التي تفرز من الكائنات حالياً في العالم.

إن الشمس بطاقتها، تؤثر على الأرض والأرض بتأثرها من الشمس وبمساعدة عوامل أخرى، تنتج الأشجار والحبوب والنباتات والورود والمعادن والاشياء الثمينة الخ... ولو لم تتوفر قابلية التأثر في التراب لم يكن شيء من هذه الكائنات المتنوعة والمتلونة موجوداً.

إن الأطعمة والأدوية وأنواع الألبسة والماء والهواء والحر والبرد، لها آثار شتّى تتقبلها الكائنات الحية وتركبها مع وجودها ومن هذا الطريق تواصل نموها وتطورها المادي فتستمر بحياتها.

إن الانسان من بين الكائنات في الوجود يتمتع بقابلية فائقة في التأثير والتأثر بحيث يتوفر بذلك على سعادته أو شقاوته الابديتين.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 11

إن الانسان الذي ينقل الاثار الايجابية والحقائق التربوية والارشادية والعلمية منه الى الآخر وعبر ذلك يؤثر في الآخر، فقطعاً ويقيناً يضمن ازاء اسداء هذه الخدمة العظيمة، سعادته في الدنيا والآخرة، والانسان الذي يتقبل التأثير من هذا النبع الفياض ويتحلى بالأوصاف التربوية والارشادية والعملية، دونما شك سيضمن سعادته الدنيوية والاخروية أيضاً.

إن العِشرة الصادقة والألفة والصحبة، من جملة الأمور التي لها دور فاعل وقوي في التأثير المتبادل بحيث قلما نجد شيئاً يبلغ مستواها في مسرح الحياة الانسانية.

إن مقولة العِشرة والصداقة لو تحققت بطريقة ايجابية وفي محلها مع الأخذ بالشروط اللازمة، فستوفر- من غير شك- سعادة ابدية واذا ما حصلت بطريقة سلبية وفي غير موضعها ومن دون الاعتداد بشروطها، فستكون من دون شك سبباً للشقاء الدائم.

ان الانسان الذي يستمتع بكامل وجوده بؤلفة الآخرين وعشرتهم وصداقتهم، اذا ما أقام الصداقة والصحبة مع أشخاص ايجابيين ومؤمنين وصلحاء ومتصفين بخصال حسنة، ووقورين، أجلاء، اصحاب ثبات وبصيرة ووعي، فانه سيتأثر بطبائع هؤلاء الأصدقاء الايجابية فيصير مثلهم- واحياناً يكون أعلى منهم- وهم أيضاً يتأثرون به.

واذا ما عاشر الأشخاص السلبيين الساقطين الآثمين، رواد الشر، الملوثين بالرذائل، الغير مؤدبين، البلداء البلهاء، فسيتأثر أيضاً به سجايا

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 12

هؤلاء الأصدقاء السلبية فيصبح مثلهم- أو أسوء وأكثر انحطاطاً منهم-.

ان الدين الاسلامي بسبب التأثير المتبادل للعشرة والصداقة فتح في الآيات والروايات سجلًا خاصاً لهذه الحقيقة ولآثارها الايجابية والسلبية، فانه ارشد الى العِشرة الايجابية البناءة وردع عن العِشرة السلبية الهدامة، واعتبر العِشرة الصحيحة والصداقة مع النظيفين الطاهرين سبباً لعمران الدنيا وفلاح الآخرة كما انّه عدّ الصحبة المنحرفة والعِشرة المغلوطة وصداقة الملوثين الفاقدين للأدب المتصفين بالأوصاف الحيوانية، سبباً لخراب الدنيا وخسران الآخرة.

ان العمل الذي بين يدي القارئ الكريم هو جملة بحوث كتبت بتوفيق من الباري- جلّ وعلا- ولطف منه، عن العِشرة من منظور اسلامي ووفق الآيات والروايات وقد بحثت- جهد الامكان- كافة جوانب هذه الحقيقة؛ ومن باب الضرورة ولأجل الأهمية والآثار الايجابية، اشرت إلى أشياء أخرى تتناسب والمباحث التي وردت ثنايا هذا العمل.

15/ 4/ 1384 هـ. ش الفقير إلى اللّه سبحانه حسين انصاريان

بسمه تعالى كلمة الناشر

ان الحديث عن حقيقة مصيرية في مراحل حياة الانسان وهي العِشرة التي يحتاج اليها كل انسان ويرتبط بها في كل لحظة من لحظات حياته- شعر أو لم يشعر- حيث أن الانتباه اليها يتؤدّي إلى اسعاد الانسان في دنياه وآخرته واللامبالاة منها تستتبع خسراناً حقيقياً في كلا الدارين.

إن العِشرة والصحبة موضع حاجة الناس حقاً، شيوخاً وشباباً، صغاراً وكباراً في أيّ مجتمع كانوا وهي بالتالي تدفع الانسان إلى حقائق ربانية وتقوده نحو علاقات صحيحة وسليمة وتأخذ بيده نحو العمران والأستقرار الجسمي والنفسي، واذا ما نبعت من دوافع شهوانية ومادية وغرائز غير نظيفة، ستؤدّي في نهاية الأمر إلى التلوث والرجس والفساد والوقوع في شَرَكِ أولياء الشيطان وأعداء الانسان.

إن عالم اليوم المتأزم والمنفصل عن الجماليات الحقيقية لعالم الكون والفاقد للأنس، يعي جيداً- وإن لم يتفوه بهذه الحقيقة لأجل مصالح دنيوية- بأنّ الطريق الوحيد للوصول الى الأمن الكامل وإلى ردع الفساد والفحشاء والمنكرات، هو استيعاب المعارف الالهية الحقيقية التي تعد

علاجاً لشتى أنواع أمراض المجتمع الانساني ودواءً للجراح الملتهبة لمختلف الشعوب في ظلال العِشرة والصحبة مع الشخصيات المرتبطة بمصدر الكمالات أو من يليهم في الدرجة والمكانة أو من كان من الصالحين أو الأولياء الربانيين الذين لم يخترقوا الحدود والخطوط الالهية المنقادين لأوامر اللّه سبحانه ونواهيه.

هذا العمل الذي نتج عن يراع المفكر الفذ والعالم المحقق آية اللّه الشيخ الأستاذ حسين أنصاريان- دام ظله العالي- عنى بدراسة الابعاد المتنوعة لمسألة العِشرة ومكانتها الخاصة في نظام الكون والحياة وعَرِف بجلاء الصالح من الطالح والمثل العليا في العِشرة وأبان الواجب العظيم للمرشدين وبذلك بحث موضوع العِشرة من زوايا مختلفة في دراسة حرة وشاملة.

نطمح أن يكون هذا العمل باباً مشرعةً للباحثين لأجل الورود إلى ذخائر المعارف الالهية والاخلاق العملية ولجمهور القراء مائدة عمارة بغية تمثل أوامر أئمة أهل البيت عليهم السلام البناءة المختصة بهذه الحقيقة التي هي في غاية الأهمية.

مركز دار العرفان العلمي- البحثي قسم الدراسات

الاسلام

منهاج خالد وكامل

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 17

الاسلام منهاج خالد وكامل

إن الاسلام الذي هو مجموعة من المعتقدات الصحيحة والسلوك المحمودة والاخلاق الحسنة والأحكام الرصينة ونظام من الأوامر والنواهي، كان دين اللّه من بدء الخليقة وسيبقى دين اللّه إلى نهايتها.

إن قواعد وقوانين هذا الدين كانت في كل عصر تهبط على قلوب الأنبياء المباركة متناسبة وحاجات الانسان وكان هؤلاء الابرار يعرضون تلك القوانين على الناس لارشادهم.

إنّ الدين من ناحية عرض القوانين وتبيان الحلال والحرام والكشف عن الحقائق، بلغ ذروته وذلك في غدير خم عند ما نُصِّبَ الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام بإمرة المؤمنين وبالولاية على الناس ولقيادتهم وإدارة شؤونهم، فمن جهة عرض القوانين الالهية وبيان الحرام والحلال، بلغ الدين ذروة الكمال وبه استغنا الناس إلى قيام الساعة من بعث الأنبياء وانزال الكتب والاتيان

بدين جديد بديلًا للاسلام فجعل البشرية في جوار حقيقة خالدة وهداهم إلى واقع فاعل يتسعان بهما للاستجابة إلى مختلف متطلبات القوانين المادية والروحية.

قال جلّ من قائل:

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 18

[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً] «1».

وقال الامام محمد الباقر عليه السلام:

وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل اللَّه عزّوجلّ: [

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً] «2». «3» وعن جعفر بن محمد الخزاعي عن أبيه قال: سمعت أبا عبداللَّه عليه السلام يقول:

لما نزل رسول اللَّه عرفات يوم الجمعة أتاه جبرئيل فقال له: يا محمد إن اللَّه يقرئك السلام ويقول لك: قل لأمّتك: اليوم أكملت لكم دينكم بولاية علي بن أبي طالب وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ولست أُنْزِل عليكم بعد هذا، قد انزلت عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج وهي الخامسة ولست اقبل هذه الأربعة إلّابها «4».

يجب التنبيه بهذه الحقيقة بأنّ جميع أقوال النبي صلى الله عليه و آله والأئمة من آله عليهم السلام التي وردت في المصادر المعتبرة القيمة بوصفها روايات المعتَمدين من الرواة وأحاديثهم، ما هي الا موضّحات و مفسرات للواجبات الالهية والآيات القرآنية التي صدرت عن ينابيع العلم والمعرفة

---

(1)- المائدة (5): 3.

(2)- المائدة (5): 3.

(3)- الكافي: 1/ 289، باب ما نص اللَّه عزّوجلّ ورسوله صلى الله عليه و آله، حديث 4.

(4)- تفسير العياشي: 1/ 293، ح 21؛ بحار الأنوار: 37/ 1، باب 52، ح 28.

وأصحاب البصيرة والنظرة الثاقبة وفق الظروف الزمانية القائمة والحاجات الانسانية الماسة.

إن الانسان الذي يراد منه العقائد الصائبة والأخلاق الحسنة والأفعال الفاضلة وهو الذي يعني في باطنه وذاته، انقياد الانسان المطلق لأوامر اللَّه سبحانه وارادته؛ عند ما يتجلى في مظهر الاعتقاد والايمان والاخلاق والعمل في جميع مجالات الحياة المادية والروحية للانسان، يصبح الانسان حينئذ في دائرة الاسلام بالمعنى الصحيح للكلمة لهذا السبب تُضْمن سعادة الانسان في الدنيا والآخرة.

إن حالة التسليم الكامل أمام ارادة الباري- جلّ وعلا- هي حالة طلبها الأنبياء والأولياء منه سبحانه في منتهى الاستغاثة والتضرع.

إن ابراهيم واسماعيل بعد بناء الكعبة رفعا أيديهما بالدعاء نحو المحبوب داعيين:

[رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ] «1».

ويعقوب عند الوصية يخاطب أولاده جميعاً فيقول:

[فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] «2».

ويوسف الصديق هكذا يطلب من رب الأرباب:

[تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] «3».

---

(1)- البقرة (2): 128.

(2)- البقرة (2): 132.

(3)- يوسف (12): 101.

الاسلام هو الدين المرضي دون غيره

إن الثقافة الوحيدة القادرة على تنمية الانسان نمواً متزناً في جميع الميادين المادية والروحية والقادرة على تشييد كيانه الانساني بحيث يكون مصدراً للكمالات والبركات والمنافع، هي الثقافة الاسلامية.

إن الاسلام هو التسليم امام اللّه والعمل بأوامره سبحانه، وبه تصبح حياة الانسان «حياة طيبة» في الدنيا و «عيشة راضية» في الاخرة، وبما انّه لا وجود لثقافة تضاهي الاسلام شمولًا وقدرة في عملية البناء، اتخذ الباري سبحانه الاسلام دين الانسان ومنهجه واعتبر ما يغاير ثقافة الاسلام مرفوضاً.

وكما ان اللّه الرؤوف الرحيم اختار الاسلام الدين المفضل عنده للانسان في الدنيا، لم يرتض من عباده ديناً غيره وقت قيام الساعة.

يقول سبحانه- جل من قائل- عن الثقافة المختارة عنده في الدنيا:

[رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً] «1».

وفي اهتمامه بالاسلام في العالم الآخر يقول جل وعلا:

[وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ] «2».

إن هذه الثقافة النظيفة التي هي التسليم في الباطن والعمل بأوامر اللّه الحق في الظاهر، لا تختص بالانسان بل انها في مرحلة تكوينها تشمل جميع الكائنات في مسرح الوجود.

---

(1)- المائدة (5): 3.

(2)- آل عمران (3): 85.

في ذلك يقول الكتاب العزيز:

[وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَ الْمَلائِكَةُ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ] «1».

وفي آية أخرى يقول:

[وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ] «2».

وعلى أية حال، إن الاسلام في مرحلة التكوين هو دين كافة الكائنات وفي مرحلة التشريع هو الثقافة المفضلة عند اللّه سبحانه للانسان.

إن النظام المتقن والراسخ الذي يسود الوجود وكائناته، هو حصيلة الاسلام التكويني.

والانسان إذا ما أراد أن يتماشى مع كافة الكائنات ويتمتع بنظام قويم ثابت، عليه أن ينصاع إلى الاسلام التشريعي الذي تمثل في القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه و آله وأخبار أهل البيت عليهم السلام وأن يستجيب لجميع الحاجات المادية والمعنوية في ظل الايمان بالاسلام والعمل بقوانينه وبذلك يتمكن من أن يضمن سعادته الأبدية وخير دنياه واخرته.

عناية الاسلام بالعشرة

إن الاسلام يحتوي على مسائل شتى من عباديّة وفرديّة وأُسريّة ومن اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة، لذلك عرّفه القرآن الكريم

---

(1)- نحل (16): 49.

(2)- الرحمن (55): 6.

بوصفه ديناً كاملًا؛ وتأسيساً على ذلك اهتم الاسلام بقضية العِشرة التي هي موضع حاجة بين بني الانسان اجمع، اهتماماً خاصاً وقدّم أولى وأفضل الارشادات والتوجيهات في تبيين النمط الصحيح للعشرة سواء في العِشرة الباطنية مع الأنبياء والأئمّة

والأولياء عند غيبتهم عن الانظار، أو العِشرة مع الزوجة والأولاد والآباء والأمهات والأرحام والأقرباء؛ كما أنّه قد سن قوانين لو أنّ الناس في كافة مجالات العِشرة التزموا بها، لظموا في هذه المرحلة العاطفية الحساسة عنقاء السعادة إلى صدورهم ولجلسوا على مائدة العِشرة الصحيحة وذاقوا لذة الصحبة الدائمة ولفازوا بسد جانب من حاجاتهم وحاجات من صاحبهم المادية والروحية.

مكانة العِشرة

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 25

العِشرة هي التناسق مع نظام الخليقة

مهما يكن من شيء فان لجميع الكائنات في عالم الوجود تناسق فيما بينها يشبه المعجزة وأن التماسك فيها يجعل من نظام الوجود باسره في أفق أهل المعرفة وحدة تامة، وكأنما جميع الكائنات في مسرح الوجود تدعوا بني الانسان بلسان حالها أن تعالوا حتى تجعلوا الصحبة والصداقة والتضامن والتناسق الايجابي هو الأساس والأصل في حياتكم الصحبة والصداقة والتضامن والتناسق الايجابي هو الأساس والأصل في حياتكم وأن يصبح كل انسان في كافة المجالات من مادية وروحية وأخلاقية وانسانية مكمّلًا للآخر وأن يملأ كل منكم فراغاً في حياة الآخر بالطريقة اللائقة اعتماداً على الايمان باللّه واليوم الآخر والمعرفة بأحكام الاسلام المحفزة لحياة أفضل خصوصاً في مجال العِشرة والصداقة، تعايشوا لكي تَعمُرَ دنياكم وآخرتكم وتنعموا بدفء السعادة والفلاح إلى الأبد وتَبنوا في ظل مثل هذه العِشرة والصحبة جواً من الأمن والأمان والوداد والمحبة والكرامة والشرف.

كم انتج التناسق وأُلفة بين الكائنات من ثمرات عظيمة للوجود، وللانسان بوجه خاص. حبذا لو قام بني الانسان أيضاً ببناء روابط

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 26

صحيحة فيمابينهم وتبادلوا القيم في الحياة بالصحبة والصداقة حتى يصبح فضاء الحياة فضاءاً يشبه الجنان فينتفع كل انسان من الآخر انتفاعاً انسانياً وأخلاقياً، ولكن لا تحصل مثل هذه الصداقة ولا يتحقق نظير هذا التناسق إلا بالاعتماد على جوهر الايمان باللّه سبحانه واليوم الآخر والعمل وفق النُّظم الدينية القيمة والتأسي بالأنبياء والأئمة عليهم السلام مع جعل القرآن مثلًا اعلى يقتدى به.

تضامن الكائنات وألفتها

توضيح وتبيين هذا التضامن بحيث يكون شاملًا لجميع الكائنات، يحتاج إلى كتاب بسعة مسرح الخليقة ولذلك لا يبقى في هذا المجال متسع إلّاإلى اشارة في مقتطفات خاصة إذن ما يأتي هو غيض من فيض.

لو لم يُنشىء الخالق القادر البارىء الرحيم الحكيم هذا التناسق وهذه الألفة والتضامن بين الكائنات؛ ما قامت خيمة الحياة بهذه الصورة قط ولما ظهر نظام الوجود بهذا الشكل الجميل المنتظم أبداً.

فإن جميع أجزاء الكون تمتلك فيما بينها علاقات وجودية، بمعنى أن وجود كل واحد يرتبط بوجود الآخر، وبعبارة ثانية وجود كل واحد يكمل وجود الآخر.

وكأنما جميع الكائنات في هذا العالم أجزاء وخلايا جسد واحد والأواصر الحياتية قائمة فيما بينها بحيث لو حدث خلل صغير في هذا العالم وزال كائن، تصبح الكائنات عرضة لخطر الفناء.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 27

حان الوقت للاتيان بأمثلة من التضامن بين الكائنات:

ريش الطير وحياة الانسان

لو انعدم ريش الطير، لما تمكن الانسان والحيوان من البقاء على هذه البسيطة، فلو لم تصدِّق فنسترعى انتباهك لما يلي:

إن الريش غطاء يحمي جسم الطائر من الحر والبرد وهو سبب فاعل في طيرانه، ولو لم يكن لها ريش، لما استطاعت أن تقاوم الحر والبرد فسرعان ما تموت وتنتهي، ثم ماذا؟ سيزداد عدد الحشرات التي أكثر طعام الطيور منها لأنه- حسب الفرض- قد انعدم أكبر المستهلكين لها، وبعد أن تكاثرت الحشرات وازدادت بشكل متواصل وانتشرت، تصاب المزارع وتهلك الأعشاب والمراتع وتقضي على الخضروات والأشجار، فتموت الكائنات التي تعيش على الأعشاب لأجل عدم توفر غذائها.

وبعد هلاك الكائنات، تأتي النوبة إلى آكلات اللحوم فتنعدم باسرها، وتكاثر الحشرات يؤدي إلى تكاثر الجراثيم واذا كثرت الجراثيم سيهلك للانسان والحيوان والنبات لا محالة فتخلوا الأرض من كل كائن فلا تعثر على مخلوق حي ولا دابّ يدبُّ على الأرض قط.

الماء والحرارة

المياه الجارية على سطح الأرض تتبخر بفعل حرارة الشمس؛ فيتصاعد البخار فيصل إلى الطبقات الباردة فيتحول سحاباً والسحاب

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 28

ينزل مطراً، والكل يعلم لو لم يهطل المطر، ماذا سيحدث!

وهل تعلم انّه اذا لم تصل الحرارة بالدرجة اللازمة إلى مياه سطح الأرض لا تُنزل السماء غيثها؟! ولو كانت المياه على نمط بحيث تحتاج إلى حرارة أشد من الحد الطبيعي للتبخير لما كان هناك مطر؟ واذا كان البخار الذي يتصاعد لم يقوَ على ايصال نفسه إلى الطبقات الباردة، لما هطل مطر؟ وان كان البخار الذي يصل إلى الطبقات الباردة فاقداً لقابلية الانقباض فما حصل مطر؟ ولو ان السُحُب بقيت ناقصة ولم تبلغ مداها، فما كان مطر؟ ولو لم تجذب جاذبية الأرض قطرات المطر ولم تجرها نحوها، ما نزل مطر؟ وان لم تتوفر مئات أسباب أخرى مؤثرة في المطر، فما كان مطر أيضاً «1».

وهذه تساؤلات تستحق التوقف عندها مليّاً!

الريح والمطر

أتدري مدى أهمية الرياح لحياة الحيوانات والنباتات؟ وهل تعرف أيُّ نظام بديع يسود حركة الرياح في العالم؟

ان الرياح تصنع المطر ولو لم يكن هناك ريح لما وجد مطر؛ ان علماء الطبيعة يقولون: السحاب ظاهرة كهربائية والظواهر الكهربائية اذا كانت من شحنة واحدة، لدفع كل واحد منهما الآخر واذا كانت من نوعين فحينئذ يجذب كل منهما الآخر.

---

(1)- نشانه‌هايى از او (بالفارسية): السيد رضا الصدر: 41.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 29

من خواص الرياح هو انّه يجمع بين ظاهرتين كهربائيتين يؤديان إلى التجاذب ويتحقق الاتحاد الكهربائي، وعليه ان السبب الفاعل في تلاقح الظاهريتين الكهربائيتين اللتين ينتج منهما وليد يسمى المطر؛ هو الرياح.

ولو لم تكن الرياح الموسمية التي تقبل من جهة المحيطات والتي تجري في المناطق الحارة، لزدادت الحياة صعوبة لشدة الحرفي تلك المناطق، فان الرياح تقضي على ارتفاع درجة الحرارة وتهيء تلك المناطق لعيش الانسان ومن تلك المناطق هي شبه القارة الهندية التي تعد من المناطق الحارة الا انّه بفضل هبوب الرياح أصبحت تصلح للعيش.

إن الرياح البرية والبحرية التي تجري في كافة المناطق الحارة، جعلت الحياة في موانئها ممكنة.

وهناك رياح حارة تهب من المناطق الحارة وتجري إلى المناطق الباردة وتُخفّض من حدّة برودتها.

إن أهل العلم يعرفون شدة الحرارة تحت خط الاستواء، وأنهم يعلمون بأنَّ حرارة الاستواء بطبيعتها تتصاعد، وبإزاء ذلك تُقبِل ريح باردة تسير بشكل مائل من القطبين الشمالي والجنوبي باتجاه المناطق الاستوائيّة فتجعلها صالحة للعيش.

إنَّ للرياح دور في تغيير وضع مطر المناطق، ففي اندنوسية وأمثالها جعلت الصيف فصلا للامطار في حين ان فصل الامطار في لبنان مثلًا هو الشتاء.

وأما في بعض المناطق- ولعل قطاع «دار شينغ» الهندي منها- يهطل

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 30

المطر على مدار السنة فكمية المطر في دارسينغ يبلغ أحد عشر متراً في السنة! فاختلاف فصول هطول المطر على الأرض يؤدي إلى تنوع أقسام النباتات لكي يستطيع الانسان أن يستمتع بها ويستفيد منها.

ففي حياة أكثر النباتات جانبان: جانب الانوثة وجانب الذكورة مثل الخنثى (ذكر+/ انثى)، اذا لقحت النباتات تأتي بفاكهة جيدة ولو لم تلقح فتصبح فاكهتها رديئة.

فالتلقيح الذي يتم على يد الانسان، يختص بالنخيل والأشجار المطعَّمة التي تقع موضع اهتمام الانسان، وهناك تلقيح آخر يحصل من طريق الريح بحيث تُلقّح انثى الأشجار بذكرها؛ بهذا يتضح انّه لو لم يتم التلقيح بالريح لما عثرنا على فاكهة سليمة في العالم.

إن التلقيح بالريح يعمل في النخيل أيضاً وهو عبارة عن ان الريح ينتشل الذرات من ذكر الشجر ثم ينقلها إلى انثاه؛ علماً بأن التلقيح يحصل من طريق الحشرات أيضاً.

ما أوردناه هو جانب واحد من خدمات الريح وان كانت خدماته تفوق بكثير ممّا ذكرناه.

الفطريات والطحالب

إن الفطريات، لفقدانها اليخضور- الذي يتوفر في أكثر النباتات لجذب الكربون وانتاج السكر والدهن والنشاء غذاءً للنباتات- يعملن دائماً على مرافقة النباتات اليخضورية ومن خلال ذلك يتمكّن من مواصلة حياتهن

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 31

النباتية باغذية مناسبة ولهذا السبب يصاحبن الطحالب- التي هي بدورها تعاني من فقدان الجذور الكافية التي بها تتمكن من امتصاص المعادن والطاقة من الأرض جيداً الا انها تمتلك بدل ذلك، نسبة عالية من اليخضور- فالفطريات والطحالب يترافقان ويشتركان باستحداث هذه الرفقة أو هذا الاستثمار من الجانبين وانشاء شركة، فالفطريات تستفيد من يخضور الطحالب والطحالب تستفيد من جذور الفطريات القوية.

إلّا أن هذه الطحالب والفطريات قادرة بتعاونها معاً أن يرشدن إلى مبدء عالم بصير حكيم «1»؟

النبات والحيوان

كل نبات ينتج نظيراً له وانتاج النظير هذا من أعجب الأنظمة المعقدة النباتية التي تتم حسب خطة وبرنامج تفصيلي، وكل منّا شاهد صورها المتعارفة المتداولة وللمزيد من الايضاح نأتي بصور أخرى:

الورود والمجموعات النباتية المختلفة بسبب امتلاكها أجهزةً وغدداً خاصة، تعمل على اعداد أنواع شتى من العُصارات حيث ان كل واحدة منها تستجلب صنفاً خاصاً من الحشرات وتستقطب حشرات معينة حولها حتى- في المقابل- يؤدي اجتماع الحشرات إلى تلقيح تلك الورود والنباتات فتنتج في نهاية الأمر البذور اللازمة لتوليد جيل من النباتات والورود في السنة الآتية.

---

(1)- جاهليت واسلام (بالفارسية): 321.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 32

هذا الموضع من المواضع التي فيها تجلب النباتات الحيوانات حولها لمصادقتها وصحبتها من خلال انتاج العصارات.

وبعبارة أفضل: ان النظم الالهية وضعت الحيوانات في خدمة انتاج النباتات.

من الخير أن ننظر إلى هذا البحث المعقد والسر الهام من منظار اخصّائي واستاذٍ في الفيسيولوجية والعلوم الطبيعية ونائل على شهادة دكتوراه من «بتي بورك» ومتخصص في النظام الوراثي لأصناف من الحشرات وهو الدكتور «جان ويليام كلاتس» حيث يقول:

من المسائل الملتوية في عالم الكون نوع من الرابطة والعلاقة الجبرية بين شريحة من الكائنات كما يشاهد بين نبتة معينة وحيوان معين، أحد مصاديق ذلك الارتباط السري العميق بين نبتة اليكَّة وذبابة اليكَّة «1».

رأس وردة اليكَّة مائل إلى الأسفل ومدقتها [أيقسم انوثة الوردة] أيضاً أسفل من قسم المئبر [عضو التذكير في النبات]، أن سنمة مدقة الورد التي يلزم أن يدخله غبار اللقاح هو على نمط بحيث لا يدخله الغبار تلقائياً، إن غبار اليكة بتوسط انثى ذباب اليكَّة يحمل بعد غروب الشمس بقليل إلى مدقة وردة اليكَّة بالطريقة التالية:

ذبابة اليكة تمسك بفمها قسطاً من غبار المئبر وتطير نحو سنمة الوردة فتفح مبيض الوردة وتضع حبات من بيوضاتها فيه وبعد ذلك تغطيها بالغبار الذي حملته معها.

---

(1)-ACCOY وهو اسم لنبت ينمو في امريكا ويسمى بالفارسية: «گياه خنجر».

الوردة نتتج حبات كثيرة، تتغذى ديدان الذباب الوليدة بقسم منها والقسم الآخر ينتج براعم الورود.

إن تناسل ورود اليكة وبعبارة أُخرى: بقاء نسل هذا الورد منذ البدء إلى الآن، تم من طريق هذه الذبابة فحسب، وورد اليكة نفسه موضع صالح لبناء نسل ذباب اليكة «1».

صورة ثانية:

إن عثكول شجر التين على ضربين:

ضرب له وردة الذكر والانثى معاً، وضرب آخر ليس له وردة الانثى الا أن كافة أفراد هذا النوع من الورد يلقح بفعل انثيات الزنابير وذلك بالنحو التالي:

إن مدخل هذه الورود بسبب توفر غطاءات مختلفة هي في درجة من الصعوبة بحيث تعاني الحشرة المسكينة عند الدخول فيها وفي الغالب تفقد أثر ذلك أجنحتها إلا أن عاملًا سرياً- وهو المشية الالهية- تستحثها- مع كل هذه الصعوبات- للتوغل في نهاية الأمر، إلى داخل الوردة.

فإذا كانت الوردة من الصنف الذي يمتلك القسمين الذكوري والانثوي، فإنّ الزنبارة تبيض وتموت، والبويضات يفقسن حتى يصرن زنابيراً، فالذكور منها يموتون واناثها يخرجن من الورد ويطرن إلى ورود أخرى ولكنها قبل الخروج يتعفرن بالغبار المتوفر في داخل الوردة لأجل نقله إلى وردة أخرى.

---

(1)- الجاهلية والاسلام (بالفارسية): 322.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 34

اذا كانت الوردة الاخرى التي يحط عليها الزنبور مثل سابقتها ذكراً وأنثى، يتكرر العمل السابق واذا كان الورد الجديد انثى فقط فبسبب بعد قصرها ينتقل الزنبور منه عقيب أن يحط على تلك الوردة من دون أن يتمكن من أن تبيض الا انّه بهذا المكوث العابر على الوردة الانثى يلقّحها بغبار الذكر الذي تعفَّر به وكان يحمله، وفي نهاية المطاف تكبر هذه الوردة وتتبدل إلى تين ناضج كامل.

أُولى أشجار التين التي نقلت إلى امريكا، لم تأت بثمرٍ، وبعد فترة انتبهوا إلى انهم عند حملهم هذه الأشجار لم يحملوا معها تلك الزنابير؛ وعند ما أتوا بالزنابير الخاصة إلى امريكا، أثمرت الأشجار وأصبح التين من البضائع التجارية الهامّة لامريكا «1».

جسم الانسان

قد نتمكن من تشبيه جسم الانسان بمدينة مجهزة وحديثة مزودة باقسام شتى من أمثال العمارات والابنية والطرق والجسور وأجهزة اتصال قوية (سلكية ولاسلكية وغيرها من أسباب الاتصال) ومطابخ ومراكز توزيع البضائع ومخازن، ومن جانب آخر مزودة بالكهرباء وشبكات المياه الصحية وتصريف المياه ودور للسكن مع الكثافة السكانية بحيث إنّ كل واحد يتعهد بعمل مثل الموزعين للمؤن والمرابطين للدفاع والأطباء والصيادلة.

---

(1)- الجاهلية والاسلام (بالفارسية): 323.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 35

وأمّا نظام البدن أكثر تعقيداً بمليارات المرات من نظام المدينة، لأن البدن يتكون من ملايين المليارات من الخلايا الصغيرة المستقلة التي تتعاون وتتناسق فيما بينها، فهي بتنسيقها الفريد أوجدت نظاماً موحداً وبعبارة أُخرى: إن التخطيط المدهش لجسم الانسان وضع كل واحدة من الوحدات لاداء عمل لا تتخطاه بقدر ذرة.

الحاجة إلى العِشرة

إن المعاشرة والصداقة في خيمة حياة الانسان من الأمور الملفتة وهي في غاية الأهمية بحيث تكون سبباً لسعادته في الدنيا والآخرة في شكلها الايجابي وسبباً لشقائه في الدارين في شكلها السلبي.

إن الصداقة واختيار الصديق حقيقة ينجذب إليها كلّ الناس بفطرتهم وطبيعتهم وأصلها في وجود الانسان على درجة من القوة بحيث يعدُّها البعض واحدة من الغرائز والميول الطبيعية في الانسان.

إن هذه الغريزة الطبيعية والانجذاب الفطري ينشأ من ان الرب الرحيم خلق الانسان اجتماعياً مدني الطبع وتعهد لسد حاجاته المادية والمعنوية فان طبيعة خلقة الانسان على نمط بحيث لا يقوى أن يعيش وحيداً وفي معزل من الآخرين وفي منأى من المجتمع فيدبر أمور حياته في جانب منفصل ومن دون ارتباط ببني جلدته.

إنّ الانسان قد يختار العزلة بحسب الظاهر الا أنّ قوام حياته رهين عمل وكدح الآخرين فهو في نهاية الأمر في عزلته يعيش اجتماعياً.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 36

العِشرة في الاسلام

إنّ الرغبة للعيش المشترك وغريزة الصداقة كانت دوماً قضية حيوية من لدن أول نبيٍّ إلى لحظة بزوغ فجر الاسلام، ومن هنا اهتم بها الاسلام- وهو الممثل للثقافة الربانية الوحيدة منذ يوم خلق الانسان إلى يوم البعث- وفي هذا المجال قام الاسلام

بترشيد هذه الغريزة وهذا النزوع الانساني من خلال سن قوانين وضوابط غاية في النفع والفائدة لكي تأتي شجرة الصداقة والعِشرة- ببركة ذلك الترشيد- بثمار اساسية تتطلبها قوام الحياة في الدنيا والآخرة.

فإنّ آيات الكتاب العزيز والروايات الشريفة جعلت قضية العِشرة دوماً وفي كل زمان موضع اهتمام المنهج الحق، كما أنها اسدت في هذا الشأن توجيهات في منتهى الاهمية.

إن القرآن الكريم وصف المعاشر والقرين السيء في سلوكه المتلوث بالرذائل الاخلاقية- من الذين تؤدي صحبتهم إلى الضلال والضياع وانهيار البناء الانساني- بالشيطان وعدّ مثل هذا المعاشر رادعاً لصاحبه عن سبيل اللّه على مر التاريخ واعتبره خطراً على سعادة الانسان في دنياه وآخرته وعاملًا للتلوث والتدنس وعرفه بانه يوقع رفاق دربه وجلسائه

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 37

في التوهم والابتعاد عن الواقع ويرى ان مصير مثل هذه العِشرة والصحبة هو الحسرة والندم الابديان فهو يقول:

[وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ* حَتَّى إِذا جاءَنا قالَ يا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ] «1».

بُعد العِشرة

إنّ العِشرة والصُحبة والصداقة من المنظور اسلامي إمّا أن تكون ممهدة لخير الانسان بكلّ ما تعني الكلمة من معنى أو تكون ممهدة للشر كذلك.

احياناً يكون الفلاح والسعادة ثمرة العِشرة السليمة، واحياناً يكون الشقاء وسوء الحظ نابعان من العِشرة المغلوطة والضارة.

إن بعض الأمور خيرها وحسنها طفيف لم يكن معتداً به ومن الأمور ما يكون شره وسوءه قليل بحيث لم يكن مُلفتاً، الا أنّ كثيراً من الأمور خيرها وافر وعظيم كما أنّ كثيراً من الأمور شرها شامل بحيث يؤدي إلى سقوط الانسان وهلاكه.

إن العِشرة وصحبة الآخرين والصداقة والاقتران بالناس هي من الأمور التي إن كانت ايجابية وتم انتقاء موردها انتقاء صحيحاً، لكانت خيراً عميماً لدنيا الانسان واخرته، وإن كانت سلبية وتافهة ولم يتم انتقاءها بشكل لائق صحيح، فان شرها سيصيب دنيا الانسان وآخرته.

قد يذهب الانسان بسوء سريرته وسلوكه المنبوذ وتصرفاته الشيطانية

---

(1)- زخرف (43): 37- 38.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 38

إلى أن يصبح جهنّمياً ولكن بسبب مصاحبته لصديق طيب، حنون، مؤمن، خيّر، يغير وجهته، وبانطباعاته من هذا الصديق الطاهر النفس المؤدب، تصبح عاقبته إلى خير وينتهي به الطريق الى الجنة والى الصراط الرباني المستقيم.

وقد يكون الانسان جميل الباطن ومحمود السلوك رباني التصرف، فيمكن أن يستحث خطاه إلى الامام حتى يصبح من أهل الجنة فيضمن سلامة دنياه وآخرته بيد أنّه يخطو خطاه في طريق جهنم وفي سبيل الباطل بفعل ارتباطه بصديق حسن الظاهر، سيىء الباطن، عديم الدين والأدب؛ يبدّل اتجاهه بما يحمله هذا الصديق من مصدر شر وفساد.

إن هذين المعنيين قد تكررا بكثرة على امتداد التاريخ بحيث أشار القرآن الكريم إلى كلا الموردين مراراً وذلك في آيات كثيرة وقد اعتبر كلا التوجهين مصدراً للعبر والعظمة لمن كان يرغب في العِشرة.

إنّ ابناً مثل ابن نبي اللّه نوح عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل الذي يعد منصباً ربّانياً عظيماً، اعتزل اباه البار وانحاز إلى الجاحدين للحق والحقيقة المنغمسين في الشهوات من اولئك الذين لا حَسَب لهم ولا نسب، الضالين المضلين، وذلك لعشرته وصداقته لهم ولتطبّعه بسلوكهم إلى ان انهدت أركان شخصيته الانسانية- الربانية، فاصابه عذاب الاستئصال وهو الغرق في أمواج الماء المحطّمة ولم يشفع له دعاء أبيه لانقاذه من غضب اللّه سبحانه.

قال اللّه جلّ وعلا:

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 39

[... وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَ حالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ* وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي

مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ* قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ] «1».

يقول الشاعر سعدي الشيرازي في هذا المقام:

لم يفده فضل النبوة شيئاً ابن نوح لصحبة الأشرار

وتعالى عن جنسه كلب اهل ال مكهف صيتاً لصحبة الأخيار

إن الآثار العجيبة للعشرة، سواءٌ في جانبها الايجابي أو السلبي؛ لا تنكر أبداً.

عند ما ينبهر الشخص بانسان ايجابي فينتفع بسيرته وخلقه الطاهر المفيد فيصادقه ويصاحبه ويجالسه، لاسيما في أيام شبيبته التي هي ذروة العواطف والاحساس والنزعات والغرائز؛ فان طهارته ونبله ستأثر فيه قطعاً.

كذلك عند ما يصاحب الانسان شخصاً ضالًا غير مهذب وعديم الأدب- وذلك عند ما لا يقوى على اصلاحه- فينجذب إليه عاطفياً، فإنّ خلقه وسيرته المنكرة ستؤثر فيه وتلقيه في مستنقع الشقاء فيحرم من فرصة تفتق قابلياته الانسانية.

---

(1)- هود (11): 42- 46.

إن قضية تأثير العِشرة حقيقة ان لم يقدم الاسلام على تبيينها لما كانت واضحة جلية للجمع خصوصاً عند ما يحصل انشداد بالغ للمعاشر وتكون المحبة متبادلة. إن الاسلام تكفل بايضاح ابعاد القضية برمتها بحيث لم يدع شيئاً الاوبيّنه وهو دليل على عظمة هذه القضية ومكانتها في حياة الانسان.

إن الانسان- شاء أم أبا- يتأثر من طريق العِشرة ولا يسعه مقاومة تبعاتها ولولا ذلك لما ظهرت جميع هذه الاثار السلبية والايجابية تحت خيمة الحياة.

وبما ان طبيعة الانسان تتفاعل بقوة مع ما حولها- كما أسلفنا- فان القرآن الكريم قد نهى عن مجالسة الظالمين ومن لم يتأدب بالآداب الالهية فهو يقول: بعد أن تتذكر الحقائق وتطّلع على الآيات الربانية وتبزغ شمس الهداية من أفق وجودك تأخذ بيدك إلى الصراط السوي؛ لا تعاشر المتعدين على حدود اللّه:

[... فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] «1».

إن تكيُّف الطبع الانساني بدرجة من السرعة والشدة بحيث يقول القرآن الكريم في هذا الشأن:

[... إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى

---

(1)- الأنعام (6): 68.

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ...] «1».

إن العناصر التي تكوّن وجودنا هي نفس العناصر التي تكون هذا العالم فكما ان العناصر الطليقة تتأثر وتؤثر فنحن الذين نتركب من هذه العناصر فنتأثر ونؤثر أيضاً فيحكمنا هذا القانون إلى الأبد.

نحن نؤثّر في جميع القضايا التي ترتبط بنا كما ونتأثر أيضاً في كثير من القضايا الاخرى، ففي الوقت الذي نحن نؤثر ونتأثر جسدياً، فقطعاً يكون التأثير من ناحية النفس الانسانية التي تتصف باللطف والرقة، ابلغ وأشد.

عليك أن تدقق في النظرات المتنوعة للفرد على الآخرين فستجد ان لكل نظرة، اثر خاص على الروح والنفس والقلب؛ فان النظرة الغاضبة لها أثر، والنظرة الاعتيادية لها أثر آخر، والنظرة الودّية تثير الفرح في النفس، والنظرة باعجاب لها أثرها الخاص،

والنظرة الاستفسارية تترك أثراً خصيصاً بها. إن الأصوات المتنوعة والأساليب والطباع المختلفة أيضاً تترك آثاراً شتى على الانسان.

إنَّ مَثَلَ قضية العِشرة كمثل اتصال قلبين أحدهما بالآخر واتصال روحين بفعل اواصر المحبة فانها تبلغ الغاية في التأثير.

فان الذي يحب أحداً ويرغب في صحبته وصداقته سواءاً أكان ايجابياً أم سلبياً، يحاول أن يُجاريه في كافة الشؤون والأطوار حتى يكسب رضاه لبناء وشيجة امتن.

وبعبارة، أنّ الانسان الذي يرتبط قلبياً بآخر فيؤسس علاقة صداقة به،

---

(1)- النساء (4): 140.

بعد فترة من الزمن، يصبح الوجود الثاني لذاك الشخص بحيث عند ما يرى الآخرون خُلقه وسلوكه- سواء في الأمور الظاهرية أو الجهات الاخلاقية، العملية- يتذكرون صاحبه وصديقه فيقولون: كأنَّ هذا ذاك!

في هذا الخصوص واثناء التكوين، ليس من الضروري استحضار الوجود الطبيعي للمحبوب، أحياناً الانسان من خلال المطالعة أو السمع من الآخرين، يطلع على الأوصاف الايجابية والسلوك الانساني له، فيصبح قلبه محط ظهور حبه؛ وبسبب هذا الحب يتجه نحو التنشئة والتأثر بالمحبوب بحيث يغدو على قدر متسع وجوده، الوجود الثاني له.

نماذج من التطبع الايجابي

تروي المصادر المعتبرة بأنه عند ما أقبل علي الأكبر عليه السلام على ساحة القتال بكربلاء لأجل الجهاد في سبيل اللّه وللدفاع عن الاسلام، رفع الامام الحسين عليه السلام رأسه نحو السماء قائلًا:

«اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ أَشْبَهُ النّاسِ خَلْقاً وَخُلُقاً وَمَنْطِقاً بِرَسُولِكَ» «1».

إنّ علياً الأكبر قد سمع أوصاف نبي الاسلام صلى الله عليه و آله من عمّه الكريم الامام الحسن ووالده المبجل الامام الحسين عليهما السلام كما أنّه تعرف مسلك وخلق ذلكالانسان الرباني في القرآن المجيد وكذلك من طريق الاصغاء

---

(1)- اللهوف: 112؛ بحار الأنوار: 45/ 42، باب 37.

والمطالعة، عَشِقَ النبي العظيم وأُولِع به، وبفعل ذلك الوله والتعشق أصبح مجسداً للنبي صلى الله عليه و آله ومثيلًا له بحيث أشار امام معصوم بمستوى الامام الحسين عليه السلام إلى هذه الحقيقة وأقرّها.

أن النبي صلى الله عليه و آله بسبب معرفته باللّه وتعشقه له، صار موضع تجلي أسماء الباري الرحيم وصفاته بحيث اعتبر القرآن المجيد الطاعة للنبي صلى الله عليه و آله طاعة للّه والبيعة له بيعة للّهسبحانه كما قال:

[مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ...] «1». [إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ...] «2».

وفي دعاء «الجوشن الكبير» وُصِف الباري- جلّ وعلا- ب «أحبّ من كلّ حبيب» وفي مقطع آخر منه يوصف بالرفيق: «يا رفيق».

إن النبي صلى الله عليه و آله اتخذ الباري سبحانه حبيباً ورفيقاً له وحقق في نفسه مفاهيم أوصاف وأسماء رفيقه وحبيبه حتى عدت طاعته طاعة اللّه وبيعته بيعة اللّه سبحانه.

إن ميثم التمار ورُشيد الهجري وعمرو بن حمق الخزاعي ومالك الأشتر و... اختاروا الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للصداقة والصحبة والعِشرة والمجالسة بحيث تطبعوا على قدر سعة وجودهم بطباع أميرالمؤمنين وانسجموا وذابوا في مولاهم وامامهم في خلقه وسلوكه.

---

(1)- النساء (4): 80.

(2)- فتح (48): 10.

أجل، لو قامت العِشرة والصداقة على أصول صحيحة، لعم حياة الناس الأمان والسلامة والحيوية والثقة قطعاً.

ولو قاطع الناس الجانحين وتجنبوا صداقتهم وعشرتهم وواجهوهم بوجوه مكفهرة واشترطوا في عشرتهم تحسين خلقهم وسلوكهم، لتناقص عدد الآثمين بحيث لا يكونوا شيئاً يذكر وقد يؤول أمرهم إلى أن لا يبقى لهم أثر في المجتمع أصلًا.

وللأسف أن الطرقات مُفَتَّحة أمام الآثمين والفاسدين والفجرة والفساق في جميع نواحي الحياة، فان أكثر الناس يحتفون بهم ومن هذا الطريق يهيؤون الأوضاع لتأثيرهم ويعدون الارضية لخيانتهم بالانسان والانسانية بحيث يتمكنوا من التكاثر بسرعة ويجعلوا الناس مثلهم ويتجاوبوا معهم.

إن مجالسة السيئين لأجل هدايتهم واجب؛ طبعاً لو كان المرشد يتمتع بقوة الشخصية بحيث لا يسع للسيئين أن يؤثّروا عليه أثراً سلبياً فيدخلوه في أجواء حياتهم المظلمة المنحطة.

إنما أمر الربّ الرحيم هارون وموسى بالذهاب إلى فرعون لهدايته، لأن ثقافة فرعون لم تؤثر فيهما بالاختلاف إليه ومن لف لفه من طغاة وان طال الاختلاف.

إن موسى وهارون- حسب بعض الروايات- قد دعوا فرعون وأتباعه للحق ليل نهار مدة خمسة وخمسين عام وكانا يختلفان إليهم ويحاورانهم، إلّاان فرعون وشيعته بما أنّهم كانوا اسارى الهوى والهوس

ومصابون بالتكبر والغرور، لم يستجيبوا لدعوة هذين النبيين عليهما السلام وفي هذه الاثناء لم يتأثر هذان النبيان العظيمان بثقافة فرعون وحشمته وشرفه قيد انمولة قط؛ قال سبحانه وتعالى:

[اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى* فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى] «1».

العِشرة لأجل الهداية

في منطقة سكناي في طهران، كنت أعرف شاباً لا يمتنع من منكر الا وفعله كالقمار والخمر والفجور واهدار حقوق الناس وما كان بين زملاءه من يستطيع انقاذه من هذا المستنقع النتن.

ذهبت يوماً للقاء رجل مؤمن وزيارته، وقد كنت احبه حباً جما حيث كان يتصف بأوصاف حميدة وحالات كريمة وكان مصدر خير للناس يسعى لحل مشاكلهم؛ في هذا اليوم رأيت ذلك الشاب جالساً عنده ناكساً رأسه وكان يظهر عليه أن نار طغيانه

قد خمدت وتحلى إلى حد ما بالآداب الدينية والاخلاق الانسانية كما كان يبدو من حواره مع الرجل المؤمن انّه تغيرت أحواله وانتقل من طريق الشيطنة إلى جادة الهداية وخرج من مسار الانحراف إلى الصراط المستقيم.

بالنظر إلى وضعه انكشف لي أنّ نفساً الهية ونفحة عيسوية قد أحيت قلبه الميت وارشدته إلى سبيل اللّه واخرجته من بئر الهلاك وأنقذته من مستنقع الفساد.

---

(1)- طه (20): 43- 44.

قلت له متسائلًا: أيشيء اتفق واية حادثة جميلة وقعت حيث أدّت إلى انقطاعك من الشيطان والتحاقك بالرحمن وعباده؟

أجابني قائلًا: في ليلة من ليالي الجمعة خرجت سكراناً فاقداً من حانة خمر ذاهباً إلى البيت، بسبب الاسراف في شرب الخمر والسكر المفرط، سقطت في طريق المارّة على الرصيف حتى كان الظلام يوشك على نهايته فكنت اصحو شيئاً فشيئاً؛ فتحت عينيّ فاذا برجل ديّن قد وضع رأسي في حضنه، يعطف علي! طلب مني ان انهض واذهب برفقته إلى مسجد يقيم هو فيه الصلاة ويقرأ فيه دعاء الندبة صباح كل يوم جمعة، قلت له بحياء وخجل: أبهذا الحال وهذا الوضع الذي أنا عليه اذهب؟ لا يليق بشأن المسجد أن أدخله!

قال مجيباً: بل أنت حريّ بالمسجد في وضعك هذا!

باصراره هيّأني للذهاب إلى المسجد، وضع يده بيدي وأخذني إلى المسجد وبعطف وشفقة طلب مني أن أتوضأ وأن أصلي؛ بعد الصلاة اخذني إلى مكتب المسجد وبنفسه اعدّ لي الفطور وطلب مني أن أتناول من مائدة صاحب الأمر (عجّل اللّه فرجه) لعل مناخ المسجد والصلاة التي اديتها كل ذلك يعالجني ويدفعني إلى طريق الهداية فاصبح خليقاً بنزول رحمة الربّ عليَ «1».

---

(1)- إنّ هذه القصة التي شاهدتها بأمّ عيني، تعود إلى عام 1395 هـ. ق وذلك الرجل الدين الحنون هو المرحوم حجة الاسلام الحاج مصطفى مسجد جامعي امام جماعة مسجد المصطفى الواقع على جانب من ساحة حسن آباد في مدينة طهران وقد كان صاحباً وصديقاً لي.

[يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ] «1».

بفعل شفقة وارشاد ذلك الرجل الرباني النبيل نجوت من الزيغ والانحراف وسرت في الصراط السوي وتزوجت من فتاة مؤمنة، وأنا راض من اهتدائي ومن العيش في ظل رحمة الرب ومجالسة ومصاحبة ذلك العالم الرباني الشفيق، أنا راضٍ جدّاً!

ما حدث للمؤلف في مدينة نيشابور

في العشرة الثانية من شهر ذي الحجة وبمناسبة حلول عيد الولاية، دعيت للتبليغ من قبل أحد الأصدقاء الذي ذاع صيته في حبّه للامام المنتظر بين المؤمنين في مدينة نيشابور بحيث كان اذا سمع اسمه (عجّل اللّه فرجه) أو ذكر الانبياء والأئمّة عليهم السلام عنده، تتقاطر دموعه مثل هطول مطر الربيع. بعد انقضاء ليالٍ من ليالي التبليغ المنورة، زارني أحد أصدقائي من رجال الدين- وهو يقطن في مدينة مشهد- فطلبت منه أن يبقى معي إلى آخر ليلة من مكوثي في مدينة نيشابور.

وكنت آنذاك منشغلًا بتفسير الصحيفة السجادية للامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام؛ في عصر يوم من تلك الايام اقترح صديقي رجل الدين أن نتمشّى في شارع يسمى ب «كمربندي» للترويح عن النفس؛ استجبت لطلبه، فوضعت القلم جانباً وذهبنا معاً حتى دخلنا

---

(1)- يونس (10): 57.

الشارع الذي كان قريباً من محل اقامتي.

لم يمض وقت طويل على سيرنا حتى وقفت سيارة من طراز حديث إلى جانبنا فطلب السائق منا بكلمات مفعمة بالمحبة أن نركب السيارة إلى حيث ما نريد! أشار صديقي بعينه ويده أن أرفض طلبه وان امتنع من الركوب في سيارته لأننا لم نتعرف على صاحبها ولم يتضح لنا ما يريده من ذلك، ركبت السيارة وطلبت من صديقي رجل الدين أن يرافقني مع انتباهي لوضع الشاب الذي كان شاباً عصرياً متناغماً مع ما عليه الغربيون، فكانت ملابسه زاهية الألوان، قصيرة الكُم، ذائباً في الثقافة الغربية وباختصار: كان مريضاً يحتاج إلى طبيب مشفق وجليس مؤثر وصاحب حنون وصديق خيِّر.

ركب صديقي السيارة في رهبة وقلق من دون أدنى رغبة وذلك في الوقت الذي كان جند الاسلام الأكارم في جبهتي الجنوب والغرب يتصدون للأعداء الكفرة وحماتهم، في حين كان المنافقون الذين عميت بصيرتهم يوجهون فوهة بنادقهم في الداخل باتجاه الناس فيثكلون العوائل بفقد أحبّتها!

سألني السائق:

- إلى أين تريدون كي أوصلكم؟

قلت:

- إلى ما تحب!- ارتاح إلى جوابي-.

سألني:

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 49

- أنت من أيبلد؟

قلت:

- من طهران.

قال:- ماذا تصنع في هذه المدينة؟

قلت:

- جئت لالقاك وازورك- ارتاح لهذا التعامل خصوصاً من قبل رجل دين، الأمر الذي لم يحدث له أبداً وبطبيعة الحال لم يكن معروفاً لديه من قبل، فسرّ كثيراً وفي نفس الوقت اندهش من ذلك-.

قال لي:

- وضعي المالي لا بأس به ولي بيت ذو طابقين أعيش فيه لوحدي اعزباً فيعجبني أن تحلُّوا عليَّ ضيوفاً للحظات.

قبلت دعوته الا ان صديقي رجل الدين الذي كان يساوره القلق من الأوضاع المتردية للبلاد، طلب مني بالاشارة وبالضغط على يدي أن أغض الطرف من الذهاب إلى بيته الا أنّي اعتماداً على ألطاف الباري- عزّوجلّ- ونصرته وهو مصدر الرحمة، ووفقاً لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عقدت العزم للذهاب إلى بيته.

وصلنا البيت فارشدنا إلى غرفة الضيافة التي كانت جدرانها الأربعة ملأى بالصور المستهجنة واللوحات الخلاعيَّة ومختلف صور الممثلات الغربيات العاريات للنصف! إنّ صديقي رجل الدين الذي كان يتصف بالورع والتقوى قال محتجاً:

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 50

- أيجهنم هذا الذي دخلناه؟ ليس أمامنا في هذه الغرفة الا أن نحدق بأعيننا إلى الأرض أو نغمضها!؟

قلت له:

- اصبر واستقم، لعل سفرنا في مشية اللّه إلى هذه المدينة كانت لأجل التعرف على هذا الشاب ومجالسته لسويعات ومصادقته حتى ينجوا من مستنقع الفساد بارادة اللّه، الرحيم بكافة عباده الذي جعل باب التوبة مفتوحاً على المذنبين قاطبة كما في هذا الدعاء:

«أَنْتَ الَّذِى فَتَحْتَ لِعِبادِكَ بَاباً إِلى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، فَقُلْتَ: [

تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً] «1»

، فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبابِ بَعْدَ فَتْحِهِ» «2»

. بعيد لحظات دخل الشاب صالة الضيافة فقال بجدّ وثبات:

في ثلّاجتي خمر أجنبي مصفّى وعندي ترياك افغاني خالص، إلى أن تأكلوا الفاكهة وتشربوا الشاي، اختاروا أحدهما كي اعدَّه لكم! قال كلامه هذا من دون أن يلحظ ملبسنا الذي هو ملبس رسول اللّه صلى الله عليه و آله فقالها في غفلة تامة من وضعنا ودونما خجل وحياء ظنّاً منه بأنّنا نعيش مثله حالة الاستهتار والفلتان الاخلاقي.

كان حقيقة يتخيل انّه باقتراحه هذا يستضيف أصداقه الجدد بأفضل ما يمكن وإن كانوا رجل دين.

قد بقي من الوقت الشرعي ساعة من الزمن، قلت له: لي في أول الليل

---

(1)- تحریم (66): 8.

(2)- فقرة من مناجات الخمس عشر- مفاتيح الجنان: 218.

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 51

موعد مع صديقٍ عزيز جداً ورفيق كريم وصاحب شفيق يكره المشروبات الكحولية والمواد الأفيونية فلو اشتمّ منّي رائحة الخمر أو الأفيون أخشى أن يفارقني إلى الأبد في حين ان فراقه لا يطاق وخسارة فقداه لا تجبر!

فأرجوا من أجل صديقي هذا أن تعذرني عمّا أنت بصدده! ففي عطف تام قبل وتقرر ان يستضيفنا بالشاي والفاكهة فقط.

صديقي رجل الدين أشار عليَّ بيده وعينه أن لا نأكل فاكهته وأن لا نشرب شايه! فقلت له هامساً: ندفع خمس ما نأكله ونشربه حتى لا يبقى محلًا للشبهة؟!

عند ما كان يدنو المغرب قال لي الشاب: موعدك مع صديقك في أية نقطة من المدينة؟ قلت: في جنب جامع مدينة نيشابور، قال: أنا أوصلكم إلى موضع اللقاء.

عند ما توقف في جانب المسجد ونزل معنا تسائل: هل جاء صديقك أم لا؟

قلت: إن محبوبي هو اللّه الذي لي موعد معه وقت الأذان من خلال الصلاة وهذا هو وقت لقائي وقد أتيت!

ارتبك الشاب وطأطأ رأسه وانتابه الخجل فقلت له:

نعم هو محبوبي الذي يكره الخمر والأفيون والعلاقات الجنسية المحرّمة بشدة وأنا لا أرغب لنفسي أن ألوثها بهذه الأشياء لتؤدي إلى قطع صلته بي.

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 52

قال الشاب: أنا في ذلك البيت لا أبيت ليلة قط من دون شرب الخمر وتعاطي المخدرات والاصغاء إلى أنواع الأشرطة ومشاهدة مختلف الأفلام الماجنة! ولكن بتعاملك هذا قررت من هذه اللحظة أن أترك جميع هذه الأشياء ولكن أطلب منك أن تقضي غداً وقتك معي!

وافقت على اقتراحه وضربنا الساعة العاشرة من اليوم الآتي موعداً للّقاء في جنب المسجد الجامع.

جاء على الموعد في الساعة العاشرة فحملنا أنا وصديقي إلى مزارات المدينة ومن جملتها المزار المسمى ب «قدمگاه» وطلب مني أن يرافقني ليلًا، ومن حسن الصدف تزامن اقتراحه مع ليلة الجمعة حيث تقرر أن ألقي خطبة وقد كانت الدعوة عامة للحضور إلى جلسة قراءة دعاء كميل، الشاب ما كان يدري بأني أخطب في المدينة.

أعطيته عنوان المجلس، قدم قبل البدء بقراءة دعاء كميل، من شدة الزحام لم يبق ممر للدخول في المجلس، أشرت إليه فقدم نحوي، أجلسته إلى جانبي باتجاه القبلة، جميع المصابيح قد أطفئت فقرأت دعاء كميل في ظلام دامس.

سادت المجلس موجة من البكاء والحرقة وانقلبت الأحوال وعم الضجيج، وبعد انتهاء الدعاء رأيت عيني الشاب كأنّهما قدحي دم من شدة البكاء وذرف الدموع، قلت له: إنّ اللّه قد كفّر ذنوبك جمعاء؛ ابدء حياة نقية طاهرة؛ ثم ودّعته وفي تلك الليلة خرجت من نيشابور.

خلال ثلاث سنين غابت أخباره عنّي الى أن سافرت إلى مدينة مشهد

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 53

المقدسة، فالتقيت بصديقي رجل الدين، فقال لي مخبراً: في احدى الليالي كنت في الحرم الطاهر للامام علي بن موسى الرضا عليه السلام واذا بذلك الشاب، استفسر عنك فقلت له: انّه يقيم في طهران، ذكر تلك الليالي المفعمة بالروحانية فقال: تبت توبة صادقة وانتقلت من نيشابور إلى مشهد لكي أعيش فيها، وفي هذه المدينة المقدسة و بشفاعة الامام الرضا عليه السلام رزقت زوجة مؤمنة كان لها أثر طيب في ارشادي وتوعيتي.

أجل، ساعة من مجالسة طيبة وصحبة لائقة وصداقة سليمة وعشرة ايمانية ينتقل بها شيء من الحقائق الربانية والمعارف الالهية إلى ضال طريقه، تؤدي إلى مثل هذه النتائج الايجابية.

إذن، مصادقة الفسقة الفجرة الضالين لو أثرت سلباً على الانسان وجعلت الانسان يدور في فلكهم ويحوم في دائرة خلقهم وطباعهم، فهذه الصداقة من وجهة نظر الاسلام محرمة ولكن اذا ما كان الانسان في وقاية ايمانية، فمصادقة هؤلاء لأجل ارشادهم وجعلهم في صراط الباري السوي فهو لازم بل بناء على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو واجب ديني مؤكّد.

تأثير المحبوب على المحبّ

إن الانسان في مرحلة الارتباط والصداقة والعِشرة والصحبة، عند ما يدخل في نطاق محبة المحبوب الذي يمتلك قيماً معنوية أصيلة وجميلة فليس هو الذي يتأثر بالمحبوب ببساطة، بل المحبوب هو الذي

من طريق المحبة التي تربط المحب به، ينقل آثاره الوجودية وقيمه المعنوية وجماله الباطني إلى المحب، فيصير المحب بالتدريج وجوداً ثانياً له ويصنع من المحب- في حدود سعته الوجودية واستيعابه وقابليته- محبوباً آخر.

إن الانسان عند ما يتخذ الرب الرحيم من طريق المعرفة والنباهة محبوباً له ويغرم بحبه، تبزغ في حد قابلياته وبفعل الباري، الكمالات والقيم والحقائق المعنوية تدريجاً في افق وجوده.

في هذه المرحلة الملأى بالخير والبركة، يظهر آدم المطرود من الجنة مثل شمس متوهجة في افق تلقي الكلمات «1» ويصل إلى مقام التوبة العظيم وقبولها من ناحية الباري جل وعلا.

وفي هذه النقطة الوضاءة وفي أمواج تلك البلايا والمحن، اماط أيوب عليه السلام اللثام عن وجهه في ساحل الصبر والاستقامة، وبذا يُمدح عبد من قبل المعبود ويصبح قدوة في الصبر والثبات.

ومن هذا الموقع المرموق يبرز ابراهيم واسماعيل من أفق التسليم حيث إن الأب يتأهب برغبة تامة فيمتثل من صميم قلبه أمر المحبوب في ذبح اسماعيل على عتبة عشق المحبوب، وهو ذاك الذي لم يخالط قلبه خوف عند ما يُقذف بالمنجنيق في نار محرقة لأجل المحبوب!

وفي هذه المرحلة القيمة يفوز يوسف عليه السلام في أعماق بئر كنعان بلطف وكرامة وتوفيق من المحبوب فيتمتع في ظلمات الجُبّ بنوره في إضاءة

---

(1)- البقرة (2): 37. «فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

قلبه وداخلته ويحافظ على هدوءه وسكينته آملًا رعاية الباري- جلّ جلاله- وفي نهاية المطاف تشرق شمسه من على سرير عزيز مصر.

في هذه النقطة الروحانية تجد راعياً مرتدياً طمراً، يعيش مغموراً خوفاً من فرعون مرتدياً رداء الراعي، وفي نحو عشر سنين كان يرعى الغنم لشعيب في الصحراء؛ في طريق العودة إلى مصر، وطأت قدماه وادي سيناء فشاهد نوراً تجلّى من المحبوب في الوادي المقدس فتشرَّف بسماع صوت المعشوق وتحدث إليه إلى أن بلغ مقام التكليم فصار «كليم اللّه».

إن الدخول في حرم التعارف وصداقة محبوب ايجابي ومعشوق يمنح الدفء،، الروحي، يمهد لظهور كمالات المعشوق في العاشق ويصنع من العاشق وجوداً يقترب في كينونته من وجود المعشوق فيؤول الأمر- عند ما ترى العاشق- إلى أن يخيَّل إليك انك قد رأيت المعشوق.

إن النبي الكريم صلى الله عليه و آله- واعتماداً على معرفته الأصيلة- اختار منذ البداية محبوباً هو الاله الحق- جل جلاله- وعاش في كنف حبه وآنسه إلى آخر لحظة من حياته الشريفة والمحبوب- عزوجل- بتوفيق خاص منه، جسد قيمه وكمالاته في وجود هذا المحب العاشق حتى قال عليه السلام:

«مَنْ رَآنى فَقَدْ رَأىَ الْحَقَّ» «1».

ومن خلال هذه الصلة المعنوية والصحبة الباطنية والصداقة الملكوتية، بلغ الرسول صلى الله عليه و آله درجة بحيث أوجب المحبوب أن يؤتى

---

(1)- بحار الأنوار: 58/ 234، باب 45.

باسمه صلى الله عليه و آله إلى جانب اسمه- جل جلاله- وذلك في تشهد الصلاة كما انّه أناط دخول الكفار والمشركين في الاسلام بالاقرار برسالته إلى جانب الاقرار بالتوحيد.

نفحة من تأثير النبي صلى الله عليه و آله وآل بيته عليهم السلام

لو أصبح الانسان- بفضل المعرفة- في رحاب صداقة وعشرة نبي الاسلام صلى الله عليه و آله بحيث يتحول بوعيه إلى محب له؛ سيؤثِّر بوجوده المبارك صلى الله عليه و آله على الانسان بفعل كمالاته وقيمه صلى الله عليه و آله حتى يتجرّد الانسان من وجوده الأول أو- كما يقول علماء النفس- من اناه الطبيعي، وبقدر استطاعته واستعداده؛ يكون وجوداً ثانياً للنبي صلى الله عليه و آله مثل الحقيقة التي تجسّدت بالكامل في أميرالمؤمنين إلى أن قال النبي صلى الله عليه و آله عنه:

«لَحْمُكَ لَحمِي، وَدَمُكَ دَمِي، وَسِلْمُكَ سِلْمِي، وَحَرْبُكَ حَرْبِي» «1».

إن أويس القرني الذي كان قبل تعرفه على نبي الاسلام صلى الله عليه و آله في عالم التصور ومحبته له، كان راعياً؛ من لحظة تعرفه على الرسول صلى الله عليه و آله في وادي المعرفة وحظيه بصحبته وصداقته والفته بمحبوبه الرباني، صار بفضل تأثير النبي عليه وردة عطرة في بستان التوحيد بحيث كان النبي صلى الله عليه و آله يشم رائحة اللّه من أويس التي كانت تهب من جانب اليمن، كما قال الشاعر الفارسي:

---

(1)- بحار الأنوار: 99/ 106، باب 7.

قال أحمد صلى الله عليه و آله أشم رائحة الله من اليمن «1»

وأنّ سلمان من خلال هذه الصداقة والعِشرة والعشق والمحبة بلغ مرتبة بحيث بزغت القيم الوجودية للرسول من افق حياته فحصل على مرتبة عليا حتّى قال النبي صلى الله عليه و آله فيه:

«سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ» «2».

إنّ الانسان عند ما يأخذ مكانه في مملكة محبة أهل البيت والأئمة المعصومين عليهم السلام تشرق قيم وكمالات هؤلاء الأخيار في آفاق حياته فيصبح وجوداً ثانياً لهم عليهم السلام.

مهما يكن من شيء، فان المعشوق بفضل علاقة وثيقة- وهي العشق- يرشح من وجود العاشق نور يقضي على وجوده الظاهري و «اناه» الطبيعي فيولد له وجودٌ مثل وجود المعشوق.

إن المحب الأصيل- في الحقيقة- هو المحبوب لكنّه في اطار آخر والعاشق الواقعي هو المعشوق في هيئة أخرى.

المحبوب الحق ينقل آثاره الوجودية وكمالاته وقيمه للانسان فيترك في الآدمي آثاراً عجيبة لا تقتصر على الدنيا فحسب بل تعمّ الآخرة أيضاً بجاذبيته القوية واستقطابه الشديد بالنسبة لمحبّة، فإنّه ينقذ المحب من فزع وهول يوم القيامة ويصطحبه معه إلى جنّة الخلد وهناك في أجواء من

---

(1)- ... گفت احمد زيمن بوى خدا مى‌شنوم.

(2)- عيون أخبار الرضا عليه السلام: 2/ 64، باب 31، حديث 282؛ كشف الغمة: 1/ 96؛ بحار الأنوار: 22/ 326، باب 10، حديث 28.

الصداقة والصحبة البهيجة يكونون جنباً إلى جنب ...

[وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً] «1».

إن تجلّي المعشوق الحق في العاشق يوحد بين روح العاشق والمعشوق ويجعل قلبه وروحه مع روح المعشوق شيئاً واحداً بحيث إن العاشق في خضم عاصفة البلايا وفي حميم الحوادث مع حاجته القصوى لمستلزمات الحياة وشؤونها التي يمتلكها غير المعشوق وهي إن توفرت قادرة لانقاذه من مخالب البلايا والحوادث، مع ذلك كله فانه لا ينفصل عن المحبوب بل لا يقوى على الانفصال عنه أصلًا!

الصديق الوفي

دخل أبو أُمامة الباهلي على معاوية- وقد كان أعدى عدو للحق والدّ خصم للامام أميرالمؤمنين عليه السلام وكان مستحوذاً على خزانة البلاد كما كان يمتلك ثروة طائلة.

فعند دخوله على معاوية قرّبه معاوية منه وأدناه ثم دعا بالطعام، فجعل يطعم أبا أمامة بيده، ثم أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده وأمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه، ثم قال: يا أبا أمامة باللّه أنا خير أم علي بن أبي طالب؟

فقال أبو أمامة: نعم ولا كذب ولو بغير اللّه سألتني لصدقت، علي واللّه خير منك وأكرم وأقدم إسلاماً، وأقرب إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وزوج ابنته سيدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وابن أخي

---

(1)- النساء (4): 69.

حمزة سيد الشهداء وأخو جعفر ذي الجناحين، فأين تقع أنت من هذا يا معاوية؟ أظننت أني سأخيّرك على عليّ بألطافك وطعامك وعطائك فادخل إليك مؤمناً وأخرج منك كافراً؟ بئس ما سوّلت لك نفسك يا معاوية ثم نهض وخرج من عنده، فأتبعه بالمال فقال: لا واللّه لا أقبل منك ديناراً واحداً «1».

جار الامام جعفر الصادق عليه السلام

كان للامام الصادق عليه السلام جار جنب بيته وكان الامام شغوفاً بحبّه سمع الامام يوماً أن جاره عازم على بيع داره بمائة ألف درهم في حين أنّ البيت لم يُقدّر بأكثر من أربعين ألف درهم.

دعاه الامام عليه السلام فسأله عن سبب عرض الدار للبيع؛ فقال للامام: أعاني من مشكلة مالية أجبرتني على بيع الدار، قال الامام عليه السلام: يقال ان دارك تقدر بأربعين ألف درهم فلم تريد أن تبيعها بمائة ألف درهم؟ فقال وعينه تذرف دمعاً: يابن رسول اللّه أنا شيعي وأحبكم ولا أرضى أن ابتعد عنكم لحظة واحدة إلّانني أعاني من مشكلة مالية دعتني أن أفارقكم! إن القيمة الاسمية للدار أربعون ألف درهم ولكن استلمت ستين ألف درهم اضافي لحق جيرتكم.

إن الامام الصادق عليه السلام- الذي كان متخلّقاً بخلق اللّه وخلق النبي صلى الله عليه و آله وآبائه الكرام- رأى نفسه ملزماً بأن يكافئ المحبة بالمحبة وأن يقدر الآخر

---

(1)- بحار الأنوار: 42/ 179، باب 124.

بحبه ووداده ويطبق قاعدة:

[هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ] «1».

في حق جيرانه ومواليه؛ فقال له: بعني دارك! قال الرجل: اهبه لك عن طيب نفس! إلّاأنّ الامام كان مصراً على أن يبتاعه؛ قال صاحب الدار:

لأجل اصرارك على الابتياع أبيعك بالسعر الاسمي- أربعين ألف درهم-!

قال الامام عليه السلام: اشتريه منك بالسعر الذي عينته للآخرين- مائة ألف درهم-!

فأمر غلامه أن يأتي بمائة ألف درهم لصاحب الدار، فأتى بالمبلغ وسلمه أياه!

حينما عزم الرحيل عن الامام عليه السلام خاطبه الامام: زائداً على المبلغ الذي دُفع إليك، ملكتك الدار نفسها.

أجل؛ إنّ الانسان ينتفع روحياً ومادياً بجليسه الفاضل الكريم في الدنيا وفي الآخرة حيث تصله الفيوضات الالهية في جوار موقعه ومرتبته؛ كما انّه يهدر عمره ويضيعه ويفقد قيمته الانسانية فيلقي بنفسه في ذلّ الدنيا وعذاب الآخرة حينما يجاور الجليس السيّء السافل.

قيم الصداقة الصحيحة

روى الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عن النبي صلى الله عليه و آله في الصداقة الصحيحة والصحبة الصالحة والواقعية بأنه صلى الله عليه و آله قال لأصحابه:

---

(1)- الرحمن (55): 60.

«أىُّ عُرَى الْايمَانِ أَوْثَقُ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الصَّلاةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الزَّكَاةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الصِّيَامُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ الحَجُّ وَالعُمْرَةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الجِهَادُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله: لِكُلٍّ مَا قُلْتُمْ فَضْلٌ وَلَيْسَ بِهِ وَلكِن أوثَقُ عُرَى الايمَانِ الحُبُّ فِى اللَّهِ وَالبُغْضُ فِى اللَّه وَتَوالِى أوْلِيَاءِ اللَّهِ وَالتَّبَرّى مِنْ أعْدَاءِ اللَّهِ» «1».

في الحقيقة والواقع، الخير يتمثل في وجود من يتذوق القيم الالهية والانسانية وينفر من الأمور الشيطانية المنحطة، فعند ما يتحلى بمثل هذه الحالة يُقبل على الأعمال الصالحة وأهلها ويعرض عن المساوء وأصحابها.

ميزان معرفة الخير

إن الامام الباقر عليه السلام اعتبر تذوق الأعمال الصالحة والنفور من الأعمال الطالحة ميزاناً في داخلة الانسان لمعرفة الخير وذلك في قوله عليه السلام:

«إذا أرْدْتَ أنْ تَعْلَمَ أنَّ فِيكَ خَيْراً فَانْظُر إلى قَلْبِكَ فَإنْ كَانَ يُحِبُّ أهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَيُبْغِضُ أهْلَ مَعصِيَتِهِ فَفيكَ خَيرٌ وَاللَّهُ يُحِبُّكَ وَإن كَانَ يُبْغِضُ أَهْلَ طاعَةِ اللَّهِ وَيُحِبُّ أهْلَ مَعصِيَتِهِ فَلَيْسَ فِيكَ خَيْرٌ وَاللَّهُ يُبْغِضُكَ وَالمرءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ» «2».

---

(1)- الكافى: 2/ 125، باب الحب فى اللّه والبغض فى اللّه، حديث 6؛ وسائل الشيعة: 16/ 177، باب 17، حديث 21284؛ بحار الأنوار: 66/ 242، باب 36، حديث 17.

(2)- الكافى 2/ 126، باب الحب فى اللّه والبغض فى اللّه، حديث 11؛ وسائل الشيعة: 16/ 183، باب 18، حديث 21300؛ بحار الأنوار: 66/ 247، باب 36، حديث 22.

إن الذين يتحابون في اللّه وفي سبيل اللّه، يشملهم المولى الحق يوم القيامة بعنايته الخاصة.

روى عبداللّه بن مسعود عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله انّه قال:

«المتَحابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلى أعْمِدَةٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ فِي الجَنَّةِ يُشْرِفُونَ عَلى أهْلِ الجَنَّةِ فَإذَا اطَّلَعَ أحَدُهُم مَلَأَ حُسْنُهُ بُيُوتَ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَقُولُ أهْلُ الجَنَّةِ: أخْرُجُوا نَنْظُر المتَحابّينَ فِي اللَّه عَزَّوَجَلَّ قَالَ: فَيَخْرُجُونَ وَيَنْظُرُونَ إلَيْهِم أحَدُهُمْ وَجْهُهُ مِثْلُ القَمَرِ فِي لَيْلَةِ البَدْرِ، عَلى جِبَاهِهِمْ:

هَؤلَاءِ المتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ» «1».

الدواء المشفي

إنّ ائمتنا عليهم السلام يعدُّون المراودة مع الصالحين ومصادقتهم والعِشرة مع الطيبين وملازمة اللائقين من الأدوية المشفية للقلب، فقالوا:

«دَوَاءُ القُلُوبِ وَجَلَاؤُهَا فِي خَمْسَةِ أشيَاءٍ: قَرَاءَةُ القُرآنِ المجِيدِ بِالتَّدَبُّرِ، وَخَلَاءُ البَطْنِ وَقِيَامُ اللَّيْلِ وَالتَضَرُّعُ فِي السَّحَرِ وَمُجَالَسَةُ الصّالِحِينَ» «2».

أسباب الصداقة

اذا ما كانت أسباب الصداقة بين الناس- ولاسيما الشباب- نابعة من

---

(1)- الأمالى، شيخ مفيد: 75، مجلس 8، حديث 11؛ بحار الأنوار: 71/ 399، باب 28، حديث 37.

(2)- أعلام الدين في صفات المؤمنين: 67.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 63

الشؤون المعنوية والقيمية؛ فإنها علاوة على ضمانها لدوام الصداقة، ستكون عاملًا لتنشئتهم وتطورهم.

وأما إذا كان الدافع من وراء الصداقة، المال والممتلكات والثروة والجاه والجمال الظاهري، لا أنها ستؤدّي إلى انهيار الصداقة فحسب، بل تنتهي إلى تفشي السفالة والقلق والحرب والنزاعات والتفرقة وانعدام الأمن.

اذا كان سبب الصداقة أحد الأمور الظاهرية، فانها تذهب بذهابه، كما أن الحلوى يجلب الذباب إليه، الأمور الظاهرية والمادية في حياة الانسان أيضاً عامل لجلب الأصدقاء الذين يتصفون بصفات الذباب.

قال سعدي الشيرازي:

إن هؤلاء الأصدقاء المكرة الذين تراهم هم ذباب يحومون حول الحلوى «1» حقاً ينبغي أن نسأل الناس وخصوصاً الشباب بأنّ الأصدقاء الذين يتصفون بأوصاف الذباب، ما هو الدور الذي يمكن أن يؤدّونه على مسرح الحياة سوى الدمار والضياع؟ فإنّ الصداقات التي تقوم على أمور تافهة، تنتهي بالانسان إلى الكآبة والحزن وحاصلها ضياع العمر وإهدار الوقت وفقد القيم الانسانية.

في مثل هذه الصداقات ترتخي العلاقات وتضعف وتخمد شعلة نبراس المحبة وتنطفئ ويتبدل دفؤها إلى بردٍ وخمول.

---

(1)

-اين دغل دوستان كه مى بينى مگسانند گرد شيرينى

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 64

في نهاية هذه الصداقات يكون الانسان كالذي استولى عليه النوم فيستيقظ دفعة وينتبه، وحينذاك يضرب بيده على رأسه متحسراً وصك أضراسه ويمرق الأُوّم حزناً ويعضّ على شفته ندماً ويدعو بالشر على اولئك الأصدقاء الذين صادقوه لأجل الظواهر المادية المغرية والمال والأملاك والحشمة والجاه وحطام الدنيا القليل لكي يصيبوا حظاً ويملؤ بطناً ويرضوا شهوتاً ويدوروا حول معلفهم كالحيوان! عندها يذرف الدموع على العمر المضيع!!!

آنذاك وجراء الضربة القاتلة التي تلقاها من مَكَرَة الأصدقاء، تعتريه حالة اشمئزاز من كل صديق فيصبح حاله حال الغنم التي تخشى من الذئاب فتفر من كل من يمشي على رجلين! ويأخذها الخوف عند مشاهدة الأشخاص فتظن أنّ الجميع قد اصطفوا لينالوا منها!

وأمّا الصداقات الروحية والروابط القيمية حيث إنّ ميزان الصداقة هو الايمان والدافع من وراء الصداقة هو تحصيل المعاني الطيبة والغرض منها هو تمثل القيم؛ فلا يبقى مجال للكراهية وتبديل الصداقة بالعداء.

فإنّ بِلال لا ينفصل عن النبي صلى الله عليه و آله وإنْ قُطِّع إرباً إرباً، وأباذر لا يفارق الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام حتى اذا نفي إلى صحراء ربذة الملتهبة، وعابس بن شبيب الشاكري لا يدع الامام فيذهب وان تقطعت أوصاله بالسيوف والنبال والأحجار والخَشب، وكميت الأسدي لا يعرض عن آل البيت عليهم السلام وان حمل عود صلبه على كتفه أربعين عاماً!

فإنّ العشق والحب والعلاقات والروابط في هذا النوع من الصداقة،

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 65

عشق الهي وحب روحاني وإنساني.

الانسان بفعل هذا العشق يتخلص من التعلقات البهيمية والانقيادات المادية- كالطير الذي يطلق سراحه من القفص- فيخرج من مدار الأمور الظاهرية ليقع في مدار الآفاق الملكوتية- العرشية، فينشط الدماغ والعقل بفعل الحب الرباني ويحيي القلب بالحياة الروحانية فتظهر روعة صيرورة الانسان وتثمر شجرة الانسانية ويصبح وجود الانسان افق لشروق القيم.

لزوم المعرفة في انتقاء الصديق

إن الانسان الذي يبلغ حد نموه وكماله ويهتم بادبه وتربيته وخير دنياه وآخرته ولا يرغب في أن تكون حياته مسرحاً للضياع والخسران والفتنة والفساد وأنْ توجّه لقيمه الربانية وقابلياته الانسانية ضربة ماحقة، فمثل هذا الانسان يلزم عليه أن يميز بين الأصدقاء الحقيقين والأصحاب الواقعيين من الأعداء الذين هم أشباه الأصدقاء.

للحصول على هذه المعرفة لا طريق موصل الا فهم القرآن والروايات الأصيلة؛ ولفهم القرآن والأخبار طريقان:

الأول: الجلوس الى العلماء لسنوات طوال لأجل تحصيل العلوم الاسلامية.

الثاني: المشاركة في المجالس الدينية الغنية بالمحاضرات التي تلقى من قبل علماء وأعلام وشخصيات ملتزمة يتحدثون عن المعارف الإلهية ويُعرّفون مدرسة آل البيت عليهم السلام الأصيلة.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 66

عند ما يتوصل الانسان إلى فهم القرآن والروايات، فمن طريق القرآن الكريم يتعرف على الاصدقاء الحقيقين وهم الخالق «اللّه» سبحانه وتعالى والأنبياء والأئمة عليهم السلام وألياء اللّه والخيرين؛ سيعرف من خلال ذلك بأنّ غير هؤلاء ومن سار على طريقهم، هم أعداء يتظاهرون بالصداقة.

دونما شك ان المعرفة سبب للمحبة؛ لأن الانسان عند ما يكتسب معرفة بالجماليات، سيندلع نار العشق والمحبة من داخل المعرفة ومن ثَمَّ تؤدي المحبة إلى نشوء وجود المحب من وجود المحبوب.

إنّ العاشق يعلم بأن المعشوق إنما يرضى ويسرّ اذا ما رأى أن قيمه الوجودية تمثلت في العاشق.

وهنا سؤال: لِمَ قال الرب الرحيم في كتابه العزيز:

[... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] «1».

والجواب هو ان اللّه جل وعلا محسن وكريم لجميع الكائنات وللانسان خاصة، فعند ما يرى سبحانه عبده يحسن للآخرين ويكرمهم، يعطف عليه ويعشقه.

وهناك سؤال آخر: لِمَ قال البارئ سبحانه:

[... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] «2».

وجوابه أنّ سبحانه عادل حيال جميع مخلوقاته فاذا رأى الاخلاق والعمل في أحد عباده ولاحظ انّه يعدل في حق الآخرين، يجعله موضع حبه.

وكذلك عند ما يقول القرآن الكريم:

---

(1)- البقره (2): 195.

(2)- المائده (5): 42.

[... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] «1».*

وعلى أية حال، إنّ الانسان بعد معرفة البارئ- جلّ جلاله- والأنبياء والأئمّة عليهم السلام يعشقهم جميعاً ومن خلال التعشق إليهم، يتلوّن بلون قيمهم وبعد الاصطباغ بصبغتهم، يصبح محبوباً لهم؛ وفقاً لهذا الأصل عند ما يتعرف الانسان على الاطياب المؤمنين بسبب الجمال المعنوي الذي يتحلون به، يكنُّ لهم حباً وبمصادقة تلك الوجوه الملكوتية وبصحبتهم، يغدو وجوداً ثانياً لهم وبذلك يحصل على خير الدنيا وخير العالم الآخر.

البعض يرى أنّ كلمة الانسان مشتقة من: أَنَسَ؛ وكلمة «انس» حقيقة تمتد جذورها إلى أعماق جوهر وجود الانسان ولذلك يميل بقوة إلى مخالطة الآخرين وصحبتهم والتعايش مع أبناء جنسه.

إنّ المعاشرين بسبب إنشاء الألفة الروحية يؤثّرون على بعضهم البعض تأثيراً باطنياً وظاهرياً وفكرياً واخلاقياً.

إنّ التأثير الذي يتلقاه الانسان من معاشره في مرحلة الاعتقاد والعمل والخلق، اذا ما التزم به عمليّاً، يكون بمثابة حبة صالحة تنبت في حقل الحياة فيجني ثمارها في الآخرة المتمثلة في رضوان اللّه وجنته الخالدة؛ وهذه هي الحقيقة التي رويت عن نبي الاسلام صلى الله عليه و آله حيث قال:

---

(1)- التوبه (9): 4 و 7.

«الدُّنيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ» «1».

أجل، الأمر كما هو معروف:

«الُمجالَسَةُ مُؤَثِّرَةٌ».

إنّ هذا التأثير مهم بحيث ينتهي أمره إلى الجنة والسعادة الأبدية أو الى جهنم والشقاء الأبدي.

هل حدث إلى الآن في نظام الوجود ان يزرع أحد قمحاً فيحصد شعيراً؟ أو ان ينبت عدساً فيجمع حمصاً؟ فان الذي له عشرة مخطئة وصداقة غير صالحة وله صاحب سيءُ السلوك، يلزم عليه أن لا ينتظر أن تثمر الحالات التي تنتقل إليه من صاحبه، ثماراً حلوة وفاكهة طيبة.

قال نبي الرحمة محمد صلى الله عليه و آله:

«... وَمَنْ يُطِعِ الشَّيطَانَ يَعصِ اللَّهَ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يُعَذِّبْهُ اللَّهُ» «2».

إن النفس الانسانية- نظراً لماهية وحقيقة النظام الكوني- هي على نمط بحيث تتفاعل تفاعلًا حاسماً وذلك من طريق الحواس الظاهرية والباطنية، فما تسمعه الاذن وتراه العين ويلمسه الجلد و... تتفاعل معه النفس مباشرة والانسان يعمل ويتحرك وفق

تلك الآثار المطبوعة في النفس، فالعين على سبيل المثال عند ما ترى مشهداً جميلًا؛ تثار في النفس البهجة والحيوية والرغبة في الوصول إلى ذلك المشهد الخلاب.

---

(1)- مجموعة ورام 1/ 183؛ عوالى اللآلى: 1/ 267، حديث 66.

(2)- الكافى: 7/ 81، وصية النبى صلى الله عليه و آله، حديث 39؛ الأمالى، شيخ صدوق: 487، مجلس 74، حديث 1؛ بحار الأنوار: 70/ 348، باب 137، حديث 39.

تداعيات الابتعاد عن حقيقة العِشرة

إن العِشرة والصداقة القائمتين على الدين والتدين وعلى أساس الأخلاق والمحبّة، تسير- في واقع الأمر- مع نظام الخليقة برمته، وهما سببان لجلب محبة البارئ سبحانه ونظرته الودودة، كما أنّهما عاملان لتحبيب الانسان في قلوب أولياء اللّه وبلوغ مرتبة شفاعة الشافعين في الآخرة.

لو لم تكن اجواء الحياة على هذه الطريقة، فينبغي أن يقال: إنّ الحياة صورة من صور أصحاب الجحيم، اولئك الذين يُحرمون من رحمة اللّه ونظرته العطوفة في الآخرة ولا يفوزون بشفاعة الشافعين أصلًا.

يقول الكتاب العزيز عن ذلك:

[إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ لا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ] «1».

[كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ* إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ* فِي جَنَّاتٍ يَتَساءَلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ* ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ* وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ* وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ* حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ* فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ] «2».

---

(1)- آل عمران (3): 77.

(2)- مدثر (74): 38- 48.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 70

الجليس الطاهر

والجليس الملوّث

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 73

المسؤولية العظمى

يستفاد من الآيات القرآنية والروايات الشريفة والمعارف الاسلامية الحقة بأن قضية الرفقة والمجالسة والعِشرة والصداقة وآثارها في الحياة، هي قضية تتعاظم حيالها مسؤولية الانسان ووظيفته.

إنّ الانسان إذا ما اختار صاحباً وصديقاً معتوهاً ومنحطاً، لا يهتم إلّا ببطنه وشهواته في حين أنّه غارق في الغفلة والجهل أمام اللّه والقيامة والدين والتدين والاخلاق والعمل الصالح، ولا يهدف من خلف الصداقة والعِشرة بالآخرين الا الشأن المادي والتمتع والترفيه؛ دونما شك إنّ مثل هذا الانسان يسعى إلى حتفه بظفره ويعرض بنيان دنياه وآخرته إلى الخراب؛ فانه يغضب الرب على نفسه ويهدم بنيان سعادته وفلاحه، ويتعامى حيال مسؤوليته ووظائفه الالهية والانسانية التي هي في هذا المضمار كبيرة وعظيمة للغاية؛ وهو في نهاية المطاف يعد لنفسه في يوم القيامة محاكمة صعبة وقاسية.

من التوصيات الهامة جداً للمولى الحق سبحانه وجميع الأنبياء والأئمّة وأولياء اللّه والطيبين والأخيار والمشفقين، هي انّه: «احترز من المعاشر الشاذ!».

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 74

إن مجالسة المعاشر السيّء أمضى ضرراً من كل سَمّ وأكبر خطراً من كل دهيم وأقبح شيئاً من كل قبيح، لأن العِشرة الشاذة تضع دين الانسان وايمانه ومكانته وماء وجهه في مهب الريح وتحرم الانسان من الفيوضات والعنايات الربانية.

يقول الشاعر الفارسي:

مهما تمكنت فاهرب من الصاحب السيّء فان الصاحب السيّء أسوءْ من الحية السيئة إن الحية السيئة تصيب روحك والصاحب السيّء يصيب روحك وايمانك «1» والنتسائل حقاً: أيانسان أكثر خطراً وأشدّ ضرراً من صديق يتوغل في حياة الانسان ويبعده من الرب الرحيم ويلوث مناخ حياة الانسان ويجفف جذور انسانيته ويحيل وردة وجود الانسان إلى شوك ويجعل دار شخصيته الانسان العامرة، خربة تسكنها أفاعي وحشرات رذائل الاخلاق مما يجعل الانسان غير مرضيٍّ عند اللّه- عزوجل- وعرضة لسخط أسرته ومن حوله!

إن هذه الوجوه الشاذة والأغوال القاطعة للطريق والشياطين المفسدة بكلامها ويراعها وسلوكها وخُلقها؛ تدعو الانسان إلى نار جهنم وآبار الهلاك والعذاب الأبدي! ينبغي القول: الويل لمن يستجيب لدعوة هؤلاة

---

(1)

-تا توانى مى گريز از يار بد — يار بد بدتر بود از مار بد

مار بد تنها تو را بر جان زند — يار بد بر جان و بر ايمان زند

المعتوهين والسفهاء والمجانين والحيوانات المشبهة للانسان فانه يختم جبين حياته بعار عبودية هؤلاء السفلة.

يقول الكتاب العزيز:

[... أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...] «1».

---

(1)- بقره (2): 221.

المعاشر الغير طاهر

ان المعاشر الشاذ- الذي هو كما قال القرآن- شيطان خطر وقاطع طريق يلحق الاضرار تلو الاضرار- يعرض عن الانسان بعد أن يُدمّر قيمه الانسانية ويتركه في وادي الهلكة «1» وهو كما قال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام هو حيوان يشبه الانسان «2»؛ مثل هذا المعاشر اذا توغل في حياة الانسان من طريق العِشرة والصحبة وأخذ بزمام أموره، سيقضي على دنيا الانسان وآخرته ويصبح سبباً لأن توصد أبواب رحمة المولى الحق سبحانه بوجه الانسان وتفتح نفواذ الغضب والعذاب أمامه.

يلزم أن لا ننسى هذه المقولة بأن نفوذ المعاشر الشاذ في مناخ حياة الانسان ينشأ من ارادة الانسان نفسه وقبوله المطلق له، فالانسان في هذا الوادي لا يستطيع بحال أن يعلن بأنه مسلوب الاختيار فيلقي بتمام الجريمة والتقصير والاجرام على عاتق الجليس الغير مهذب.

ما يصنعه المعاشر الملوث هو الدعوة إلى القبح والسوء والخطيئة

---

(1)- «لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا». الفرقان (25): 29.

(2)- «فَالصُّورَةُ صُورَةُ انسانٍ وَالقَلبُ قلبُ حَيَوانٍ» نهج البلاغة: 119، خطبة 87؛ بحار الأنوار: 2/ 56، باب 11، حديث 36.

والعصيان، فعلى الانسان بارادته وعقله وبالانتباه إلى أنوار الهداية الربانية التي تحيط بالانسان من جوانيه وبرانيه، ان يدفع بكل ما يمتلك من قوة دعوة هذا المحق للشخصية والغول الخطر والشيطان الخبيث فيمتنع من قبوله ويتمرد عليه؛ فان خير الدنيا والآخرة وسعادة اليوم والغد في طاعة اللّه سبحانه والتمرد على رموز العداء للّهخصوصاً المعاشر الشاذ.

إن المعاشر الشاذ هو كائن يحكم الجهل وجوده مكان العقل والشهوة مكان القلب والهوى مكان الحق، ولا يعمل إلّاعلى تجريد الانسان من الحقائق والقضاء على دنيا الانسان وآخرته وقلع جذور القيم من وجوده وحمله على العبثية في الحياة.

علامات أعداء أشباه الأصدقاء

في كل عصر وزمان شياطين في الصفات خطرون في السلوك يكسبون الناس اليهم والشباب بصفة خاصة فيمدّون أواصر الصداقة والزمالة اليهم، يستغلون اموالهم وامكاناتهم من غير حق وينهبون قيمهم الانسانية.

هؤلاء بوجوه تبدو أنها حسناء! وكلمات حلوة ومن خلال شبكات سرية وخدع وحيل ذكية وتقلبات عجيبة- غريبة، يتظاهرون؛ وبهذه الخطط الماكرة يمدون يد الصداقة والصحبة للانسان، وعند ما يؤسرون الانسان بودادهم الماكر، يبدؤون بالوسوسة؛ وبالتدريج وخلال مدة طويلة، يبعدون الانسان من اللّه سبحانه ومن الحق والحقيقة والعبادة

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 78

والخدمة وصفاء النفس والكرامة والشرف وحضن العائلة الدافئ والمجالس النافعة ومتابعة تحصيل العلم و...

رويداً رويداً- ومن دون أن يشعر الانسان بعمق- يؤسرونه بالشهوات والأميال والغرائز فيصنعون منه أداة لخياناتهم وجرائمهم فيشبون النار في محاصيل قيم وحسنات الانسان ويفعلون فعلًا بحيث عند الندم تنعدم الفرص وتبدّد أسباب النجاة.

إنّ معرفة هؤلاء الأعداء الخطرين أشباه الأصدقاء لا يصعب مع الأخذ بهذه الأوصاف.

عند ما تسمع من أحد دعوة بالانفصال عن الحق وعرفت انّه يريد أن يستغلك اداة لأمياله الشخصية ويعرض عليك قطع الارتباط بالحسنات والقيم ويُصغّر في عينك أطياب المجتمع ويعظم في عينك الخبثاء السفلة فاعلم انّه غول في صفاته سفاك، وشيطان في طريقته مستهتر؛ فإنّه بمكره وخديعته وتحايله واغواءاته يُظهر نفسه بمظهر الصديق، ففي هذه الحال عليك أن لا تقيم معه صداقة ولا تفتح معه باب زمالة ولا تدع مجالًا لمعاشرته ففي ذلك إتعض بقصة عقبة بن أبي معيط المؤسفة وبعبرها- التي أشارت إليها الآيات 27- 29 من سورة الفرقان- وانقذ نفسك من هذا الذئب العديم الشفقة.

قصة عقبة بن أبي معيط المؤسفة

انّ عقبة بن أبي معيط كان من المشركين في مكة وكان مع أبي بن خلف

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 79

توأمين في الخلّة، فقدم عقبة من سفره التجاري وأولم جماعة الأشراف وفيهم رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فقال النبي صلى الله عليه و آله لا آكل طعامك حتى تقول: «لا إله إلّا اللّه وأنّي رسول اللّه» فشهد الشهادتين، فأكل من طعامه، فلما قدم أبي بن خلف عزله [لامه] وقال: صبأت، فحكى قصته فقال: إني لا أرضى عنك أو تكذّبه، فجاء إلى النبي صلى الله عليه و

آله وتفق في وجهه صلى الله عليه و آله فانشقت التفلة شقّتان وعادتا إلى وجهه فاحرقتا وجهه وأثرتاه [تركت في وجهه أثراً] «1».

وهكذا فقد عقبة المسكين سعادته واختار جهنم لأجل ارضاء من كان صديقاً له ظاهراً وعدوه باطناً.

إن الايات 27- 29 من سورة الفرقان، نزلت لمواساة النبي صلى الله عليه و آله وتهدئته من خلال عرض المصير المشؤوم في الدنيا لشخص قذر ابتلي بصديق وصاحب ضال ومضل وشيطاني، والآيات هي:

[وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا* يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا] «2».

اجل، الجليس السيّء- كما قال المولى الحق- شيطان، والشيطان دونما شك عدو للانسان؛ فانه بعد أن يلحق افدح الخسائر بالانسان، يتركه حائراً لا يبصر طريقه؛ وأسيراً لشتى أنواع العواصف والبلايا في الدنيا ومسخراً في مخالب العذاب الأبدي في الآخرة.

---

(1)- المناقب: 1/ 136؛ بحار الأنوار: 18/ 69، باب 8، حديث 24.

(2)- الفرقان (25): 27- 29.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 80

قال اللّه تعالى:

[وَ كانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا] «1».

ليس الزميل من يزيد على عيوب ونواقص والفرغات المعنوية للانسان ويشب النار المهلكة في محاصيل قيم الانسان وشرفه وكرامته، ان الصديق حقاً والرفيق واقعاً، هو الذي يقلل من عيوب الانسان ويزيل نواقصه ويسد فراغاته الروحية والمعنوية.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام عن أحب الأصدقاء:

«أَحَبُّ إخوَانى إلَىَّ مَنْ أهْدى إلَىَّ عُيُوبى» «2»

. إن الانسان المنصف الطالب للسعادة، عند ما ينبهه الصديق الشفيق إلى عيوبه، يعمل- ومن غير شك- على ازالتها ويعرج- بمساعدة رفيقه النبيل- نحو المقامات الانسانية العليا.

إن الصاحب والمعاشر الذي يخلو من الايمان والاخلاق والعمل الصالح، هو نار تحرق شجرة الوجود بجميع أغصانها وأوراقها، وفي النهاية تبعِّد الانسان في الدنيا من القيم وتقعده في الذل والهوان وتتركه في بحر من الهم والغم والأسف والندم كما أن صداقته وعشرته تصبح سبباً لابتلائه بالعذاب الأليم وتسوقه نحو جهنم- وهو بئس المكان- يتضاعف عذابه عند ما يرى صديقه السيّء قد ابتلي بالعذاب الأبدي.

---

(1)- الفرقان (25): 29.

(2)- الكافى: 2/ 639، باب من يجب مصادقته، حديث 5؛ وسائل الشيعة: 12/ 25، باب 12، حديث 15547؛ بحار الأنوار: 71/ 282، باب 19، حديث 4.

فلا تصحب أخا حمق وإيّاك وإيّاه

ذكرت في الكتب في ثنايا الحكايات الوعظية بأن انوشيروان أمر بسجن بوذرجمهر وزيره الأعظم الذي كان حكيماً وعالماً، وهو الذي نقل كتاب «كليلة ودمنة» من الهند إلى ايران.

قال لسجّانه يوماً: إذهب الى بوذرجمهر وأسأل عنه من قبلك؛ سأل السجان عن حاله فقال بوذرجمهر: لدي دواءٌ اتعاطيه للتهدئة وهو التوكل على اللّه، زائداً على ذلك إني راضٍ بهذا الوضع لأنّه قد تحلّ أوضاع تكون أصعب مما أنا عليه الآن.

بذا تبين أنّ السجن لم يؤثر في بوذرجمهر سلباً، والتباعد عن المنصب والأهل والابناء والناس أجمع، قد عوضه بالتوكل على اللّه سبحانه والرضى بما هو عليه.

انوشيروان أراد أن يكون السجن لذلك الرجل عذبا لكنه خاب أمله فاستاء، طلب من رواد البلاط حلًا للوصول إلى مأربه، قال أحدهم: إن أردت أن يكون السجن له عذاباً يتلوع فيه، زج أحمقاً معتوهً في السجن معه لأنّ روح العاقل تتعذب من مجاورة الأحمق.

عثروا على أحمق واودعوه السجن إلى جانب بوذرجمهر، مضت ساعة من الوقت أجهش الأحمق بالبكاء؛ قال له بوذرجمهر: مم بكاؤك؟

فان صعوبة السجن تنتهي وفراق الأهل والأولاد لا يدوم فيُطلق سراحك!

قال الأحمق: لم يكن بكائي من ذلك، بل بكائي لسخلة أحبها، لأنّه متى ما تتكلم أو تأكل الطعام تتحرك لحيتك فاتذكر سخلتي.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 82

مذ ذلك الوقت أصبح بوذرجمهر يعاني من العذاب الروحي لأن الأمر كما يقال:

فلا تصحب أخا حمق واياك واياه فكم من جاهل اردى حكيما حين آخاه

آه آه من العين والقلب

بعد موت أحد حكام ايطاليا وجدوا في صندوقه الخاص كتاباً كتب فيه: «بعد موتي اعتذروا من الشعب الايطالي واطلبوا منهم أن يدعوا لي لأني خنت شعبي ووطني»، ثم شرح خيانته بما يلي:

كنت من أهالي قرية بعيدة من العاصمة، وكانت الاسرة التي أعيش فيها مغمورةً ضعيفة اقتصادياً؛ وقد كنت من ناحية السلوك والأخلاق في حرية مطلقة. من خلال نظرات غير بريئة أغرمت ببنة جارة لنا وكانت ذا وجاهة وجمال؛ خطبتها غير أنّ أمّها وأباها حالا دون وصولي إليها.

كنت مغرماً بحبها وكان قراري النهائي هو الوصول إليها ولذلك أخذت على نفسي البلوغ إليها بأي طريق كان.

سمعت يوماً أنّ مجوهراتياً محترماً قدم من العاصمة إلى قريتنا وبِدفع مبلغ باهض إلى أسرة البنت قد اشتراها من والدها وانتقل بها إلى العاصمة.

استصعبت البقاء في القرية فذهبت بشق الأنفس إلى العاصمة وكلّما بحثت عن تلك البنت ازددت خيبة.

بعد فترة تشكل حزب يحمل اسم «حزب تحرير العبيد»، وأنا بدوري التحقت بهذا الحزب وأصبحت عضواً فيه.

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 83

قام هذا الحزب في العاصمة بنشاطات ملفتة، في هذه الاثناء ولأجل فعالياتي الجادة في الحزب ورأيي الصائب، غدوت من رموز الحزب البارزة المعروفة.

لم يمض وقت طويل حتى فاز الحزب بتشكيل الحكومة ومن بين رجال الحزب فزت أنا لأكون حاكماً على البلاد.

بعد فترة أسررت لبطانتي أن يقيموا حفلة عشاء لباعة الجواهر الذين يعملون على مبايعة البنات أيضاً؛ حضر ما يقرب من أربعين جوهرياً ثرياً يعمل على مبايعة البنات. عند هدوء الليل أمرت بإبادة هؤلاء جميعاً ثم دفنهم سراً في منطقة مجهولة، والذي كنت ارمي إليه من خلال ذلك هو قتل واحد وهو الذي اشترى حبيبتي من أسرتها ثم اصطحبها إلى العاصمة ولكن بما أنّي لم أعرفه، فقررت أن أُبيد أبرز رجال هذا الصنف لأجل أن أعثر على هذه الفتاة في أُسرهم. تقدمت خمسون اسرة بشكاوى على فقد أرباب بيوتهم فأمرت بأن تجتمع العوائل بإمائها وعبيدها لأجل رعايتها، اجتمعت العوائل بأسرها ولكن لم أجد بينهم ضالتي.

بعد فترة سمعت بأن البنات الجميلات الايطاليات يُبعن بأسعار باهضة للدول المجاورة! ولذلك اختلقت حادثة حتى تندلع نار الحرب بين ايطاليا واحدى الدول المجاورة، وفعلًا قد دارت حرب ضارية؛ في إحدى ليالي أيام الحرب حيث الحرب كانت الأوضاع هادة نسبيّاً، أخذت بالارتياح؛ في زاوية من ثكنة الجيش، بعد لحظات ارتفعت ضجة سلبت مني الراحة، طلبت من المعنيين بالتفتيش عن السبب، رفعوا تقريراً

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 84

بأن جنديين أو ثلاثة تخاصموا واحدثوا ضوضاء على مومسة!

قلت: أحضروا المرأة والجنود، عند ما تفرست في وجه المرأة رأيت أنها تلك التي كنت اهواها بنظرات شهوانية آثامة.

لأجل فتاة طائشة تلاقفتها شهوات باعة البنات قتلت أربعين جوهرياً بريئاً وأضرمت النار في بيت المال وفي طاقات أبناء بلدي من دون مبررٍ ولذلك أعتذر من الناس وارجوا أن تطلبوا ليّ المعذرة منهم.

هذه هي حالة النفس حيث أنّه عند ما تخطأ العين والأُذن اللتان هما اداة بيدها تتبدل هذه النفس إلى نفس امارة بالسوء؛ وبعبارة: تنقلب إلى أفعى خطرة تبتلع في لحظة الايمان والاخلاق وكرامة الانسان فتهضمها تماماً طرفة عين!!

انذار الآيات والروايات

إن الخطر في هذا الباب بدرجة من الجسامة بحيث أن الرب الرحيم سبحانه الذي لا يريد للانسان إلّاسعادته ونموه وكماله، انذر في الكتاب العزيز تلويحاً أو تصريحاً للحذر عن معاشرة الأرجاس ومصادقتهم والتحبب إليهم ومن قبول ولايتهم؛ إن المولى الحق قد نزه المؤمنين في هذا النطاق واعتبر مجالات حياتهم مغلقة على شواذ المعاشرين وإن كانوا من أقرب الناس إلى الانسان حسباً ونسباً، فقال سبحانه وتعالى:

[لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ

كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...] «1».

أجل، اذا تطبع الأب أو الابن أو الأخوة أو الأقرباء بالطابع الشيطاني وأحسّ الانسان احساساً قاطعاً بانهم يريدون ابعاده من اللّه واهدار قيمه وسحق شخصيته الانسانية وتشويه سمعته الدنيوية والأُخروية؛ عليه أن يبتعد عنهم وفقاً لما أراده اللّه سبحانه وبالنسبة لوالديه، يكتفي بوشيجة الاحترام فحسب، قال سبحانه:

[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...] «2».

إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال في لزوم الإعراض عن الاشرار والمفسدين والذين يلحقون الأضرار بدنيا الانسان وآخرته وبوجه خاص يمثلون خطراً على الدين والتدين، قال ما يلي:

«إذا رَأَيْتُم أَهْلَ الرَّيْبِ وَالبِدَعِ مِنْ بَعْدِى فَأَظْهِرُوا البَرَاءَةَ مِنْهُمْ وَأَكْثِرُوا مِن سَبِّهِم وَالقَوْلِ فِيهِم والوقِيعَةِ وَبَاهِتُوهُم كَيلَا يَطْمَعُوا فِي الفَسَادِ فِي الاسلَامِ وَيَحذَرَهُمُ الناسُ وَلَا يَتَعَلَّمُوا مِن بِدَعِهِمْ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَكُم بِذَلِكَ الحَسَنَاتِ وَيَرفَعُ لَكُم بِهِ الدَّرَجَاتِ فِي الاخِرَةِ» «3».

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله أيضاً:

---

(1)- المجادلة (58): 22.

(2)- الممتحنة (60): 1.

(3)- الكافى: 2/ 375، باب مجالسة أهل المعاصى، حديث 4؛ وسائل الشيعة: 16/ 267، باب 39، حديث 21531؛ بحار الأنوار: 17/ 202، باب 14، حديث 41.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 86

«المَرْءُ عَلى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَن يُخَالِلُ» «1».

وقال أيضاً صلى الله عليه و آله:

«مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُواخِيَنَّ كَافِراً وَلَا يُخالِطَنَّ فَاجِراً وَمَنْ آخى كَافِراً أوْ خَالَطَ فَاجِراً كَانَ كَافِراً فَاجِراً» «2».

وقال نبي الاسلام صلى الله عليه و آله:

«الوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ قَرِينِ السَّوْءِ» «3».

روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام عند الإجابة على سؤال شيخ شامي عن مجالسة الشرير السيّء بأنه من هو؟ فقال:

«المُزَيِّنُ لَكَ مَعصِيَةَ اللَّهِ» «4».

وأيضاً عنه عليه السلام:

«ثَلاثٌ مَن حَفِظَهُنَّ كَانَ مَعصُوماً مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ وَمِن كُلِّ بَلِيَّةٍ: مَنْ لَمْ يَخْلُ بِامرَأةٍ لَيْسَ يَمْلِكُ مِنهَا شَيئاً وَلَمْ يَدخُل عَلى سُلطَانٍ وَلَم يُعِن صَاحِبَ بِدعَةٍ بِبِدْعَتِهِ» «5».

روى الامام موسى بن جعفر عليهما السلام عن نبي اللّه عيسى عليه السلام بأنه قال:

«إنَّ صَاحِبَ الشَّرِّ يُعْدِى وَقَرِينَ السَّوْءِ يُرْدِى فَانْظُر مَنْ تُقَارِنُ» «6».

---

(1)- الأمالى، شيخ طوسى: 518، مجلس 18، حديث 1153؛ بحار الأنوار: 71/ 192، باب 14، حديث 12.

(2)- صفات الشيعة: 6، حديث 9؛ بحار الأنوار: 71/ 197، باب 14، حديث 31.

(3)- أعلام الدين: 294؛ بحار الأنوار: 71/ 199، باب 14، حديث 37.

(4)- معانى الأخبار: 197، حديث 4؛ بحار الأنوار: 71/ 190، باب 14، حديث 3.

(5)- الجعفريات: 96؛ بحار الأنوار 71/ 197، باب 14، حديث 32.

(6)- الكافى: 2/ 640، باب من تكره مجالسته...، حديث 4؛ وسائل الشيعة: 12/ 23، باب 11، حديث 15542.

إن الامام الصادق عليه السلام قال لعمار بن موسى:

«يَا عَمّارُ! إنْ كُنْتَ تُحِبُّ أن تَستَتِبَّ لَكَ النِّعْمَةُ وَتَكْمُلَ لَكَ المُرُوَّةُ وَتَصْلُحَ لَكَ المَعِيشَةُ فَلَا تُشَارِكِ العَبِيدَ والسَّفِلَةَ فِي أمْرِكَ فَإنَّكَ إن ائْتَمَنْتَهُمْ خَانُوكَ وَإنْ حَدَّثْتُكَ كَذبُوكَ وَإنْ نُكِبْتَ خَذَلُوكَ وَإنْ وَعَدُوكَ أخْلَفُوكَ» «1».

وقال الامام الصادق عليه السلام لداود الرقّي:

«انظُر إلى كُلِّ مَنْ لا يُعْنِيكَ مَنفَعَةً فِي دِينِكَ، فَلَا تَعتَدَّنَّ بِهِ وَلَا تَرغَبَنَّ فِي صُحبَتِهِ، فَانَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى مُضمَحِلٌّ وَخيمٌ عَاقِبَتُهُ» «2».

وقال الامام محمد الجواد عليه السلام:

«إيّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الشَّرِيرِ فَانَّهُ كَالسَّيفِ المسْلُولِ يَحسُنُ مَنْظَرُهُ وَيَقْبُحُ أثَرُهُ» «3».

النهي عن معاشرة المعرضين عن الحق

إن آيات القرآن الكريم في ذلك تتضمن ارشادات في غاية الأهمية بحيث لو أنّ الناس اهتموا بتلك الارشادات لأدّى ذلك إلى سعادة دنياهم وآخرتهم:

---

(1)- الكافى: 2/ 640، باب من تكره مجالسته، حديث 5؛ وسائل الشيعة: 12/ 30، باب 16، حديث 15561.

(2)- قرب الإسناد: 25؛ بحار الأنوار: 71/ 191، باب 14، حديث 5.

(3)- بحار الأنوار: 71/ 191، باب 14، حديث 34؛ مستدرك الوسائل 12/ 312، باب 36، حديث 14173.

[وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ...] «1».

هناك من الافراد من انساه المال والثراء والرفاهية والتقدم في الحياة الدنيا عن ذكر اللّه فغفل عن أوامره، وظن أنّ المال والثراء مفتاح لكل معضلة وطريق لبلوغ كل شيء فيحسبون أنّ ثروتهم أصل وأساس ويظنون بأنهم يجب أن يحكموا على كل أحد وكل شيء، والجميع يلبّوا رغباتهم ويحترمونهم في كل موقع؛ حينذاك يمتلؤ ظرف وجودهم بالغرور وترتفع السنة نيران جهنم الاستكبار من داخلتهم فيبتلون بسلوك وخلق وتصرفات لا تزيدهم الا بعداً من اللّه وعصياناً لأوامره.

إنّ هؤلاء ينأون بأنسفهم عن علماء الدين ويفرون من المسجد والمحراب والوعظ والموعظة ولا يعتنون بالدين والمتدينين ويختارون طريقاً غير طريق اللّه ونظام الوجود ويُقبلون على المتع التافهة واللذات الحيوانية، ولا يبدون أدنى استعدادٍ لاستماع الحقائق الالهية، وكل من وقف إلى جانبهم يريدونه مثلهم مستهتراً ومارداً وخارجاً على الحق.

هؤلاء القوم يُعرفون في جميع المدن وبين كافة الأوساط وفي كل حيٍّ وزُقاق، إنّ القرآن الكريم يوصي الناس جميعاً بالاعراض عنهم وترك مصاحبتهم وعِشرتهم، فيقول:

[وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...] «2».

[وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ] «3».

---

(1)- الاسراء (17): 83.

(2)- انعام (6): 68.

(3)- سجده (32): 22.

هناك من الناس من يجب انذارهم بالآيات القرآنية وأمرهم بالمعروف ونهيم عن المنكر وأن تتم الحجة عليهم لكي تنفتح عليهم أبواب السعادة، ولكن عند ما يعطف عليهم بهذه الطريقة؛ تثور ثائرتهم ويعرضون عن آيات اللّه غاضبين ويتمسكون بعروة الشقاء والتعاسة ولا يرغبون في أن يتحلّون بالاخلاق الفاضلة والأعمال اللائقة والعقائد الصالحة.

اولئك، في هذه الحال يجدر أنّ يعتزلهم الناس ويجتنبون صحبتهم ومعاشرتهم حذراً من أن يلقون بالانسان في بئر الضلالة وان يسدون أبواب رحمة المولى الحق عليه وأنْ يحرمونه من سعادة الدارين، يقول الكتاب العزيز:

[فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا* ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ...] «1».

وهناك من الناس من يعرض بعلم وعمد عن ذكر اللّه والآيات القرآنية وحلال المولى الحق وحرامه والحقائق الأصيلة؛ ولا يفكر إلّابالشهوات الجنسية والثروة، المنصب والرياسة والهوى وإتّباعه.

إنّ هذا الصنف يريد أن توظف جميع شؤون الحياة وحتى كدح الناس في خدمة شهواتهم وأميالهم ورغباتهم الجامحة ويُقصون كل من لا يكون في مسار رغباتهم فينصبون له العداء ويكنّون له البغضاء.

هؤلاء لا يريدون هداية الرب سبحانه وليست لهم رغبة في الآخرة ولا يُقدّرون ما تحمّله الأنبياء من أتعاب ولذلك فان الرب الرحيم أمر بحزم

---

(1)- نجم (53): 29- 30.

«أن اعرضوا عن هذا النوع من الناس حفظاً لقيم الانسان واجتنبوا مخالطة ومعاشرة وصحبة هؤلاء الغافلون الجهلاء بالحقائق الالهية».

في الأخبار أيضاً وجّهت تحذيرات بليغة، وقد وردت الروايات التالية الهامة للغاية في هذا المعترك وهي أفضل مرشد.

الهروب من الصديق الأحمق

روي عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله بأنه قال:

«أحكَمُ النّاسِ مَنْ فَرَّ مِن جُهّالِ النّاسِ» «1».

وروي عن الصادق عليه السلام قوله:

«لَايَنبَغِي لِلمُسْلِمِ أن يُواخِيَ الفَاجِرَ، وَلَا الأَحْمَقَ، وَلَا الكَذّابَ» «2».

وعن الصادق عليه السلام أيضاً:

«كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ قَالَ: «يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَنِبَ مُوَاخَاةَ ثَلاثَةٍ: الْمَاجِنِ وَالْأَحْمَقِ وَالْكَذَّابِ أَمَّا الْمَاجِنُ فَيُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ وَيُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ وَلا يُعِينُكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ وَمَعَادِكَ وَمُقَارَنَتُهُ جَفَاءٌ وَقَسْوَةٌ وَمَدْخَلُهُ وَمَخْرَجُهُ عَلَيْكَ عَارٌ وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنَّهُ لا يُشِيرُ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ وَلا يُرْجَى لِصَرْفِ السُّوءِ عَنْكَ وَلَوْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَرُبَّمَا أَرَادَ مَنْفَعَتَكَ فَضَرَّكَ فَمَوْتُهُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ وَسُكُوتُهُ خَيْرٌ مِنْ نُطْقِهِ وَبُعْدُهُ خَيْرٌ مِنْ قُرْبِهِ وَأَمَّا

---

(1)- الأمالی، شیخ صدوق: 20، مجلس 6، حدیث 4؛ بحار الأنوار: 71/ 190، باب 14، حدیث 1.

(2)- الکافی: 2/ 375، باب مجالسة أهل المعاصی، حدیث 5؛ وسائل الشیعة: 12/ 29، باب 15، حدیث 15558؛ بحار الأنوار: 17/ 205، باب 14، حدیث 42.

الْكَذَّابُ فَإِنَّهُ لَا يَهْنَؤُكَ مَعَهُ عَيْشٌ يَنْقُلُ حَدِيثَكَ وَيَنْقُلُ إِلَيْكَ الْحَدِيثَ كُلَّمَا أَفْنَى أُحْدُوثَةً مَطَّهَا بِأُخْرَى حَتَّى أَنَّهُ يُحَدِّثُ بِالصِّدْقِ فَمَا يُصَدَّقُ وَيُغْرِي بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدَاوَةِ فَيُنْبِتُ السَّخَائِمَ فِي الصُّدُورِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ» «1».

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه و آله:

«أَرْبَعَةٌ مَفْسَدَةٌ لِلْقُلُوبِ الْخُلُوُّ بِالنِّسَاءِ وَالِاسْتِمْتَاعُ مِنْهُنَّ وَالْأَخْذُ بِرَأْيِهِنَّ وَمُجَالَسَةُ الْمَوْتَى فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا مُجَالَسَةُ الْمَوْتَى قَالَ مُجَالَسَةُ كُلِّ ضَالٍّ عَنِ الْإِيمَانِ وَجَائِرٍ عَنِ الْأَحْكَامِ» «2».

وقال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«قَطِيعَةُ الجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ العَاقِلِ» «3».

الجليس الشاذ

روى الامام الباقر عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله بأنه قال:

«إنَّ أسْرَعَ الخَيْرِ ثَوَاباً البِرُّ وَأسْرَعَ الشَّرِّ عِقَاباً البَغْيُ وَكَفى بِالمرْءِ عَيْباً أنْ يُبْصِرَ مِنَ النّاسِ مَا يَعْمَى عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ وَأن يُعَيِّرَ النّاس بِمَا لَإ؛ جحاً يَسْتَطِيعُ تَرْكَهُ وَأنْ يُؤذِيَ جَلِيسَهُ بِمَا لا يَعنِيهِ» «4».

والامام الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله بأنه قال:

«ألا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ قَالُوا: بَلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ أبْغَضَ النّاسَ وأبْغَضَهُ النّاسُ، ثمّ قَالَ ألا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا بَلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الَّذِى لَايُقِيْلُ عَثْرَةً وَلَا يَقْبَلُ مَعْذِرَةً وَلَا يَغْفِرُ ذَنْباً، ثُمَّ قَالَ: ألا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ قَالُوا بَلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ لَايُؤْمَنُ شَرُّهُ وَلَا يُرْجى خَيْرُهُ» «5».

وعن الامام الصادق عليه السلام بأنه قال:

«مَنْ خَافَ النّاسُ لِسَانَهُ فَهُوَ فِى النّارِ» «6».

وعن الرسول صلى الله عليه و آله بأنه قال:

«شَرُّ النّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُكْرَمُونَ اتِّقَاءَ شَرِّهِمْ» «7».

---

(1)- الكافى: 2/ 376، باب مجالسة اهل المعاصى، حديث 6؛ بحار الأنوار: 17/ 205، باب 14، حديث 43.

(2)- الأمالى، شيخ طوسى: 83، مجلس 3، حديث 122؛ وسائل الشيعة: 16/ 266، باب 28، حديث 21530؛ بحار الأنوار: 71/ 192، باب 14، حديث 10.

(3)- نهج البلاغة: 402، نامه 31 (وصايا شتى)؛ بحار الأنوار: 71/ 198، باب 14، حديث 34.

(4)- الأمالى، شيخ طوسى: 107، حديث 163؛ بحار الأنوار: 72/ 280، باب 71، حديث 4.

(5)- معانى الأخبار: 196، حديث 2؛ بحار الأنوار: 72/ 280، باب 71، حديث 5.

(6)- الكافى، 2/ 327، باب من يتقى شره، حديث 3؛ بحار الأنوار: 72/ 283، باب 71، حديث 11.

(7)- الكافى: 2/ 327، باب من يتقى شره، حديث 4؛ بحار الأنوار: 72/ 283، باب 71، حديث 12.

المعاشر الطاهر

إن غريزة الصادقة والميل للعشرة والصحبة، حقيقة أودعها المولى الحق في طبيعة الانسان وقد قدر رزق هذه الغريزة وهذا الميل وفق متطلبات الحكمة والمصلحة في كل عصر وزمان وذلك الرزق هو اناس شرفاء يمتلكون قيماً ملكوتية وصفات انسانية وخصائص بشرية عليا.

هذه الصفات والمعالم أوضحتها الآيات القرآنية والروايات والمعارف الاسلامية الحقة وقد وُضعت الصورة اللازمة في هذا الباب جامعة كاملة في متناول الناس جميعاً.

إن المعايير التي يمكن في ظلها معرفة الصديق الحقيقي والمعاشر الواقعي هي كالآتي:

الايمان باللّه واليوم الآخر، العمل الصالح، المعرفة والوعي الدينيين، الاخلاص والخلوص، المحبة والترحم، الوقار والطمأنينة، العطف وحب الآخرين، التأدب والحلم، الصفاء والتودد، الاستواء والاستقامة، الامانة والصدق، العفو والصفح...

هذه الخصال ونظائرها هي مجموعة يصفها أصحاب الفضل والفكر بالاخلاق الحسنة وهي التي امتدح المولى سبحانه نبيّ الاسلام صلى الله عليه و آله بها

فقال جلّ من قائل:

[وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ] «1».

ان الأخلاق الحسنة- التي هي مجموعة من القيم الملكوتية والمعالم الانسانية- اذا توفرت في احدٍ، يجدر أن ينفتح الناس عليه بالصداقة والصحبة وأن يقوموا بمعاشرته ومجالسته، أو على أقل تقدير يسكنون إلى جانبه في ساعة من الليل والنهار للتزود من أنفاسه القدسية واخلاقه الانسانية.

الخير العظيم

اذا حضر مناخ حياة الآدمي في مثل هذا الانسان وبزغ من أفق حياته وأضاء مثل الشمس على أرض وجوده، فعند ذلك يطمئن الى أنّه قد وصله من الباري سبحانه خير عظيم، قال نبي الاسلام صلى الله عليه و آله:

«مَن أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً رَزَقَهُ خَلِيْلًا صَالِحاً إنْ نَسِىَ ذَكَّرَهُ وَإنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ» «2».

قيمة صداقة الطيبين

إن النبي صلى الله عليه و آله شجّع ورغّب في معاشرة مثل هؤلاء الأناس الأجلاء- الذين عبّر عنهم صلى الله عليه و آله بالخير العظيم- وفي رواية يشير إلى قيمة مثل هذه

---

(1)- القلم (68): 4.

(2)- الامحجة البيضاء: 3/ 285، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

الصداقة:

«مَن آخى أخاً فِى اللَّهِ رَفَعَ اللَّهُ لَهُ دَرَجَةً فِى الجَنَّةِ لَايَنَالُهَا بِشَىءٍ مِنْ عَمَلِهِ» «1».

إن الصداقة والعِشرة في سبيل اللّه وللّه ولأجل الفوز برضى اللّه مع من تتوفر فيه الشرائط في مكانة من القيمة بحيث يقول الرسول صلى الله عليه و آله عنها:

«يُنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ النّاسِ كَراسِىَ حَوْلَ العَرْشِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ يَفْزَعُ النّاس وَلَا يَفْزَعُونَ وَيَخَافُ النّاس وَلَا يَخَافُونَ، هُم أولياءُ اللّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ، فَقِيْلَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللّهِ؟

قَالَ هُمُ المتَحَابُّونَ فِى اللّهِ» «2».

وردت رواية هامة جداً في هذا المجال، تقول:

«انَّ اللّهَ تَعَالى يَقُولُ: حَقَّتْ مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أجْلِى، وَحَقّت مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَناصَرونَ مِنْ أجْلِى، وَحَقّت مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِن أجْلِى، وَحَقَّت مَحَبَّتِى لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِن أجلِى» «3».

أن قيمة هذا النمط من الصداقات والمصاحبات في درجة من الأهميّة بحيث تطلب الملائكة من الرب الرحيم سبحانه أن يحققه بين عباده الصالحين.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

---

(1)- الامحجة البيضاء: 3/ 285، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

(2)- مجمع الزوائد: 10/ 277؛ الامحجة البيضاء: 3/ 286، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

(3)- مسند احمد: 4/ 386؛ المحجة البيضاء: 3/ 286، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

«إنَّ للّهِ مَلَكاً نِصْفُهُ مِنَ النّارِ وَنِصْفُهُ مِنَ الثَّلجِ يَقُولُ: اللّهُمَّ كَمَا ألَّفْتَ بَيْنَ الثَّلجِ وَالنّارِ أَلِّفْ بَيْنَ عِبَادِكَ الصّالِحِينَ» «1».

وفي اقتناء هذا النوع من الأصدقاء- الذي هو حقاً مصدر لخير دنيا الانسان وآخرته- يقول الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«عَلَيْكُمْ بِالإخوَانِ فَانَّهُمْ عُدّةٌ فِى الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، أَلا تَسْمَع إلى قَولِ أهْلِ النّارِ [

فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ* وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ] «2». «3» إن اختيار معاشر قيم وصديق ايجابي في موقع بحيث ورد في أخبار النكاح: من تزوج امرأة لائقة وقرينة صالحة، كان في الذين يحبون ويعشقون للّه وفي سبيل اللّه كما في هذا الخبر:

«مَنْ نَكَحَ إمْرَأَةٍ صَالِحَةٍ لِيَتَحَصَّنَ بِهَا عَنْ وَسواسِ الشَّيطَانِ وَيَصُونُ بِهَا دِينَهُ أو لِيُولَدَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدعُو لَهُ وأحبَّ زَوْجَتَهُ لأنَّهَا آلَتَهُ فِي هذِهِ المَقَاصِدِ الدينِيَّةِ فَهُوَ مُحبٌّ فِي اللّهِ تَعَالى» «4».

إن الصديق والجليس الذي يكون ايجابياً ويخطو خطاه في طريق الحق ويحظى بخلق نظيف وعمل ظاهر، لا يستطيع أبداً أن يكون محايداً أمام حالات واعمال وانماط وعادات الانسان؛ فانه لأجل ايمانه واهتمامه باليوم الآخر وحنانه لصديقه وشفقته عليه، يرى نفسه مسؤولًا على أن لا

---

(1)- المحجة البيضاء: 3/ 289، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

(2)- الشعراء (26): 100- 101.

(3)- المحجة البيضاء: 3/ 289، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة؛ مستدرك الوسائل: 8/ 323، باب 7، حديث 9559 (مع اختلاف يسير).

(4)- المحجة البيضاء: 3/ 297، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

يترك صديقه وحيداً فريداً حيال اخطار الفتن، ووساوس وحبائل الشياطين وفساد الزمن والعواصف الاجتماعية فيحميه كالدرع الفولاذي؛ فإنّه يعطف عليه في أجواء: [تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ] «1» [وَ تَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ] «2»، ويسدده في الدواهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وينمية في تربة الحسنات كما يصنع البستاني الماهر ويوصله إلى غاية كماله الانساني.

إن الصديق الايجابي والصاحب المشفق، داعية للانسان إلى اللّه يكفل خير دنياه وآخرته، لأن الانسان الايجابي يَعدّ نظيره أمانة ربانية في عنقه ولذلك يعطي الأمانة حقها على أحسن وجه.

وينبغي الانتباه إلى هذه الحقيقة الناصعة بأنه لا صديق ايجابي للانسان إلّا اللّه والأئمّة والمؤمنين حقاً:

[... وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً] «3».

هؤلاء لا يريدون للانسان إلّاخيره وعمران دنياه وآخرته ونموّه وكماله وتربيته وأن يبلغ وجوده مستواً من النضوج بحيث يأتي بثماره المرجوة.

هؤلاء أربّة مدرسة الوحي التي مصدرها هو الرب الذي وصف نفسه بارحم الراحمين؛ وارِبّة نبي يوصف بأنه رحمة للعالمين؛ واربّة أهل بيت

---

(1)- العصر (103): 3.

(2)- البلد (90): 17.

(3)- النساء (4): 69.

يُعدّون سفينة النجاة وخزانة العلم ومعدن الرحمة.

هؤلاء يُعطّرون طينة وجود الانسان برائحة وردة وجودهم الذي هو طيب التربية والنمو والروحانية وهم الذين يحيلون مناخ حياة الانسان إلى روضة مفعمة بورود الاخلاق والعمل الصالح والعقائد الحقة والايمان الإيجابي.

إن سعدي الشيرازي قد أنشد أبياتاً صور فيها هذا المعنى الدقيق فهو يقول:

وبيناي في الحمام إذ وصَلت إلى ... يدي طينةٌ فوّاحة من يدي حبّي

فقلت أمِسْكٌ أنت أم أنت عنبر ... فنفحك هذا قد تعشَّقهُ قلبي

فقال تراب لستُ شيئاً وإنما ... جلست بظل الورد حيناً على العُشبِ

فصحَبتُه أعلَت مقامي كما ترى ... وإن كنتُ طيناً لا أزالُ من التُّرب

إن خير الدنيا والآخرة مع الصديق الصالح

إن الصاحب الايجابي والصديق الصالح سبب لخير الدنيا والآخرة، وفي هذا الموضوع رواية هامة رُويت عن مولى الموحدين أميرالمؤمنين وهي:

«جُمِعَ خَيْرُ الدُّنيَا وَالاخِرَةِ فِي كِتْمَانِ السِّرِّ وَمُصَادَقَةِ الأخيَارِ وَجُمِعَ الشَّرُّ فِي الإذَاعَةِ وَمُواخَاةِ الأَشْرَارِ» «1».

---

(1)- الإختصاص: 218؛ بحار الأنوار: 71/ 178، باب 11، حديث 17؛ مستدرك الوسائل: 8/ 328، باب 10، حديث 9572.

إنّ التأكيد على حمل الانسان على أن يصاحب ويصادق الأنبياء والأئمّة عليهم السلام- حيث أنّهم ليسوا بيننا في وجودهم المادي- في داخلته، وأن يجالس الطاهرين الأخيار من أبناء زمانه، إنّ ذلك لأجل أن جميع الخيرات والحسنات تجتمع في هؤلاء الأبرار؛ ومعاشرة هؤلاء- سواء في الباطن أو الظاهر- تنقل إلى الانسان حسناتهم بقدر سعة وجوده وأنّ وجودهم يؤثر في باطن الانسان وظاهره.

إن الشيخ الطوسي، ذلك الفقيه العظيم والمفسر المحقق والعالم الأوحدي، يروي عن الصادق عليه السلام انّه قال:

«نَحْنُ اصلُ كُلِّ خَيْرٍ وَمِن فُرُوعِنَا كُلُّ بِرٍّ وَمِنَ البِرِّ التَّوحِيدُ وَالصلَاةُ وَالصِّيَامُ وَكَظْمُ الغَيْظِ وَالعَفْوُ عَنِ المسىءِ وَرَحْمَةُ الفَقِيرِ وَتَعَهُّدُ الجَارِ وَالإقْرَارُ بِالفَضْلِ لِأهْلِهِ وَعَدُوُّنَا أصْلُ كُلِّ شَرٍّ وَمِن فُرُوعِهِم كُلُّ قَبِيحٍ وَفَاحِشَةٍ فَمِنْهُم الكَذِبُ والبُخْلُ وَالنَّمِيمَةُ وَالقَطِيعَةُ وَأكلُ الرِّبَا وَأكلُ مَالِ اليَتِيمِ بِغَيْرِ حَقِّهِ وَتَعَدّى الحُدُودِ الَّتى أمَرَ اللَّهُ وَرُكُوبُ الفَواحِشِ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ وَالزِّنَا وَالسَّرِقَةُ وَكُلُّ وافَقَ ذَلِكَ مِنَ القَبِيحِ فَكَذِبَ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفُرُوعِ غَيْرِنَا» «1».

الجليس الصالح في رؤية الامام أميرالمؤمنين عليه السلام

إن الامام أميرالمؤمنين ومولى المتقين عليه السلام يقول عن الصديق الجيد ونفسيته القيمة:

---

(1)- الكافى: 8/ 242، حديث القباب، حديث 336؛ بحار الأنوار: 24/ 303، باب 66، حديث 15 (مع اختلاف يسير).

«لَايَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتّى يَحْفَظَ أخَاهُ فِي ثَلَاثٍ: فِي نَكبَتِهِ، وَغَيْبَتِهِ وَوَفَاتِهِ» «1».

وعليه إنّ الصديق الصالح هو الذي يهرع إلى اسعاف صديقه عند محن الزمان وبلاياه وذلك بالمال والوجاهة واللسان والفعل الى أن يفلح بدفع البلايا والمحن عنه، وهكذا يحفظ غيبه ويسكت الأصوات المعادية التي تنال منه، وعند موته يأخذ على عاتقة الاهتمام بشؤونه فيرعى ابنه وعياله.

اذا قامت الصداقة والصحبة على هذا الأساس الذي رسمه أميرالمؤمنين عليه السلام، ستغدُ وحياة الناس أجمع نموذجاً من الحياة في الجنان في اليوم الآخر.

قد يقول قائل بأن تحقق مثل هذه الصداقة صعب جداً، بل قد يكون متعذراً! وفي الجواب يلزم أن يقال:

إن أربّة القرآن ومدرسة أهل البيت عليهم السلام كانوا في العِشرة وفي صحبة الآخرين على هذه الشاكلة من دون أن يشعروا بالضيق منها، فانهم بافعالهم قد برهنوا على ان كل فعل ايجابي سهل في ميدان الخلق والتدين.

في الفصل الآتي سنشير إلى جانب من الحياة النورانية للذين اختاروا الانبياء والأئمة والصالحين الأطهار جلساءً لهم.

---

(1)- نهج البلاغة: 494، حكمت 134؛ وسائل الشيعة: 12/ 26، باب 13، حديث 15550؛ بحار الأنوار: 71/ 163، باب 10، حديث 28.

مجالسة الأنبياء

الاقتناء النابع من البصيرة

دونما شك اذا كان اختيار الصديق والجليس- بل استمرار كل عمل- وديمومة الصحبة والصداقة مع أيأحد اذا كان قائماً على البصيرة والوعي فانه سيرقى بفاعله ذلك إلى حيث الاهداف الناجعة والمباركة التي ينطوي عليها ذلك العمل وتلك الصداقة.

إنّ ذانك الوعي وتلك البصيرة إنّما يتحصلان من طريق التدارس الدقيق والفكر الصحيح واستشارة العقلاء والاعتماد على المعارف الإلهية والحدود الدينية.

لقد كان الوعي والبصيرة في غاية الأهمية بحيث أنّ البارئ الرؤوف الرحيم يقول لنبيه صلى الله عليه و آله: عرف الناس طريقك ودينك ومنهجك وقل أنا وأتباعي ندعوا الانسان إلى اللّه، وذلك كما ورد في الآية التالية:

[قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي...] «1».

إن الذين همّوا باختيار الاصدقاء وفقاً لمتطلبات التعقل والتفكير والبصيرة والرؤية الصائبة ووضعوا يد الصداقة- خصوصاً في المجالات التي أوصى بها اللّه تعالى- في أيدي الأنبياء، تحوّلت- ببركة هذا الارتباط

---

(1)- يوسف (12): 108.

المعنوي والاتصال الروحي- نبتة وجودهم إلى شجرة وافرة الثمار، قيمة، مفيدة؛ وبعبارة اخرى: يتحول وجودهم إلى وجود ثان للمحبوب والمعشوق:

أنا من أهوى من أهوى أنا — نحن روحان حللنا بدنا

فاذا ابصرتني ابصرته — واذا ابصرته ابصرتنا

إن القرآن المجيد يعرّف أشخاصاً كانت في داخلتهم شمعة ضئيلة النور من العقلانية والحجا وشعلة ضئيلة من الرغبة في القيم وقد منعتهم تلك الشمعة الضعيفة والشعلة الضئيلة عن التلوث بأنواع المفاسد المهلكة ومن السقوط في وادي الضياع الأبدي.

إنّ هؤلاء بفضل التعقل وبفضل ذانك النور الباطني، حينما صاحبوا الانبياء وصاروا من بطانتهم وحضوا بجانب من ثقافتهم الاصلية ومدرستهم الربانية المفلحة في طريق النمو والكمال، بلغوا مقامات ومراتب تدهش كل انسان وتحيره وتبهته.

من جملة هؤلاء:

مؤمن آل فرعون،

آسية زوجة فرعون؛

وحبيب النجار.

مؤمن آل فرعون

إن مؤمن آل فرعون مع انّه كان ابن عم فرعون أو ابن خالته، بحسب

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 105

الروايات وكما تفيده الآية:

[وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ...] «1».

مع ذلك آمن بموسى بعد مشاهدة خلقه وسجيته ومنهجه وثبات ثقافته وربانيته، فاستجاب لدعوة موسى في داخلته وربط روحه وقلبه بذلك الانسان الالهي وبدينه ووضعهما في طريق النمو والتطور، غير انّه كان يخفي إيمانه من فرعون وزبانيته في بلاطه حتى لا يعرف أنّه تابع لموسى وصاحب له، ومن خلال هذا الطريق- الذي هو طريق التقية القويم الرزين- تمكن من اسداء الخدمة لموسى وأخيه هارون وحمايتهما من خطر القتل بيد فرعون الآثمة.

إنّ مؤمن آل فرعون كان انساناً ذكياً دقيقاً، عارفاً بالظروف المؤاتية فكان قوياً مقتدراً للغاية في منطقه حيث تمكن من أن ينصر موسى في لحظات حرجة حتّى أنقذه من مخططات فرعون الداهمة كما ورد في الآيات التالية:

[وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ* يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ ما أُرِيكُمْ إِلَّا ما أَرى وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ* وَ قالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ* مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ

---

(1)- المؤمن (40): 28.

وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ* وَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ* يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ* وَ لَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ* الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ أَتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ] «1».

إنّ اختياره لموسى وهارون لصداقتهما المستنيرة وشفقتهما الفريدة، كان له الدور المؤثر والمفيد في تاريخ موسى وبني إسرائيل.

آسية زوجة فرعون

إنّها بعقلها ودرايتها وبصيرتها ورؤيتها الصائبة، إطّلعت على حقانية موسى وثقافته الطاهرة فآمنت به برغبة تامة واختارته مرشداً لها وقد كان أكثر الناس شفقة عليها وقد بلغت مقامات انسانية وربانية رفيعة وذلك بفضل صبرها واستقامتها وصمودها وثباتها في طريق الحق واحتمالها لشتى أقسام التعذيب على يد الظالمين.

إنّها بتحلّيها بالمعتقدات الصحيحة والإقبال على الأعمال الصالحة وتزينها بالاخلاق الحسنة- مع انها كانت في بلاط يسوده الكفر والشرك والبطش والاضطهاد والرياء والخديعة، فمع ذلك كله- رفعت شأن المرأة في التاريخ وبيضت وجوهها وأصبحت حجة اللّه ودليلًا يهدي إلى

---

(1)- المؤمن (40): 28- 35.

الصراط المستقيم وأوصدت أبواب كل الاعذار على رواد الفساد والفسق والفجور.

إنّ فرعون بعد علمه بايمان آسية بموسى عليه السلام في بادئ الأمر اغراها بدفع ثروات طائلة إليها وبناء بيوت فخمة لها مع توفير اثاث منزلي لا نظير له حتى تتخلى عن ولائها وتعمل على انكارها لموسى لكي لا يتخذها الآخرون قدة في الايمان به، إلّاأنها أجابت على فرعون قائلة:

لا حاجة لي بثروتك ومجوهراتك وبيتك، ما اعطانيه ربي ومعبودي ومحبوبي اعتماداً على وعده الحق- الذي يمنح في الآخرة وفق ما قاله موسى وورد في التوراة وهما الصادقان المصدقان- أولى ممّا تريد أن تدفعه إليَّ.

بعد ذلك قام فرعون بتهديدها بالتنكيل المؤلم والعذاب الشديد وانتزاع مناصبها في البلاط، لكنها في رد على تهديداته قالت:

لا ترهبني هذه الأشياء ولحماية ديني مستعدة لاحتمال مختلف أنواع التعذيب ولا أتخلى عن دين اللّه بحال ولا أنكر على موسى دعوته، هذا الرجل المنقذ للانسان في الدنيا والآخرة والمشفق الأول على عباد اللّه.

فرعون- ذلك المتكبر الطاغية المريد- أمر أن تُلقى آسية أرضاً وتقرع الأوتاد على أطرافها وينزل بها أشد العذاب عند عطشها وجوعها وأن توضع عليها صخرة عظيمة تحطم عظامها!

من تحت وطأة أشد العذاب خاطبت آسية موسى قائلة:

يا كليم اللّه! أتنظر إلى مواليتك في هذا البلاد؟ فأجابها موسى قائلًا:

إنّ ملائكة السماء ينظرون إليك، ففي هذه الحال توجهي بالدعاء إلى اللّه سبحانه «1».

آسية توجهت إلى اللّه بالدعاء امتثالًا لطلب موسى، وبعد لحظات فاضت روحها الطاهرة ونفسها الزكية فأخذت مكانها في جوار رحمة ربها وفي القرب منه وتنعمت بنعمه فارغة البال مطمئنة.

لكي نطّلع على قيمة صنيع هذه المرأة- التي طردت عدو اللّه من اجواء حياتها واتخذت موسى ولياً ومرشداً وصديقاً ايمانياً حقيقياً لها بفضل اعتمادها العقل دليلًا- علينا أن ننعم النظر في الآية التالية التي حوت نكات غاية في الأهمية:

[وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] «2».

في ليلة القدر- التي هي خير من ألف شهر بفضل الإحياء والعبادة- آلاف الأشخاص وبعيون دامعة وفي حال انابة وتوبة، يضعون كتاب اللّه على رؤوسهم ويقسمون اللّه لكي يدخلهم في رحمته ويجنبهم العذاب، وذلك بالعبارات التالية:

«اللَّهُمَّ بِحَقِّ هذَا الْقُرْآنِ وَبِحَقِّ مَنْ أَرْسَلْتَهُ بِهِ وَبِحَقِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مَدَحْتَهُ فِيهِ» «3».

---

(1)- تاريخ الأنبياء: 103.

(2)- التحريم (66): 11.

(3)- الإقبال: 187، ذكر دعاء آخر للمصحف الشريف؛ بحار الأنوار: 95/ 146.

ومن جملة الذين امتدحهم اللّه في محكم كتابه، آسية زوجة فرعون.

ولنسأل حقاً: ما هو الموقع العظيم المرموق لهذا المرأة حيث يقسمون اللّه به الذين يحيون ليلة القدر لأجل أن يفتح اللّه عليهم أبواب لطفه لقبولهم؟

حبيب النجار

كان حبيب النجار انساناً صالحاً وكريماً، فقد بلغ مبلغاً من الكمال والنمو بحيث امتدحه القرآن الكريم وذلك لأنّه اختار ثلاثة من الأنبياء أصدقاءً ومرشدين ووعى أنّه لم يسبق الأنبياء أحد في الرحمة والشفقة، ومن ثَمَّ يلزم الاستفادة منهم والاهتداء بنورهم.

عند ما ضيق الناس في انطاكية الخناق على ثلاثة من الانبياء وواجهوهم بالعناد والمكابرة ورفضوا دعوتهم، انطلق من اقصى المدينة مسرعاً لنصرتهم فخاطب الناس بشفقة ورحمة:

[وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ* اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ* وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لا يُنْقِذُونِ* إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ* قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ* بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ] «1».

---

(1)- الآيات 20- 27 من سورة يس.

إن الأنطاكيين الجهلة وأهالي المدينة المتعنتين المكابرين، لم يتفاعلوا مع خطب حبيب النجار السديدة المحكمة ولم يصغوا لتلك الحقائق القيمة بل غضبوا منه وحقدوا عليه وهاجموه لا لذنب إلّالإيمانه بالأنبياء والعمل على نصرتهم فانهالوا عليه بالضرب المبرح الشديد حتى نال درجة الشهادة على يد هؤلاء الأشقياء «1».

الامام أميرالمؤمنين عليه السلام ومجالسة الأنبياء

إن الامام أميرالمؤمنين عليه السلام الذي كان يحضى بعقل كامل ودراية جامعة وبصيرة فريدة وذكاء متفوق، كان من لحظة وروده في خيمة الحياة، مصاحباً ومجالساً ومناجياً وصديقاً لنبي الاسلام صلى الله عليه و آله في الظاهر وللأنبياء الآخرين في

الباطن بل اختار اخاً أعز من نفسه باختياره لرسول اللّه، وبانتقال جميع قيمهم إلى وجوده الطاهر ففاقهم بعد أن فاقهم نبي الاسلام صلى الله عليه و آله.

يمكن البرهنة بسهولة على منزلة الامام العالمية وعلى تفوقه على جميع الأنبياء عليهم السلام بعد النبي الأكرم من خلال الآيات القرآنية وعلى وجه الخصوص آية المباهلة وكذلك الروايات الوفيرة التي تناقلها الشيعة وأهل السنة، وأنّه لمعروف بان الامام قال:

«كُنْتُ مَعَ الْانْبِيَاءِ سِرّاً وَمَعَ مُحَمَّدٍ جَهْراً»؟

وفي رسالته المفعّمة بالعاطفة الملأى بالموعظة والنصيحة التي كتبها

---

(1)- الآية 26 من سورة يس.

لابنه الامام الحسن عليه السلام- وهي التي يجب على كل أب أن يُعلّمها لابناءه ويربيهم بحسب مضامينها- صرّح بأنّه من طرق الباطن ومن خلال الاسفار العقلية عاش مع الماضين حتى صار كأنّه أحدهم فقال:

«أَى بُنَيَّ إِنّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِى، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أعمَالِهِم، وَفَكَّرْتُ فِي أخبَارِهِم، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِم حتّى عُدْتُ كَأَحَدِهِم، بَلْ كَأَنّي بِمَا انْتَهى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِم قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِم... «1»

نعم، إنّه في عالم الباطن ومن طريق عقله وقلبه ومن خلال الآيات القرآنية والارشادات النبوية اتصل بالصالحين من الماضين وبالأنبياء بشكل خاص اتصالًا روحياً إلى أن غدى واحداً منهم كما قال عليه السلام.

في هذا الجانب فالننعم النظر في الرأي الرباني والملكوتي للرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وتقييمه الرزين للامام أميرالمؤمنين حتى نعرف ماذا تصنع روحانية الجليس بالانسان والى أيمرتبة ودرجة ترتقى به.

يقال كان الرسول الأكرم جالساً بين جماعة من أصحابه واذا بأميرالمؤمنين علي عليه السلام يقبل على رسول اللّه فعندها قال صلى الله عليه و آله:

«مَنْ أرادَ أنْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ فى خُلْقِهِ، وَإلى نُوحٍ فى حِكْمَتِهِ، وَإلى إبراهِيمَ فى حِلْمِهِ فَلْيَنْظُرْ إلى عَلىّ بْنَ أبى طالب عليه السلام» «2»

. وقال صلى الله عليه و آله أيضاً:

«مَنْ أرادَ أنْ يَنْظُرَ إلى آدَمَ فى عِلْمِهِ، وَإلى نُوحٍ فى فَهْمِهِ، وَإلى يَحيَ بْنِ

---

(1)- نهج البلاغة: 393، نامه 31؛ بحار الأنوار: 47/ 221، باب 8، حديث 2.

(2)- الأمالى، شيخ مفيد: 14، حديث 3؛ بحار الأنوار: 39/ 36، باب 73، حديث 4.

زَكَرِيّا فى زُهْدِهِ وَإلى مُوسَى بْنِ عِمْرانَ فى بَطْشِهِ، فَلْيَنْظُرْ إلى عَلىّ بْنَ أبى طالب عليه السلام» «1»

. قال الشاعر الفارسي وحشي بافقي «2»:

من خلال اتصال الروح بالروح — باب من المعرفته مفتوح

حينما يفتح باب ذينيك القلبين — يكون دائماً رسول في الطريق

اينما كان باب من الحجر والطين — يمكن قلعه إلّاباب القلب

إن الامام الحسين عليه السلام الذي كان يرى الأنبياء ويرى قيمهم الوجودية تبعاً في مرآة القرآن وفي افق وجود نبي الاسلام صلى الله عليه و آله وفي صفحة بصيرته الوضاءة ورؤيته التامة، قد عشقهم في الأعماق وقد كان مرافقاً ومناجياً لهم في عالم الباطن فتطبع بطبائعهم حتى غدا وارثاً لهم.

عند ما نقول أن الحسين وارث الأنبياء، لا نعني بأنه ورثهم موروثاً مادياً، بل نعني بأن ذلك الانسان الذي كان موضع تجلي الحقيقة الصرفة، قد ورث جميع قيمهم الربانية والروحانية.

---

(1)- روضة الواعظين: 1/ 128، شواهد التنزيل: 1/ 103، حديث 117؛ كشف الغمة: 1/ 113؛ بحار الأنوار: 39/ 38، باب 73، حديث 10.

(2)- فهو يقول:

ز راه نسبت هر روح با روح — دری از آشنایی هست مفتوح

میان آن دو دل کاین در بود باز — بود در راه دائم قاصد راز

بود هر جا دری از خشت و از گل — در آوردن توان الا در دل

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 113

إن الأنبياء وإن كان كل منهم منشغلًا بعمل دنياويٍ لتمشية شؤون حياتهم المعاشية، لكنهم في تكاليفهم المادية- في المأكل والملبس والمسكن- كانوا يتمثلون القناعة على أحسن وجهها فيحترفون الزهد وكانوا ينفقون الزائد من دَخْلهم في سبيل اللّه أيام حياتهم حتى لا يبقى بعد موتهم شيئاً من حطام الدنيا إرثاً الا النزر اليسير.

اغلى وأجل ميراث تركه الأنبياء من بعدهم هي القيم الالهية- الانسانية، والثقافة الخلاقة- النظيفة وعليه أنّ كل إنسان بكشفه عن لياقته وجدارته ومن خلال حسبه ونسبه المعنويان، يصلح لأن يكون وارثاً لهؤلاء الأبرار، ولقد كان السهم الأكبر بين أسهم الوراثة للحسين عليه السلام.

إن الحسين عليه السلام ورث من آدم، مقام الخلافة ومقام العلم بالأسماء وكذلك مقام الهداية والكرامة، وورث من نوح عليه السلام مقام التبليغ والصبر والاستقامة والشفقة والمحبة لعباد اللّه، ومن ابراهيم عليه السلام مقام الخلة والدعاء والتسليم والإمامة، ومن موسى مقام الأناة والنضال المحتدم ضد الطغاة، ومن عيسى مقام الروحانية والباطنية، ومن نبي الاسلام صلى الله عليه و آله جميع القيم الالهية كما أنّه ورث من آدم جميع الحقائق؛ وبالتحديد من خلال هذه الوراثة والصحبة الباطنية يُخاطب عليه السلام في «زيارة وارث» بالخطاب التالي:

«أَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادِى الْمَهْدِيُّ» «1»

_____.

(1)- تهذيب الأحكام: 6/ 113، حديث 17؛ مفاتيح الجنان، زيارت وارث.

مجالسة القرآن

ندماء القرآن

القرآن الكريم رزق معنوي

إن الوجود المبارك للمولى الحق الذي يعطف على مخلوقاته- وعلى الانسان بوجه خاص- ويعشقهم ويتودد إليهم ويحبهم، وقد اقتضى حبه أن يرزق الانسان رزقاً روحانياً زائداً على رزقه المادي، وبعبارة أفضل يستجيب لجميع حوائجه من أجل عمران دنياه وآخرته؛ فقد بلغ غاية حبه وتوده بنزول القرآن الكريم الذي هو مصدر توفير خير دنيا الانسان وآخرته.

إن القرآن الكريم كما قال الامام أميرالمؤمنين عليه السلام كشف عن منهجين:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الخَيْرَ والشَّرَّ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا» «1».

إن القرآن دستور حياة الانسان إلى قيام الساعة، وفي هدايته أكمل وأشمل كتاب رأته عين الوجود وأبصرته عين الخليقة.

وبما أن الصداقة والعشرة- سواء في الجهة الايجابية والصحيحة أو الجهة السلبية أو الخاطئة- تترك أهم وأمضى أثر في أجواء حياة الانسان؛

---

(1)- نهج البلاغة: 242، خطبه 167؛ بحار الأنوار: 32/ 40، باب 1، حديث 26.

اختص جانب من هداية القرآن بهذه المسألة الهامة للغاية.

التزود من خير الدنيا والآخرة

اذا نظر الانسان إلى كتاب اللّه بوصفه علاجاً ناجعاً وأخذ به في جميع شؤون حياته، سيعج فضاء حياته ومسرح عيشه بالخير الوفير ويسلم من كل نكبة وبلاء.

ويحسن أن نعيد هنا ما قاله الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالى أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الخَيْرَ والشَّرَّ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا» «1».

ان التعامل الصحيح مع القرآن، يرقى بالانسان إلى الكمال المنشود في جميع مرافق الحياة ويضمن سلامته المادية والروحية ويأخذ بيده إلى كسب رضا اللّه سبحانه وجنته ونعيمه كما أنّه يزينه بالقيم الربانية ويجعل منه نبعاً يفيض بالبركة وشجرة تؤتي أكلها بوفرة باذن ربها.

القرّاءُ، ثلاث طوائف

إن الامام محمد الباقر عليه السلام قسم قراء القرآن بحسب نوعية ارتباطهم به إلى ثلاث أصناف يدين صنفين منهم ويعدُّ الثالث بأنّه من أهل القرآن، فيقول:

«قُرَّاءُ القُرآنِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ قَرَأَ القُرانَ فَاتَّخَذَهُ بِضَاعَةً وَاسْتَدَرَّ بِهِ المُلُوكَ

---

(1)- نهج البلاغة: 242، خطبه 167؛ بحار الأنوار: 32/ 40، باب 1، حديث 26.

وَاستَطَالَ بِهِ عَلَى النّاسِ، وَرَجُلٌ قَرَأَ القُرآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ، وَضَيَّعَ حُدُودَهُ وَأَقَامَهُ إقَامَةَ القِدْحِ فَلَا كَثَّرَ اللَّهُ هؤلَاءِ مِنْ حَمَلَةِ القُرآنِ، وَرَجُلٌ قَرَأَ القُرانَ فَوَضَعَ دَوَاءَ القُرآنِ عَلى دَاءِ قَلْبِهِ، فَأَسْهَرَ بِهِ لَيْلَهُ، وأَظْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ وَقَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ وَتَجَافى بِهِ عَنْ فَرَاشِهِ فَبِأولَئِكَ يَدْفَعُ اللَّهُ العَزِيزُ الجَبَّارُ البَلَاءَ وَبِأُولَئِكَ يُديلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الأَعْدَاءِ وَبِأُولَئِكَ يُنَزِّلُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ فَوَاللَّهِ لَهُؤلَاءِ فِي قُرّاءِ القُرانِ أعَزُّ مِنْ الكِبْرِيتِ الأحْمَرِ» «1».

أجل، أن قرّاء القرآن الحقيقين قبل كل شيء يخلصون قلوبهم بالآيات القرآنية لأنّه من طريق معرفة الآيات يطّلعون على الأمراض القلبية مثل الحسد والحرص والحقد والبخل والطمع والرياء و... ويعالجون قلوبهم بالاهتمام بالآيات وذكر اللّه وتذكر يوم الحساب وفي نهاية الأمر من خلال عملهم بالقرآن- وبتعبير الامام الباقر عليه السلام بوضع دواء القرآن على قلوبهم- يجعلونها في افق بزوغ التوحيد واليقين بالآخرة، ومن طريق إزالة الرذائل يتخذونها محطة للحسنات.

عند ما يُعالج القلب بهذه الطريقة يغدو ليل الناس نهار رجال اللّه، كما قال الشاعر الفارسي «2»:

---

(1)- الكافى: 2/ 627، باب النوادر، حديث 1؛ وسائل الشيعة: 6/ 182، باب 8، حديث 7678.

(2)- سعدى الشيرازى،، المواعظ:

ليل رجال اللّه نهار يضيء العالم حقّاً ليس للنجوم الوضّاءة ليل مظلم

ليل رجال الله نهار يضيء العالم حقا ليس للنجوم الوضاءة ليل مظلم

إن ليل رجال اللَّه، ليل الابتهال إلى اللَّه والمناجاة معه، ليل الاستغفار، ليل التفكير والتأمل في خلق العالم، ليل المطالعة وقراءة القرآن واعانة المحتاجين والمعوزين والمحرومين.

بعد معالجة القلب يغدو نهار الانسان نهار الكدح من أجل عيش مشروع والعمل على حل مشاكل الناس والصيام وزيارة أولياء اللَّه.

بعد تنوّر القلب بفضل الاتصال بالقرآن، تعمر المساجد على يد العباد وتتبدل إلى مجالسٍ للدرس وتبليغ المعارف الحقة ومسرح أخّاذٌ للمجتمع وللشباب بوجه خاص.

بُعيد أن يصبح القلب بفعل القرآن الكريم حرم اللَّه سبحانه، تخلو المضاجع من أهلها ويسير الانسان بوله في طريق العبادة وخدمة الناس فيستغلُّ ساعات ولحاظات عمره لكسب رضا اللَّه ويتسلق الى قمة البركة والخير والقيم والمنفعة، ويدفع اللَّه به شر أعداء الأمة ويرد البلايا لأجله عن المجتمع وينزل المطر من السماء لعمران دنيا الناس.

إنّ الانسان بوعيه للآيات القرآنية والتعرف على حقائقها ودقائقها واشاراتها وظرائفها، يقتفي أثر الانبياء والأئمة في عالم الباطن بذهول، وفي عالم الظاهر يتمسك بذيل عناية أولياء اللَّه فيبادر إلى مُجالستهم ومصاحبتهم، لأجل تقوية عقله وروحه وضمان حياته الروحية ودفع الاضرار الاحتمالية؛ وفي هذا المضمار يروي جميع أركان وجوده من

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 121

ينابيع وجود تلك الوجوه الربانية؛ وبالتدريج وبالاعتماد على الايمان باللَّه واليقين بالقيامة والعمل بالفرائض التي أبانها القرآن متأثراً بأنفاس الجليس البصير من أهل اللَّه، يصبح راسخاً وثابتاً في طريق الاسلام والايمان والعبادة والخدمة ويكون في أمن وأمان من مداهمة الفتن واخطار ثقافة الشياطين كما ورد في وصف الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«كُنْتَ كَالجَبَلِ الرّاسِخِ لَاتُحَرِّكُكَ العَواصِفُ» «1».

(1)- المناقب: 2/ 347 فيما ظهر بعد وفاته، اين عبارت با كمى تغيير در مصادر ديگر از جمله الكافى: 1/ 454، باب مولد اميرالمؤمنين حديث 4؛ الفقيه: 2/ 592، حديث 3199؛ كمال الدين: 2/ 387، حديث 3 و... آمده است.

برامج القرآن التربوية

إن القرآن الكريم قد نزل لارشاد الناس إلى الصراط المستقيم وهو يتضمن برامج تتماشى مع فطرة الانسان وطبيعته؛ كما أنّ العمل بهذه البرامج يتكفل سعادة دنيا الانسان وآخرته.

هناك ثلاث مقدمات قرآنية:

1- إن للانسان في الحياة غاية هي السعادة وعلى الانسان أن يعمل في مسيرته الحياتية للحصول عليها.

2- هذا العمل لا يأتي بنتيجة من دون توفر خطة مدروسة.

3. ينبغي أن تُدرس هذه الخطة في كتاب الفطرة والخليقة، وبعبارة:

تدرس من خلال التعاليم الربانية.

بالنظر إلى هذه المقدمات الثلاثة نستطيع أن نضع حجر الأساس لبرنامج ناجع لحياة الانسان كالآتي:

أن نجعل أساس البرنامج معرفة اللّه والايمان بوحدانيته، لأن اللُبنة الاولى في الدين هي معرفة اللّه سبحانه؛ ومن بعدها معرفة اليوم الآخر- حيث تؤدي الى الايمان بذلك اليوم الذي يكافأ الانسان فيه بأعماله الحسنة والسيئة-؛ ومن بعدهما معرفة النبوة، ويمكن أن يقال أن معرفة

اليوم الآخر- بتفاصيله- يقوم على معرفة النبوة لأنه من دون تبليغ سابق- الذي يتم من طريق الوحي- لا يمكن أن يصح الثواب والعقاب في اليوم الآخر؛ ولذلك يوصف الايمان باللّه واليوم الآخر والنبوات بأصول الدين.

ثم يأتي دور الأخلاق الحسنة والخصال الطيبة الموائمة للأصول الثلاثة المذكورة آنفاً فيلزم على الانسان الواقعي الاتجاه، المؤمن؛ أن يوفرها في نفسه ويتصف بها.

ثم تتعقبها القوانين العلمية التي هي في الواقع تتكفل السعادة الحقيقية للانسان وتنتج الاخلاق الحسنة وتنميها، بل أنها سبب لنمو وتطور الاعتقادات الحقة والأصول الأساسية، لأنه لا يقبل بتاتاً أن يوصف اللامبالي في العلاقات الجنسية والسارق والخائن والمختلس والمراوغ بالتعفف؛ وغير مقبول أيضاً أن يوصف المولع بجمع المال الرافض لدفع استحقاقات الناس والحقوق المالية الواجبة عليه بالسخاء والكرم؛ أو أن يوصف من لا يذكر اللّه ولا يعبده يوماً من الاسبوع أو من الشهر بأنه مؤمن باللّه واليوم الآخر فيصنف في عداد عباد اللّه سبحانه!

وباختصار، إنّ القرآن المجيد يتضمن الجذور الأساسية للاسلام- التي تتشكل من مكونات عامة- وهي على الترتيب الآتي:

1- الاصول العقائدية التي تمثل أصول الدين الثلاثة- التوحيد، النبوة والمعاد- نوعاً منها، وهناك نوع ثاني من العقائد تتفرع على العقائد الاسلاسية وهي اللوح والقلم والقضاء والقدر والملائكة والعرش والكرسي وخلق السماء والأرض وأمثالها.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 124

2- الاخلاق الحميدة.

3- الأحكام الشرعية والقوانين العلمية التي أبان الكتاب العزيز عموماتها واحال بيان الجزئيات والتفاصيل إلى النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، والنبي صلى الله عليه و آله بدوره- ووفقاً لحديث الثقلين الذي رواه جمع غفير من مختلف الفرق الاسلامية حتى بلغ حد التواتر- أقام بيان أهل بيته عليه السلام مقام بيانه «1».

في الواقع بالسير في طريق القرآن الكريم الذي هو طريق الفطرة والطبيعة، تتحقق سعادة الانسان؛ والانحراف عن مسار القرآن- وبعبارة:

الزيغ عن الصراط السوي للمولى الحق- لا أنّه لا يؤسس حضارة بالمعنى الصحيح فحسب بل يصنع ظروفاً يبلغ الظلم واضاعة حقوق الناس والتوحش مداه وحينها لا يصغو أحد لصرخة المضطهدين!

الحضارة الحقيقية والحضارة الزائفة

إن للحضارة جانبين: مادي وروحي، الجانب المادي هو القوة الحسية وكافة الأشياء التي تتبع الحس وهي بدورها تدعمه مثل الاختراعات والاكتشافات بدأً من الطاقة البخارية والذرية، ووصولًا الى السيارة والطائرة والسفينة الفضائية والسفينة البحرية والغواصة، واضح أن جميع هذه الوسائل مادية؛ وكذلك الأشياء التي اعدت لرخاء حياة الانسان المادية مثل المكائن الآلية وما يستخدم للتوصل إلى هذا الغرض من قبيل

---

(1)- القرآن في الاسلام: 9.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 125

العلوم الرياضية والطبيعية.

هذه الأمور بجملتها تُصنّف في عداد الطاقات المادية لأن ما تنتجه لحياة الانسان هي هذه المكتشفات والمخترعات التي توفر الرخاء والرفاه الماديان للانسان ولهذا السبب أيضاً تعد من الآليات المادية للحضارة.

وأما الجانب الروحي لها أو قوتها الروحية، تتمثل في الأهداف الانسانية الاخلاقية الشريفة والعمل المتواصل لبلوغ تلك الأهداف وبذل الجهد المستمر لتحسين الأواصر الانسانية ورفع مستوى الوعي الاجتماعي وتطوير النباهة السياسية للأشخاص وتأهيل الناس للسير على طريق الفضيلة ومصلحة الانسان واستحضار المعاني الطيبة الجميلة وحمل المثل النبيلة لإسعاد الانسان وأن تنبض قلوبهم بحب أبناء جلدتهم؛ وكذلك العمل على وضع القوانين لتربية الناس وتعليمهم بالطرق الصحيحة وبناء مؤسسات لسد الحاجات الروحية للانسان والاحسان إليه؛ هذا كله يمثل الجانب الروحي للحضارة والقوة المعنوية لها.

لا تسمى الحضارة حضارة راقية وحقيقة إلّابتوفر هذين الجانبين فيها بشكل متوازن ومتعادل.

حضارة العصر

حان الوقت لكي نُلقي نظرةً إلى الحضارة المعاصرة- التي زاغت عن

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 126

الحق والصراط المستقيم في كافة الخصوصيات والجوانب- وهنا وعلى ضوء النبذة التي أشرنا إليها آنفاً، نتساءل: هل أن هذه الحضارة التي يدّعي روادها بأنّهم احتظوا بها- هل أنها حضارة صالحة أم فاسدة؟ وهل هي حضارة راقية أم راكدة؟ وهل انها تبعث الأمل في نفس الانسان أم أنّها تلقّنه اليأس والقنوط؟

إن حضارة اليوم من الناحية المادية حققت نجاحاً لا مثيل له غير أنها من جهة القوة الروحية مهزومة ولابدّ أن يؤل أمرها إلى انحطاط مفاجئ لا يتوقعه أحد.

إنّ المعجبين ببريق الظاهر وتجميل وتزويق الصور والرخاء المادي والطالبين للراحة، صفقوا للحضارة المادية المعاصرة وهرّجوا حتّى كلّت أيديهم وبحّت أصواتهم! ولكن رواد الرقي الروحي للانسان الذين لا يريدون جمال الظاهر من دون جمال الباطن ويريدون فلاح روح الانسان أبداً، لقد فقدوا أملهم بالحضارة المعاصرة! بل البعض رغب عنها وطفق يسير في احلامه يرسم معالم مدينة فاضلة خيالية لا يُرى فيها إلى الواقع من سبيل!

إن الطائرات قد سخّرت السماء والسفن الفضائية قد نقلت الانسان إلى القمر ووضعت في جدول أعمالها الهبوط على سطح أقمارٍ أخرى، والغواصات راحت تغوص في أعماق المحيطات، والطاقات الكهربائية والذريّة باتت تصنع المستحيل بمجرد الضغط على زرّ واحد؛ فاصبح كل ما يطلبه الانسان من ضوء وبرد ودفءٍ ومأكل وملبس في حياته المادية

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 127

حاضراً، فهو يتمكن من خلال أجهزة مدهشة وغريبة أن يرتبط صوتاً وصورتاً من هذا الجانب بذلك الجانب من العالم!

عُدّ هذه الاختراعات والاكتشافات في حضارة اليوم امر صعب، وكأن العالم كتم جميع أسرار الخليقة منذ البدء في صدره حتى يبوح بجميعها للمكتشفين والمخترعين في الحضارة الراهنة! كأنّ الطبيعة في هذا الزمان عزمت على تصفية حساب أسرارها!!

ولكن يلزم أن لا ننخدع بهذه الظواهر، هناك مثل عربي يقول:- ما معناه-: «لا يغرنّك جمال البيت فان ساكنه لا يستسيغ شربة ماء».

أُنظر إلى أهالي تلك الديار لكي تبصر مشاكل البطالة، وأزمة الشباب، وارتفاع عدد سكان مشفيات الأمراض العقلية، واليائسين والمعدمين، ونشوب الحروب الدامية المخزية في مختلف بقاع الأرض وعلى وجه الخصوص في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، وتفشّي مختلف ضروب الاضطهاد والضغوط والاعتداءات والعدوان بذرائع شتى، وتسلح الدول بأنواع الأسلحة المدمرة والمبيدة، وانتشار أنواع صور المكر الخداع، والكذب، والسرقة والقرصنة الجوّية والبرية والبحريّة، واتساع الفساد الأخلاقي، والفضائح الجنسية؛ ما يشابهها من منكرات وانحرافات وضياع؛ كل ذلك يحدث في هذا البيت الجميل وهذا القصر الفخم للحضارة الراهنة!

هذا القصر المجلل إلى أين يتجه بأهله؟! وهذه السفينة الجميلة الملاى بالحمولة وزاد السفر إلى أيساحل آمن تبحر؟!

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 128

يقول «برتولد برشت» في أحد كتبه:

«في المجتمع الذي تحكمه العملة، والحصول عليها فيه لا يمكن الا من طريق ملتوٍ فان الاحسان في هكذا مجتمع يصبح اكذوبة!!».

يقول «توماس مان» في مقدمة كتابه «رسائل الشهداء الاخيرة»:

«في العالم الذي يسير سيراً قهقرائياً مدهشاً وفيه يتداخل الحقد مع الذعر السائد، وفي العالم الذي أدّى انحطاطه الثقافي- الاخلاقي الى تسليم مصير الانسانية إلى الأسلحة الفتاكة التي تحضى بسرعة تثير الكراهية والتذمر، الأسلحة التي خُزّنت لتُحيل العالم إلى خربة تحيطها غيوم سامة اذا اقتضت الضرورة!؟- انّه تهديد سفهي حقاً!

إن الذي افرزته الحربان العالميتان- أو أثرت في تفشيه- هو:

التدني الثقافي، تمزق التعليم، انعدام الحمية في مواجهة الخديعة والتزوير عند بسط العدالة السياسية، الخلود إلى الدعة والرخاء، النفعية العمياء، انعدام الوفاء والايمان.

إن ذلك كله لا يحمي الانسانية وحياتها عن حرب عالمية ثالثة تنتهي بالقضاء عليها».

يقول «هومان لومر» في كتاب «مستقبل الاعواز وطرقه»:

«كلما تصبح حركة الوسائل والأجهزة أكثر ذاتية وكلما حقق العلم والتقنية أكثر نجاحاً، إزداد عدد المناطق البائسة وارتفعت ارقام سكانها!».

ويقول الفيلسوف الرومي «سكنا»:

«الفقير ليس هو من يملك قليلًا بل الفقير هو الذي يطلب الأكثر!».

إن سر هذا الشقاء هو طغيان الجانب المادي على الجانب الروحي في الحضارة الراهنة، ولذلك أن حضارة اليوم لم تفلح في أن تنظر للانسان نظرة ايجابية، فإنّها اختصرت المسافات والغت الفوصل وفي واقع الأمر صغرت الدنيا المترامية الاطراف وجعلت سكّان الأرض في دار واحدة؛ إلّا أنّها لم توفّق لالغاء المسافة بين النفوس ورفع الهوة بين الارواح ومعالجة الفصل بين القلوب.

صحيح أنّ هذه الحضارة قرّبت الأمكنة ولكن ابعدت ساكنيها بعضهم عن بعض؛ إنها تقدمت في العلوم الجغرافية ولكنها لم تحقق شيئاً في المعرفة الاجتماعية والبشرية وتربية الانسان.

في ظل الحضارة الراهنة انكشفت الجبال والصحاري وأعماق الأرض والفضاء والبحار، بل انكشف كُنه الذرة ولكنّها لم تتمكن من تسخير قلب الانسان والتوغل في داخلته.

إن هذه الحضارة ساعدت على توحيد المجتمع الانساني جغرافياً، غير أنّها عملت على تمزيقه اجتماعياً؛ إن حضارة اليوم مدهشة في قوتها، مثيرة للعجب إلّاأنها في غاية الجهل والعمى فاقدةً للحلم.

إنّ حضارة اليوم تقول لنا كيف نعيش وكيف نحسّن أوضاعنا المعيشية، ولكنها لا تقول لنا لماذا نعيش ولِمَ يجب أن نعيش وما هي الغاية من الحياة! إن حضارة اليوم اختارت الصمت في الاجابة على هذه الأسئلة!!! طبعاً إنّ العلم قادر على أن يحسّن الحياة إلّاأنّه لا يقوى على أن

يحدد غاية لها، فالعلم يساعد على تطوير الحياة كمّاً غير أنّه لا يصلح لأن يكون موجهاً لها.

في الواقع إنّ الحضارة الحديثة دعمت النزعة القومية لكنها أضحت فيما بعد وبالًا على العالم في توجهها المتطرّف بحيث أدّت إلى التعاسة والشقاء.

في الماضي السحيق كانت الاسرة موحدة وكذلك القبيلة ثم المدينة والتمدن وبعدها بحثنا عن دين واحد، وبعبارة: عن قومية واحدة؛ ولكن في الحضارة الحديثة جعلنا فكرة الشعب الواحد نُصب أعيننا غير أنّه في جميع هذه الطرق والسلوكيات لم نحقق نجاحاً، ومع بقاء هذه الأوضاع لا يتخلص العالم من هذا السأم والملل إلّاإذا نشأت حضارة تجعل الانسانية مضلة وحدتها ومنتهى غايتها ومثلها الأعلى.

إنّ رواد الحضارة المعاصرة حتى في التزاماتهم الاخلاقية يرمقون الجانب المادي فيها كما أنّ برامجهم التعليمية والتربوية لا تقوم الا على وطنية متطرّفة أو لأجل الحصول على وظائف وأعمال توفر دخلًا أكبر وفائدة أوفر.

في الغالب تُصرف ثروات الحكومات للأغراض العدائية أو في سبيل أهواء ومشتهيات الذين بيدهم مقاليد الأمور! وقد انتهى الأمر بالمعامل العظيمة والمكائن الجبارة الى أن ينظر أصحابها الى العاملين فيها وكأنهم صوامل وقلاووظ حقيرة وتافهة في أجهزتهم العظيمة! وعلى هذا النمط استولت المادة والمادية على فكر مدبري حضارة اليوم وهم خبراء الاقتصاد والعلماء والساسة.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 131

في خضم هذا المعترك لو تحدث أحد عن الاصلاح النفسي أو الاخلاقي، فكأنه عرف بالمستهجن أو تحدث هُراء أو عرض فكرة بالية!

قد تدهورت الحياة إلى حدّ حيث أنّ أحد طبّاخة الحضارة أعني رئيس منظمة الأمم المتحدة عند ما بلغت أزمة الشرق الأوسط ذروتها، قال قانطاً ويائساً:

«في تأريخ الانسان لم تصل الاخلاق السياسية والاخلاق البشرية بوجه عام إلى هذا الحد من السقوط» «1».

بعد هذا التدهور ماذا صنع هؤلاء وبأي عملٍ قاموا للحد من هذا السقوط المؤسف وتلافي ما حدث؟

أليس هذا التصريح من مصدر مسؤول رسمي لمؤسسة عالمية هو اعلان عن افلاس الحضارة المعاصرة في الجانب الروحي؟

إنّ حضارة اليوم قد بالغت أيما مبالغة في الاطراء على موقع العقل وتقييم مكانته، فان المؤسسين لهذه الحضارة- في رغبة جامحة- اعتبروا العقل هو المؤهل الوحيد لإدارة الحياة وازدهارها.

وكانت نتيجة الاشادة بالعقل هو التقدم المذهل للعلم ولظهور آلات مدهشة حلّقت بالانسان في اوج السماء! بيد أنّه- وللأسف- وبعد هذا التحلّق العجيب وبعد مضي وقت طويل، اتضحت هذه الحقيقة بأنّ العقل ووليده أعني العلم وما نتج منه لم يصلحوا طريقاً لا سعاد الانسان وفلاحه؟!

---

(1)- law william :regson of cese the.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 132

هذا الخلل- لو صح ان تسميته خللًا- نشأ عن فكر ارسطو وتعاليمه الذي أقرّ بالعقل وحده حكماً في جميع المجالات «1».

حاجة الانسان إلى الوحي

ومن هنا تظهر حاجة الانسان إلى الوحي في انشاء حياة طيبة وأجواء تستوفى فيها حقوق الجميع وترشّد النزعات والغرائز في النفس الانسانية.

إن الوحي يفوق قوة العقل، وبصيرته تفوق العلم والمعرفة؛ هذه الحقيقة- أعني الوحي- وحدها هي التي تقوى على ارشاد الانسان وفقاً للفطرة والطبيعة بكافة زواياها الاعتقادية والاخلاقية والعملية.

القرآن الذي هو وحي أنزله الحق سبحانه على نبيّه والذي يعد أكمل كتاب للهداية كما أنّه مصدر حيّ وخالد للارشاد نحو سعادة الدنيا والآخرة وهو دستور الحياة والمربي الحقيقي للانسان والمعبر عن حقائق الافاق والأنفس؛ قد أرجع الانسان إلى داخلته ووضعه امام قضاء ضميرة لكي يتوصل إلى فطرته وأن يستيقظ شعور باطنه ويصحو.

لو أنّ الأوضاع البيئة- الناتجة عن تأليه الهوى والأوثان الحية والجامدة- لم تصد طريق ارشادات الفطرة، لصلح الانسان ولما وجد آثم ولعم القسط والعدل المعمورة بأسرها.

---

(1)- القرن المجنون: 22.

الهداية القرآنية

إن القرآن بهداه يصنع صنعاً بحيث ينتبه الانسان إلى نفسه ويسائل ذاته:

هل أنّ هذا العمل صالح أم طالح؟

هل أنّ هذا الرأي الذي يُبديه أو يأخذه ممن مأخذ، صحيح أم لا؟

يا ترى في هذا المقام من هو السائل ومن هو المخاطب؟

في حين أن السائل والمجيب فرد واحد وليس بفردين!

إن الكتاب المجيد يسأل الانسان لأجل ابعاده عن الشرك ودعوته الى للّه الواحد الأحد، فيقول:

[أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ] «1».

وللتعبير عن قدرته سبحانه وتعالى يقول:

[أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ* أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ...] «2».

إنّ القرآن الكريم للكشف عن تفاهة الأوثان وتصوير عظمة قدرت الباري سبحانه يعبر بهذه الطريقة:

---

(1)- يوسف (12): 39.

(2)- النمل (27) 62- 64.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 134

[أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ» «1».

ثم يقول:

[إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً...] «2».

إنّ القرآن العزيز خطى خطوة أخرى وهي ارجاع الانسان إلى عقله.

فهو يخاطب العقلاء ويحثهم على تفصيل قابلياتهم العقلية ليسعدوا ويفلحوا، فيقول سبحانه في سورة آل عمران:

[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ] «3».

وفي سورة البقرة:

[فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ] «4».

الحث على التفكير والتأمل

وجاء في سورة يوسف:

[لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ] «5».

إن الحث والترغيب على التفكير والتأمل في خلق العالم وخلق الانسان وخلق الأرض والسماء، نموذج آخر للهداية القرآنية، ففي سورة

---

(1)- النحل (16): 17.

(2)- الحج (22): 73.

(3)- آل عمران (3): 190.

(4)- البقرة (2): 197.

(5)- يوسف (12): 111.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 135

الغاشية يقول:

[أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ] «1».

إنّ القرآن يدعو الانسان للبحث والتحقيق لكي يفكر في أسرار الخليقة وعالم الوجود ويطّلع على حقائق الكائنات.

ان المذاهب الباطلة تُحذّر أتباعها من البحث والنقد إلّاأنّ القرآن يدعو أتباعه للفحص والبحث.

إنّ المسيحية المعاصرة تُعطّل العقل وتنأى بالانسان من المنطق الصحيح، لو أنّك سألت مسيحياً: كيف صار الواحد مساوياً للثلاثة؟

يقول: هذا أمر يفوق العقل فإنّ الاب والابن وروح القدس في عين الوحدة هم ثلاث؛ ومن خلال ذلك ينسفون أساس المنطق والتفكير الصحيح والأسس التي يقوم عليها العلم الانساني.

تاريخية القرآن

إن القرآن مصدر تاريخي ولكن عند ما يتحدث عن التاريخ وعن قصص الأنبياء والصالحين من الناس ويتكلم عن الظلمة والمجرمين يهدف الى الموعظة أيضاً.

فإنّ القصة تنبّه الانسان عن سباته ويصحوا السكران بها من سكره خصوصاً اذا كانت قصة حقيقية لا اسطورة وهمية.

---

(1)- الغاشية (88): 17- 20.

فالقرآن يسرد الواقعة التاريخية الحقيقية ليجعلها عبرة للقارئ الفاهم كي يسير بنفسه نحو الصواب وينأى بها عن الخطأ والظلام.

إنّ القرآن يتكلم عن تاريخ موسى عليه السلام وفرعون، ويروي قصة ابراهيم عليه السلام ونمرود، ويتحدث عن تقوى وورع يوسف عليه السلام وحبّ زليخا الوهّاج، ويحكي عملية تحرّي ملك مصر للحقيقة كما ويخبر عن معاداة القبائل العربية للانبياء.

إن القصص القرآنية تعد من البدائع الربانية العظيمة التي لا تجد لها نظيراً في لغة من اللغات إلى الآن- ولو كان لبان-.

فحكاية القصص في القرآن ليست الغاية الوحيدة بل هي في نفس الوقت وسيلة لارشاد الناس وهدايتهم، إنّ الانسان بحسب طبعه يحب القصة ويرغب في أنْ يطّلع على مصير وتاريخ الماضين؛ فالقرآن استغلّ هذا الجانب في الفطرة البشرية فجعلها إحدى وسائل هدايته وهذا يُنبِيء عن المعرفة القرآنية العميقة لحقيقة الانسان.

الصالحون في القرآن

الانسان بطبيعته يحب الصلاح ويودّ أن يكون صالحاً و أنْ يعرفه الناس بهذه الصفة، إنّ هذه الحالة تنشأ من طبيعة الانسان وفطرته لأنّ طبيعته تحب الحسن وتكره السوء قبيحاً ولأن حب الذات أمر طبيعي، عند ما تجتمع هاتان الخصلتان وتثبت فعاليتهما فستكون الحصيلة:

إنّ كل انسان يود أن يُعرف بالطيبة والصلاح؛ والآن حان الوقت للتعرف

على الصالحين في لمحة قرآنية:

[لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ] «1».

إنّ هذه الآية الكريمة تشتمل على مقطعين سلبي وايجابي:

في المقطع السلبي يُلغى الصلاح الوهمي والخيالي،

وفي المقطع الايجابي يعرّف الصلاح الحقيقي؛

لأن صياغة السلبيات ليست شأناً قرآنياً؛ إن القرآن كشف عن سر عظيم قد اختفى على الكثير وهو:

إن الصلاح مركب من عمل القلب وعمل الاعضاء والجوارح ومن تمتع بهذا المركب الشريف فهو صالح.

المسيحيون يعتبرون الذهاب إلى الكنيسة والتوجه نحو المشرق وترتيل اوراد، عملًا صالحاً، فاداء المراسم والطقوس الدينية تنحصر عندهم في ذلك وكفى!

واليهود يعدّون الذهاب إلى كنيستهم والتوجه إلى المغرب والدعاء، هو العمل الصالح وفي اداء واجباتهم الدينية يكتفون بذلك.

إن القرآن الكريم ينبّه كلا الطائفتين إلى أخطاءهم إلّاأنّ هذه الطريقة في

---

(1)- البقرة (2): 177.

التفكير سائدة بين المسلمين أيضاً! إن جماعة منهم يمتنعون عن القيام بواجباتهم الدينية بحجة أنّ المهم هو طهارة القلب وقلوبنا طاهرة ومحل الدين هو القلب.

وهناك جماعة أخرى تشبه سابقتها في التملص من الالتزام بالآداب الدينية، بفارق أنّهم يرون أنّ العمل الصالح هو مجالسة الصالحين ساعة من اليوم وتكرار أحد الأذكار لمئات المرات!

إن هذه الجماعات الأربعة بهذا المنطق المغلوط يتّبعون أهواءهم ويقومون بما تشتهي أنفسهم في حين أنّ كلّ واحد منهم يعتبر نفسه انساناً حسناً صالحاً!! هؤلاء يخدعون أنفسهم وبذلك ينكرون التقوى ويروجون للظلم والجور في العالم.

إن القرآن الكريم يخطّئُ مثل هذا المنطق ولا يعد ذلك صلاحاً فيكشف عن خطأ الانسان في ذلك فيرشده إلى ما هو صائب وصحيح.

وبعدها وفي المقطع الايجابي يعرف الصلاح على حقيقته لأنه ليس من المنهج القرآني أن يصوغ السلبيات فحسب؛ إنّ القرآن يميط اللثام عن سر عظيم يبدو خافياً على الكثيرين وهو:

إنّ الصلاح مركب من عمل القلب وعمل الأعضاء والجوارح ومن يتمتع بهذا التركيب الشريف فهو صالح.

لا يتحقق الصلاح بالفعل القلبي وحده، ولا بالذكر اللساني المجرد يصبح أحد صالحاً ولا يصير الانسان سعيداً، ولا تقوم العدالة الاجتماعية بالوقوف على القدمين والتوجه نحو المشرق والمغرب، وعليه إنّما

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 139

الصلاح يتكون من شيئين فحسب:

- أحدهما قلبي وداخلي، والثاني جسدي وخارجي.

إن الايمان باللّه وباليوم الآخر وبالملائكة وبالأنبياء والايمان بالكتب السماوية كل ذلك من وظائف القلب في الانسان وكلما امتلأ قلب الانسان من أقسام الايمان هذه، يتحول كلامه وسلوكه ايمانياً ونورانياً.

إن الصلاح الجسدي مرشد للأعضاء والجوارح وهو عبارة عن:

مساعدة الأقارب والأرحام، العطف على الأيتام، اسعاف الفقراء، الأخذ بيد العاجزين، فكاك الرقاب، الوفاء بالوعود والعقود، الثبات والاستقامة، الصبر والأناة عند الفقر والإعواز، الصمود في الحرب، اقامة الصلاة وايتاء الزكاة.

عذاب الظالمين ومكافأة الصالحين

إنّ وجود المعاد والعالم الآخر لا يروق للظلمة والعصاة، انّهم يرغبون أن تكون أفعالهم بالا عقاب، يحاولون أنْ يُقنعوا أنفسهم والآخرين بأنّ لا وجود لعالم آخر، أي: عالم الثواب والعقاب.

كل ما هو موجود هو هذا العالم وكفى، لو كان ثمة ثواب وعقاب ففي هذه العالم وحسب، وحيث أنّهم لا يعاقبون في هذا العالم فلا يستحقون عقاب ومكافأة أبداً، اذن لم يكونوا آثمين وظلمة.

لا شك بأنّ هذا العالم لا يسع لمعاقبة كبار المجرمين، فكيف يمكن معاقبة من شيّد منارات من جماجم الناس؟ وكيف يمكن عقاب من أباد

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 140

سبعة ملايين من أبناء الشعب السوفيتي سابقاً؟

هب أنّنا تمكنّا من انزال عقوبة الاعدام في حق القاتل ولكن هذه العقوبة لا تساوي الا قتلة واحدة لا أكثر.

أضف إلى ذلك إنّ الذي يعاقب يجب أن تكون له قدرة تفوق قدرة المجرمين لكي يقوى على معاقبتهم، في حين أنّه لا وجود لمثل هذه القدرة في العالم ولا توجد في المستقبل أيضاً! هل ان امثال جنكيز وتيمور وهتلر ونيرون ويزيد والحجاج وصدام، قد نالوا جزاءهم العادل في هذه الدنيا؟ وهل أنّ الجناة الذين أمروا بإبادة مدينة عن بكرة أبيها قد عوقبوا؟

وهذا القول كما أنّه يصدق على المجرمين يصدق على كبار الصالحين أيضاً لأنّه كيف يمكن مكافأة من أسعد الآلاف من الأشقياء في هذه الدنيا؟

أيمكافأة في هذا العالم تُجزي ذلك الانسان المقدس الذي فدى بنفسه لأجل اسعاد الانسان؟

إن هذا العالم ليس عالماً تسوده الفوضى! ولم يجعل اللّه هذا العالم غاية يأكل القوي الضعيف فيها من دون حساب وكتاب، فإنّ هذا العالم أعدّ للانسان لكي يحقّق أغراضه الشريفة فاذا اخفق في ذلك فلابدّ وأن يحاسب.

الناس يعتبرون المجرم الظالم يستحق العقاب والصالح يستحق الأجر والثواب والجميع يريدون مثل هذا العالم يعاقب فيه المذنب ويثاب فيه المحسن، إذن لابد من وجود عالم آخر لأن الارادة الفطرية للعقلاء لا

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 141

تخطئ ومن هنا نقول: أنّ عالم العقاب والثواب موجود.

فإنّ قوة حكيمة عاقلة تحكم هذا العالم وتبصر مخالفة المذنبين وفضيلة المحسنين فمن المحتمّ أنّها تعاقب اولئك وتكافئ هؤلاء.

إنّ القرآن الكريم للبرهنة على وجود العالم الآخر وارشاد الانسان إليه خطا خطوة جبارة لأنّ القرآن نزل لصالح الانسان، والايمان بالعالم الآخر لصالحه أيضاً فهو نافع بحال الفرد والمجتمع فعليه تقوم ملازمة بين وجود القرآن ووجود العالم الآخر.

المعاد في القرآن

القرآن الكريم هو كتاب توجيه وارشاد، وقد جاء إلى هذا العالم لاقامة العدل الانصاف ولكن التوجيه والارشاد لقيام العدل يتطلب ضمانات اجرائية والا سيصبح التوجيه عبثاً والضامن في ذلك تحقيق هو الاعتقاد الراسخ والثابت بالعالم الآخر.

إن الظالم الذي يخاف إنذار القرآن يتخلى عن الظلم وكذلك المذنب فانه يكف عن ارتكاب الموبقات بفعل ذلك.

فالقرآن الكريم هو كتاب الأمل، أمل المظلومين والمضطهدين، أمل الصلحاء والمتقين.

ينبغي الانتباة إلى أنّ الاعتقاد بالمعاد يبتني على الايمان بالمبدء الأعلى [الباري سبحانه] والخطاب القرآني في المعاد موجّه للربانيين الذين يؤمنون بالاله العادل، القادر، البصير، الحكيم الذي لم يخلق العالم

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 142

عبثاً، والذي جعل الانسان حاكماً على الوجود ودعاه للحق والحقيقة وبعث رسلًا من عنده وخاطبه بالقرآن الكريم.

في ضجر البعثة الشريفة قد أخذ رجل عضاماً بالياً لميت فحك بعضه على بعض وذرّه في الهواء فبعض جُزيياته تعلقت في الهواء وبعض آخر تساقط على الأرض، ثم سأل: من الذي يقوى على احياء هذا العظام البالي الذي تفرق في الجو وسقط على الأرض حتى يكافئه؟ فأجابه القرآن:

إنّ الذي يحييه هو الذي أحياه أوّل مرّة، وهو الذي يخلق الوجود من العدم، فايهما أقوى؟ الذي يعيد الخلق أم الذي يخلق لأول مرة؟ فاين القدرة على تبديل شيء بشيء آخر من القدرة على الخلق من العدم؟! وتلك القدرة بديهية للانسان لأن الكل يعلمون أنّهم لم يكونوا ثم كانوا؛ وأساس برهان القرآن يقوم على ما هو بديهي لبني آدم «1».

جميع تردّيات الانسان الفردية منها والاجتماعية في كافة مجالات الحياة، تنشأ من رذائل صفاته من أمثال: الكبر والحرص والبخل والحسد والحقد والنفاق والتغطرس وعبادة الذات والغفلة عن الحقائق.

وعليه إن ارادت شعوب العالم والمسلمين بصفة خاصة الخلاص من هذه الاوضاع المفجعة والمفاسد المدمرة، عليهم أن يقرؤوا القرآن بتمعن وتفكر وان يتخذوا هذه القراءة علاجاً حقيقياً لبرئهم لأن القراءة من دون تمعن وعمل لا تجدي شيئاً ولا تعالج مرضاً.

---

(1)- دائرة المعارف للقرآن كريم: 11.

ربيب القرآن

يلزم في هذا المقطع أن نشير إلى نموذج انساني من حياة الذين أصلحوا أنفسهم سرّاً وعلانية من خلال برامج أخلاقية عملية وعقائدية وبرزوا في مسرح الحياة على هيئة انسان مؤدب سوي في نموه، خيّر، خلوق، صلح، ورع، صادق شريف كريم وسخي؛ آملين أن يصبح هذا النموذج الانساني للقراء مرشداً واقعياً وعملياً نحو السعادة والفلاح في الدارين، ولأجل أن يتعرفوا في ضوء دراسة الحقائق الوجودية لهؤلاء المتميزين على دور القرآن في صناعة الانسان وعلى ان القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يصلح أنّ ينقذ الانسان من هذه الأوضاع القلقة.

إنّ الحقائق التالية أعني أن تكون للّهوأن تعين له وأن تعمل لرضاه، اذا ما توفرت في الانسان فزائداً على أضفاء النورانية والصفاء واللطافة والكرامة؛ تجعل الانسان- من غير شك- في امتداد الانبياء والأئمة وخاصة أولياء اللّه في كافة مجالات الحياة؛ فتأخذ بيده في حالة لا يَرى فيها إلّااللّه ولا يطلب إلّااللّه ولا يعمل إلّاللّهولا يفكر ولا يهتم ولا ينشغل الا بالصالح العام فلا يرى لنفسه في جنب اللّه شأناً، وباختصار: إن الاخلاق تصنع منه مصدر خير لصالح الجميع ونبراس رشاد للضائعين والتائهين في وادي الحيرة.

مثل هذا الانسان وعلى ضوء اخلاصه للّهيفكر في هذه الحقيقة فحسب: ما هو واجبي الرباني والانساني أمام نفسي وأمام الآخرين والى جانب هذه النِّعم الوافرة؟ وعند ما يواجه وظيفة أو واجباً يقوم به بمعرفة

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 144

تامة وشوق وارادة، ففي هذا المضمار لا يخاف لومة لائم فلا يتخطى دائرة واجباته.

في هذا الشأن يقول المفكر الشهيد المرحوم المطهري عن آية اللّه البروجردي- أعلى اللّه مقامه- ما يلي:

في السنين التي توجه فيها السيد البروجردي من بروجرد إلى طهران ومن ثَمّ إلى قم، استوطن في الأخيرة بمناشدة من حوزتها العلمية، وقد كان سفر السيد البروجردي إلى طهران لاجراء عملية جراحية إثر داء عُضال وقد اجريت عليه بنجاح.

بعد أشهرٍ من مكوثه في قم حلّ الصيف وتعطلت الحوزة، في هذه الفرصة السانحة عزم سماحته على زيارة مدينة مشهد حيث مرقد الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام لأنّه كان قد نذر أثناء تفاقم وضعه الصحي بأنّ لو شافاه اللّه سبحانه أن يذهب لزيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام- قال لي أحد السادة الحضور في مجلسه وقد أصبح مرجعاً فيما بعد- بأنّ سماحته صرح في اجتماع خاص بقراءه على الذهاب، ثم قال لأصحابه: من منكم يرافقني؟ قال السيد الحاضر: قد أجبنا بقولنا: سنمعن النظر في هذا الشأن وسنأتيك بجواب.

في غيابه تداولنا الرأي وكانت نتيجة المداولة هي أنّه لا يصلح الذهاب في الوقت الراهن إلى مدينة مشهد إلّاأنّ الدافع الأقوى فيما ذهبنا إليه كان هو أنّه لم يمر وقت طويل على إستيطانه في قم فلم يعرف بعد في الاوساط الشعبية في ايران لاسيما عند أهالي مدينتي طهران ومشهد

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 145

الواقعتان على طريق رحلته، فمن طبيعي أن لا يقوموا بما يليق بشأنه من تكريم وتبجيل ولهذا قررنا أنْ نصرفه عن سفره هذا ولكن كان يصعب علينا ان نفاتحه بهذا الشأن ولذلك قررنا أن نأتي بأعذار أخرى مثل أن نذكّره بالعملية الجراحية التي أُجريت عليه توّاً وأنّ هذا السفر الطويل يضر بصحته- في ذلك الوقت لم تتوفر الطائرات والقطارات على طريق طهران ومشهد- ففي الاجتماع الثاني حيث طرح الموضوع، حاولنا ان نحقق المأرب في صرفه عن السفر مهما كلّف الأمر.

إلّاان أحد الحاضرين قد أباح السرّ الذي كُنّا نخفيه على سماحته! ففجأة قد تغيرت هيئته فقال بصرامة وروحانية فريدة:

«أنا عمّرت أربعين عاماً واللّه تفضل عليّ بأشياء كثيرة لم يكن لي فيها ادنى دور، طوال هذه الفترة كان همي الوحيد هو أن أرى ما هو واجبي لأقوم به؟ فلا يصلح بعد سبعين عام ما أن أفكر بنفسي وأنْ أهتمّ بشأني الفردي؛ لا! سأذهب! أجل، ان الذي يخلص للّهفي عمله؛ سيؤيده اللّه سبحانه من حيث لا يحتسب.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 146

مجالسة آل البيت عليهم السلام

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 149

أفضل الأصدقاء

لو فُرض ان الانسان لم يوفق على أن يجد في عالم الظاهر وفي مرحلة الشهود جلساء نابهين وأصدقاء سالكين طريق الحق وأحباباً ذوي عز وجاه ليتزود من أنفسهم وكمالهم ومعنويتهم وعاداتهم وأعمالهم الطيبة وخلقهم الكريم فيعرج بنفسه على سُلّم الانسانية والكمال البشري؛ إلّاأنّ باب عالم المعنى وفضاء الملكوت لم يوصد بوجه الانسان أبداً، العالم الذي يمكن الدخول إليه من طريق الآيات القرآنية والروايات الثابتة فيجالس الانسان أحبّاء من أمثال الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين وذلك من طريق القلب واتصال الأرواح فيحصل التزود من ثرواتهم الروحية وقيمهم الالهية وهدايتهم وشفقتهم ونفثاتهم الباعثة للحياة.

إنّ هؤلاء- كما تفيد الآيات والأخبار- قدوة واسوة للانسان إلى قيام الساعة في كافة شؤون وقضايا الحياة.

يجب على الانسان أن يتعرّف- استناداً إلى الآيات والأخبار ودعم أهل الشفقة والرشاد- على هؤلاء العظماء وعلى ثقافتهم وأعمالهم وعقائدهم واخلاقهم الكريمة، ليطبّع تدريجياً بسجاياهم ومنهجهم الطاهر وليقتبس- في نهاية الأمر- على قدر المستطاع، من نورهم لأجل أن

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 150

تزدهر المقامات المعنوية والكمالات الالهية والاطوار الملكوتية في نفس الانسان.

وفي نهاية المطاف: كما أنّ في الدنيا من طريق المعرفة والايمان القلبي والارتباط الروحي يصبح الانسان جليساً لهم ويصادقهم ويستزيد من هدايتهم، فأنه في الاخرة أيضاً وفي الجنة بالتحديد يصبح رفيقاً لهم وحسن اولئك رفيقا كما قال القرآن الكريم:

[وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً] «1».

قال النبي الأكرم صلى الله عليه و آله في رواية:

«... عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله

عَنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

[فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً]

قَالَ: «الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ أَنَا وَالصِّدِّيقِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالشُّهَداءِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالصَّالِحِينَ حَمْزَةُ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً الْأَئِمَّةُ الإِثْنَا عَشَرَ بَعْدِى» «2»

_____.

(1)- النساء (4): 69.

(2)- كفاية الأثر: 182؛ بحار الأنوار 36/ 347، باب 41، حديث 214.

قد وردت المصادر الشيعية المعتبرة أخبار شتى تفسر معنى مفردات النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ في هذا الخصوص يمكن الرجوع إلى المصادر التالية:

الكافي: 8/ 35 حديث 6؛ الإختصاص: 106؛ تأويل الآيات الظاهرة: 143 و 145 و 146 ذيل آيه شريفه؛ تفسير العياشي: 1/ 256 ذيل آيه شريف؛ تفسير القمي: 1/ 142 ذيل آيه شريفه؛ شواهد التنزيل: 1/ 196، حديث 206 و 207 و 208 و 209؛ المناقب: 1/ 283 و 87 و 89؛ بحار الأنوار: 23/ 336، باب 20، حديث 4 و 23/ 337، باب 20 حديث 5 و 24/ 31، باب أن ولايتهم الصدق وأنهم الصادقون والصديقون والشهداء والصالحون حديث 1 و 2 و 6 و 7.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 151

بما أنّ لنبي الاسلام صلى الله عليه و آله والأئمة- من أهل بيته عليهم السلام من خلال القرآن الكريم والروايات الصحيحة- حضور ارشادي ومعنوي فاعل في المجتمع الانساني، والانسان يستطيع أنْ يصاحبهم ويؤانسهم عبر ذلك، فينبغي القول:

إنّ اولئك الاخيار هم أفضل معاشرين وأفضل أصدقاء بحيث ان الفرد يستطيع في ضوء وجودهم والاهتداء بهداهم أن يتأدب بالآداب الإلهية ويتحقق بالحقائق الانسانية ويتجلى بالتجليات المعنوية.

هؤلاء الأصدقاء الافذاذ والأصحاب الأفاضل يتمتعون بأعلى مستويات الايمان الأصيل والعقائد الطاهرة والأعمال الصالحة والخلق الكريم والعدالة والقسط والصدق والامانة والصفاء والصحة والاستواء والصلاح والسداد والعفة والاجتهاد والكرامة والشرف والفضيلة والمحبة والشفقة والوداد؛ فعند ما يقتدي الانسان بهم في عالم المعنى والباطن وذلك بالدلالات القرآنية والروائية ويعقد آماله على قيمهم فوفقاً لقانون التطبع، يتلون بلونهم وفي الآخرة يصبح جديراً بمجالستهم، مجالسة اولئك الأبرار كما يشير القرآن المجيد:

[وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً] «1».

نحن كاتب هذه السطور بصفتي رجل دين، سافرت طوال خمسة

---

(1)- نساء (4): 69.

وثلاثين عاماً إلى اروبا والبلدان العربية وإلى مختلف مناطق ايران لأجل تبليغ المعارف الإلهية، فخلال هذه الفترة وفّقت لارشاد كثير من المخاطبين الذين ضلوا طريق الهدى فحدثتهم عن اللّه وعن النبي والأئمة وعرفتهم الكتاب والأخبار وربطت أصرتهم بإصرة الرسول صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام ونهج الحق، ففي هذه الاثناء رأيت آثاراً طيبة جداً ظهرت في طبائعهم وأخلاقهم وأعمالهم، وبعبارة شاهدت كثيراً من هؤلاء المخاطبين الذين كانوا يسيرون خارج فلك الدين، عادو إلى مداره بفضل التعرف على اللّه سبحانه وعلى الأنبياء والأئمة في أعماقهم والتعايش في جنب روحانيتهم وتقبّل هدايتهم فتبدّلوا إلى أشخاص وقورين متدينين مؤدبين، وغدوا مصدراً للخير والهداية.

طوال هذه الفترة وصلتني آلاف الرسائل «1» من العصاة والآثمين المحترفين، ربما كان بعضها من اليهود والنصارى والعلمانيين؛ فان جميع هؤلاء بإصغائهم للحقائق الدينية والمعارف الالهية، عادوا من ضلالهم وتمسكوا برحمة اللّه وغفرانه وهو خير رفيق وتوسلوا بنبي الاسلام صلى الله عليه و آله وأئمة أهل بيته عليهم السلام فاختاروهم قادة في ميادين الحياة وحظوا بثقافتهم النظيفة لأجل تقدمهم ورشدهم وضمان سعادتهم في الدنيا والآخرة.

---

(1)- بعض هذه الرسائل تتوفر في قسم المحفوظات من مركز دار العرفان للبحوث العلمية.

آثار صداقة أهل البيت عليهم السلام ومعاشرتهم

أهل بيت النبي الأطهار والأئمّة المعصومين عليهم السلام عيبات لا ينفدُ علمها وروحانيتها وهم بحور تغن الفقراء بلؤلؤها ومرجانها العلمي الروحاني من دون أن ينقص شيء من خزائن وجودها.

أفليس اللَّه سبحانه في أوّل آية من سورة ابراهيم يشير إلى أن الغاية من بعثه نبي الاسلام هي اخراج الانسان من الظلمات وادخاله في النور بهداية القرآن؟

يقول سبحانه وتعالى:

[كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] «1».

في مسرح الوجود أيصديق وأي رفيق أكثر ثراءً معنوياً من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ الصديق الذي عمل على انقاذ الانسان من الفقر والفاقة المعنويان بحرص فريد وأمل توّاق وحب كامل ورأفة ورحمة لا نظير لهما، في حين كانت غاية الوحيدة خير دنيا الانسان وآخرته وبلوغه أعلى مراتب الايمان والاخلاق في اجواء سعيدة في الدنيا والآخرة.

---

(1)- ابراهيم (14): 1.

وفي الذكر الحكيم:

[حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ] «1».

أنّه صلى الله عليه و آله يطمح ويشتاق ويحرص على هدايتكم وانقاذكم من ورطة الضلالة إنّ أهل البيت عليهم السلام يمثلون بعد النبي الأكرم صلى الله عليه و آله ينابيعاً عظيمة وثروات روحانية جَمّة فإنّ مثلهم مثل النبي صلى الله عليه و آله، يرشدون الناس إلى الحقائق وينجونهم من المهالك وينقذونهم من الاخطار والمفاسد.

النجاة بسفينة النجاة

إن الذين يتوسلون بذيل عنايات أهل البيت عليهم السلام لاصلاح أنفسهم واصلاح دنياهم واخرتهم ويقتدون بهم في جميع مجالات الحياة، فإنّهم- دونما شك- يُعينون أنفسهم على النجاة ويضمنون دنياهم واخرتهم؛ وذلك لأنّ اللّه سبحانه جعل هؤلاء مصابيح هدى وسفينة نجاة في خضم اعصارات هذه الدنيا الرهيبة لينجوا من تمسّك بها ويهلك من تخلّى عنها.

إن أباذر الشخصية المتميزة التي وضعها النبي صلى الله عليه و آله في قمة الصدق والاخلاص، يقول: أنا سمعت النبي صلى الله عليه و آله قوله:

«... إنّمَا مَثَلُ أهْلِ بَيتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَن رَكِبَهَا نَجَا وَمَن تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ...» «2».

وقد روى كبار أهل السنة عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قوله:

---

(1)- التوبة (9): 128.

(2)- الأمالى، شيخ طوسى: 60، مجلس 2، حديث 88؛ بحار الأنوار: 23/ 105، باب 7، حديث 3.

«فَاطِمَةُ بَهْجَةُ قَلْبِي وَابْنَاهَا ثَمَرَةُ فُؤادِى وَبَعْلُهَا نُورُ بَصَرِى وَالْأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِهَا أُمَنَاءُ رَبِّى وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ مَنِ اعْتَصَمَ بِهِمْ نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ هَوى» «1».

روى الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه و آله انّه قال:

«مَثَلُ أهْلِ بَيْتِيْ فِيْكُمْ، مَثَلُ سَفِيْنَةِ نُوْحٍ مَنْ رَكِبَها نَجى وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها زُجَّ فِي النَّارِ» «2»

. من دون ريبة وشك أنّه يعجز كل كاتب اديب وخطيب مُفوّه أن يعدّ آثار صداقة آل البيت عليهم السلام والعشرة الروحانية معهم والاقتداء بهم بوصفهم مثلًا للفضيلة يُقتدى بها.

في أعلى قمّة الانسانية

إن العلم بالحقائق ووعيها، شروق التوحيد في القلب، الإهتداء إلى الصراط السوي، بزوغ الاخلاق الحسنة من افق وجود الانسان، سطوع الأعمال الصالحة من أعضاء الانسان وجوارحه و... كل ذلك آثار لهذه الصداقة الطيبة والعشرة الباطنية المباركة.

إنّ التفطن إلى الرواية الآتية التي يرويها الطبرسي في الاحتجاج يُوضح هذه الحقيقة أكثر فاكثر بان صداقة آل البيت ومعاشرتهم تحوّل الانسان

---

(1)- فرائد السمطين: 2/ 66 و همچنين در مصادر شيعه مانند: الطرائف: 1/ 117، حديث 180؛ بحار الأنوار: 23/ 110، باب 7، حديث 16.

(2)- صحيفة الامام الرضا: 57، حديث 76؛ بحار الأنوار: 23/ 122، باب 7، حديث 45.

إلى بحر عميق من الفضائل والكرامات الربانية.

روى أصبغ بن نباتة قائلًا:

خطبنا أميرالمؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة فحمد اللّه واثنى عليه ثم قال:

عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: خَطَبَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَإِنَّ بَيْنَ جَوَانِحِي عِلْماً جَمّاً، فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: ... يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه و آله، قَالَ، عَنْ أَيِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ؟

تَسْأَلُنِي، قَالَ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، قَالَ عليه السلام:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَقُولُ: مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ ذَا لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ:

بَخٍّ بَخٍّ سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَمَنْ لَكُمْ بِمِثْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ عَلِمَ عِلْمَ الْأَوَّلِ وَعِلْمَ الْآخِرِ، قَالَ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: ذَاكَ امْرُؤٌ عَلِمَ أَسْمَاءَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ تَسْأَلُوهُ عَنْ حُدُودِ اللَّهِ تَجِدُوهُ بِهَا عَارِفاً عَالِماً، قَالَ: يَا أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: ذَاكَ امْرُؤٌ حَرَّمَ اللَّهُ لَحْمَهُ وَدَمَهُ عَلَى النَّارِ وَأَنْ تَمَسَّ شَيْئاً مِنْهُمَا قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ، قَالَ: كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ وَإِذَا سَكَتُّ ابْتُدِيتُ ...» «1».

وقال أبومحمد العسكري عليه السلام:

«قَدِمَ جَمَاعَةٌ فَاسْتَأْذَنُوا عَلَى الرِّضَا عليه السلام وَقَالُوا: نَحْنُ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍ

---

(1)- الإحتجاج: 1/ 260؛ بحار الأنوار: 10/ 123، باب 8، حديث 2.

فَمَنَعَهُمْ أَيَّاماً ثُمَّ لَمَّا دَخَلُوا قَالَ لَهُمْ: وَيْحَكُمْ إِنَّمَا شِيعَةُ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَسَلْمَانُ وَأَبُوذَرٍّ وَالْمِقْدَادُ وَعَمَّارٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الَّذِينَ لَمْ يُخَالِفُوا شَيْئاً مِنْ أَوَامِرِهِ» «1»

. قال النبي صلى الله عليه و آله مخاطباً أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«إِنَّ الجَنَّةَ تَشتَاقُ إِلَيْكَ وَإِلى عَمّارٍ وَسَلْمَانَ وَأبي‌ذرٍّ وَالمِقدَاد» «2».

وقال الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ؟ اللَّهِ قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَأَبُوذَرٍّ الْغِفَارِيُّ وَسَلْمَانُ الْفَارِسِي» «3»

. زرارة بن أعين- وهو أحد أبرز الرواة في مدرسة آل البيت عليهم السلام- يروي عن الامام محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جده، عن أميرالمؤمنين عليه السلام بأنه قال:

«ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِسَبْعَةٍ بِهِمْ يُرْزَقُونَ وَبِهِمْ يُنْصَرُونَ وَبِهِمْ يُمْطَرُونَ مِنْهُم سَلمَانُ الفَارِسِيُ وَالمِقدَادُ وَأبوذَرٍّ وَعَمّارٌ وَحُذَيفَةَ رَحْمَةُ اللّه عَلَيهِم وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيهِ السَّلام يَقُول: وَأَنَا إمَامُهُم وَهُمُ الَّذِينَ صَلَّوْا عَلى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا

---

(1)- الإحتجاج: 2/ 440؛ بحار الأنوار: 22/ 330، باب 10، حديث 39.

(2)- روضة الواعظين: 2/ 280؛ الخصال: 1/ 303، حديث 80؛ بحار الأنوار: 22/ 341، باب 10، حديث 52.

(3)- الإختصاص: 9؛ روضة الواعظين: 2/ 283؛ بحار الأنوار 22/ 345، باب 10، حديث 58.

السَّلامُ» «1».

حب اللّه للانسان، وبركات وجود الانسان العائدة للآخرين، والمعرفة الدينية، الاقتداء بامام الهدى؛ كل ذلك من آثار الصلة القلبية بآل البيت عليهم السلام وحبهم وعشرتهم والتعايش الباطني مع تلك المصادر التي تتدفق بالفضيلة والكرامة.

الصديقان الحقيقيان والصاحبان الواقعيان

كان سعيد بن المسيب مجمع كمالات كالعبودية والزهد والتقوى والفقه والحديث، وقد شهد الامام علي بن موسى الرضا على تشيعه الواقعي الواعي، وقال الامام علي الحسين عليه السلام عنه:

«سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآثَارِ أَيْ فِي زَمَانِهِ» «2»

. وقال الامام أبوعبداللّه الصادق عليه السلام:

«كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو خَالِدٍ الْكَابُلِيُّ مِنْ ثِقَاتِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام» «3»

. كانت لسعيد ابنة اجتمع فيها الجمال الظاهري والباطني، وقد خطبها عبدالملك بن مروان لابنه هشام فرفض سعيد ذلك، يقول أبوبكر بن أبي داود بهذا الصدد:

---

(1)- رجال الكشى: 6؛ بحار الأنوار: 22/ 351، باب 10، حديث 77.

(2)- المناقب: 4/ 176؛ بحار الأنوار: 46/ 133، باب 8، حديث 23.

(3)- الكافى: 1/ 472، حديث 1؛ سفينة البحار: 4/ 158، باب السين.

«كانت بنت سعيد قد خطبها عبدالملك لابنه الوليد فأبى عليه، فلم يزل يحتال عبدالملك عليه حتى ضربه مائة سوطٍ في يوم بارد، وصبّ عليه جرّة ماء وألبسه جبّة صوف، ثم قال: حدثني أحمد بن أخي عبدالرحمن بن وهب... عن ابن أبي وداعة- يعني كثيراً- قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك اللّه، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟

قال: أنا! فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، ثم تحمّد وصلّى على النبي صلى الله عليه و آله وزوجني على درهمين- أو قال: ثلاثة- فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكّر فيمن استدين؛ فصليت المغرب ورجعت إلى منزلي وكنت وحدي صائماً، فقدّمت عشائي أفطر، وكان خبزاً وزيتاً فاذا بابي يُقرع، فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد، فأفكرت في كل من اسمه سعيد إلا ابن المسيب فانه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فخرجت، فاذا سعيد، فظننت انّه قد برا له، فقلت: يا أبا محمد ألا ارسلت إلي فآتيك؟ قال: لا، انت أحق أن تؤتى، انك كنت رجلًا عزباً فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك؛ فاذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم آخذ بيدها فدفعها في الباب وردّ الباب؛ فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقتُ من الباب، ثم وضعت القصعة في ظل السراج لكي لا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران، فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ فاخبرتهم، ونزلوا اليها وبلغ أمي، فجاءت

وقالت: وجهي من وجهك... [ثم قال:] فاذا هي من أجمل الناس واحفظ الناس لكتاب اللّه وأعلمهم بسنة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وأعرفهم بحقّ زوج...» «1».

إن سعيد بن المسيب الذي يعد من الذين تربوا في مدرسة آل البيت عليهم السلام وهو من عشاق الامام السجاد عليه السلام وثمرة صالحة من ثمار شجرة الدين الطيبة، يقول:

«قحط المدينة فخرج الناس يميناً وشمالًا، فمددت عيني فرأيت شخصاً أسود على تل قد انفرد، فقصدت نحوه فرأيته يحرك شفتيه، فلم يتمّ دعاءه حتى أقبلت غمامة، فلما نظر إليها حمد اللّه وانصرف، وأدركنا المطر حتى ظننا الغرق فاتبعته حتى دخل دار علي بن الحسين عليه السلام، فدخلت إليه فقلت له: يا سيدي في دارك غلام أسود تفضّل علي ببيعه، فقال: يا سعيد، لِمَ لا يوهب لك؟ ثم أمر غلمانه بعرض كل من في الدار عليه، فجمعوا فلم أر صاحبي بينهم، فقلت له: فلم أره، فقال: «إنّه لم يبق إلّا فلان السائس» فأمر به فأحضر، فاذا هو صاحبي، فقلت له: هذا هو، فقال له: «يا غلام إن سعيداً قدمك، فامض معه» فقال لي الأسود: ما حملك على أن فرّقت بيني وبين مولاي؟ فقلت له: إني رأيت ما كان منك على التل، فرفع يده إلى السماء مبتهلًا، ثم قال: إن كانت سريرة بيني وبينك قد اذعتها عليّ فاقبضني إليك، فبكى علي بن الحسين عليه السلام وبكى من حضره، وخرجت باكياً، فلما صرت إلى منزلي وافاني رسوله عليه السلام فقال

---

(1)- سير أعلام النبلاء للذهبي: 5/ 225- 226.

لي: «إن أردت أن تحضر جنازة صاحبك فافعل» فوجدت العبد قد مات بحضرته» «1».

إن الذين أحبوا أهل البيت عليهم السلام- حيث جعلهم اللّه سبحانه معالم لهداية عباده- وترددوا اليهم وانصاعوا لهم، يمتلكون شخصية نورانية وملكوتية؛ وبما أنّ وجودهم- خلقاً وسلوكاً- يدور حول الحق، تراهم منسجمين حقيقة مع نظام الوجود برمته، هذا الإنسجام يؤدي إلى أن يُعرفوا ويحبوا عند جميع كائنات الوجود، الا ان هذه المحبة ترتبط بالمولى الحق سبحانه كما ورد في زيارة أمين اللّه:

«اللّهُمّ فاجعَلْ نَفْسي... مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيائِكَ مَحْبُوبَةً فِي أَرْضِكَ وَسَمائِكَ... مُشْتاقَةً إِلى فَرْحَةِ لِقائِكَ اللهُمَّ انَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ الَيْكَ والِهَةٌ ... وَاصْواتَ الدّاعينَ الَيْكَ صاعِدَةٌ وَابْوابَ الْإِجابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ».

إن هذا التناسق- الذي تشير إليه الزيارة- في المعنى والظاهر مع الوجود، يؤدي إلى نمو هؤلاء الأبرار ونضوج شخصيتهم غاية النضوج ويزيدهم استقامة وثباتاً في الدين ويمنحهم ميزة استجابة الدعاء في الدنيا والآخرة.

إن الانسان الذي يسير في متاهات الانحراف- بفعل بعده من اللّه وتعالى وعدم معرفته بالأنبياء والأئمّة- سيتلوث باطنه بشتى أصناف الرذائل وستغطي الموبقات ظاهره بمختلف صنوفها؛ إذن هو خارج على نظام الوجود، بل سيصبح في النهاية رقعة نشاز على رداء الكون!

---

(1)- إثبات الوصية: 174؛ مستدرك الوسائل: 14/ 74، باب 11، حديث 16137.

إن هذا الفرد ينحدر نحو الأسفل، بل مال امراه إلى الهبوط في قعر العبثية والخواء ما لم يستيقظ من سباته ويتوب.

إنما القمر ينتصف والبئر الجافة تفيض بالماء والشجر اليابس يخضّر لذلك الانسان الذي يكون في وجوده وعاداته وأخلاقه وسلوكه وباطنه وايمانه الصادق وسيرته الطيبة وعمله الصالح متناسقاً مع نظام الوجود.

الامام علي عليه السلام والرجل المحتاج

في خبر ان الامام أميرالمؤمنين عليه السلام قال لابنه الحسن عليه السلام:

«... يا حسن قم معي، فأتيا السوق فاذاهما برجل واقف وهو يقول: من يقرض المليّ الوفيّ؟ قال: يا بني نعطيه؟ قال: اي واللّه يا أبة، فأعطاه علي عليه السلام الدراهم، فقال الحسن: يا أبتاه أعطيته الدراهم كلها؟ قال: نعم يا بني، إن الذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير.

قال [الراوي]: فمضى على بباب رجل يستقرض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه ناقة فقال: يا علي اشتر منّي هذه الناقة، قال: ليس معي ثمنها، قال: فإني أنظرك به إلى القبض، قال: بكم يا أعرابي؟ قال: بمائة درهم، قال علي: خذها يا حسن فأخذها، فمضى علي عليه السلام فلقيه أعرابي آخر، المثال واحد والثياب مختلفة، فقال: يا علي تبيع الناقة؟ قال علي:

وما تصنع بها؟ قال: اغزو عليها أول غزوة يغزوها ابن عمك، قال: إن قبلتها فهي لك بلا ثمن، قال: معي ثمنها وبالثمن أشتريها، فبكم أشتريها؟ قال: بمائة درهم، قال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم، قال

علي عليه السلام [للحسن عليه السلام]: خذ السبعين والمائة وسلم الناقة، والمائة للأعرابي الذي باعنا الناقة والسبعين لنا نبتاع بها شيئاً، فأخذ الحسن عليه السلام الدراهم وسلم الناقة، قال علي عليه السلام: فمضيت أطلب الأعرابي الذي اتبعت منه الناقة لأعطيه ثمنها، فرأيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله جالساً في مكان لم أره فيه قبل ذلك ولا بعده، على قارعة الطريق فلما نظر النبي اليّ تبسم ضاحكاً حتى بدت نواجده، قال علي عليه السلام: أضحك اللّه سنك وبشرك بيومك، فقال: يا أبا الحسن: إنّك تطلب الاعرابي الذي باعك الناقة لتوفّيه الثمن؟

فقلت: اي واللّه فداك أبي وأمي، فقال: يا أبا الحسن الذي باعك الناقة جبرئيل والذي اشتراها منك ميكائيل، والناقة من نوق الجنة، والدراهم من عند رب العالمين عزوجل، فأنفقها في خير ولا تخف إقتاراً» «1».

رعاية الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام

تعرفت على أحد الافراد حيث كان له نصيب من التعشق إلى العبادة والخدمة الصداقة خصوصاً لأمّه المقعدة.

بين فينة وأُخرى كنت أذهب إليه من أجل الاستفادة المعنوية منه ولأجل التزود من علمه وبصيرته الوافرتين.

في أحد الأيام حيث كان في ذروة حالاته الروحية وفي جوه العرفاني الوضاء، نقل لي قائلًا:

تعرفت على عالم مهذب وعلّامة بصير وعارف خبير أجهد نفسه في

---

(1)- بحار الأنوار: 41/ 41- 42.

التربية الروحية فكان توفيق التزاور بيننا.

قد تشرف ذلك العالم الفاضل في أيام الصيف بزيارة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المقدسة.

بعد عودته من الزيارة ذهبت للقائه لكي يُتحفنا بما اكتسبه في سفره الروحي هذا بدأ قصة رحلته بما يلي:

«مضى عليّ عام ولم اوفق لزيارة الامام الرضا عليه السلام، ضاق صدري من ذلك بشكل عجيب، في حين كانت عائلتي تصر علي للذهاب إلى مدينة مشهد؛ وبما أني كنت احب الدرّاق- الخوخ- كثيراً، واعدتهم على انّه عند حلول موسم الدراق سأذهب بكم إلى مشهد حيث أن بساتينها تثمر دراقاً اصيلًا!

عند حلول أيام نضوج الخوخ ذهبت بعيالي إلى مدينة مشهد، وقد اسكنتهم داراً؛ بعد استقرارهم ولأجل أن آخذ قسطاً من الراحة ثم اذهب للزيارة، اخلدت الى النوم.

رأيت في المنام أنّي قد دخلت صحن مسجد «گوهر شاد» فذهبت باتجاه قسم إستلام الأحذية الذي يقع إلى الجانب الأيمن من المسجد للذي يريد الدخول إلى المسجد؛ سلمت الحذاء للقسم وتهيأت للذهاب إلى الحرم واذا بباب كبيرة واقف عليها رجل نوراني الوجه مؤدب، قلت له: إلى أين تنفتح هذه الباب؟ أجاب: إلى صالة أقيم فيها مجلس معنوي يدور الحديث فيه عن الروح والنفس وباطن الانسان والامام الرضا عليه السلام حاضر فيه!

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 165

قلت: أنا أيضاً اعرف شيئاً من هذا العلم، فاستأذن لي لكي احضر المجلس هذا! وافق البوّاب بكل أدب فذهب إلى المجلس فعاد بعد هنيهة بقوله: الامام الرضا يقول: إذهب فاملأ أولًا بطنك من الخوخ ثم تعال لزيارتنا!

أجل كانت الزيارة مشوبة بنية أكل الخوخ فمولاي علي بن موسى أرشدني إلى اخلاص النية من الهوى والهوس.

زهير بن القين البجلي

كان زهير بن القين من شجعان العرب وكان عمدة ومعروفاً إلّاأنّه كان عثماني الهوى يعيش أجواء هذا التوجه.

ما كان يعرف الامام الحسين عليه السلام ولم يتعرّف بعد على هذا النبع الفياض ولذلك كان عثماني الإتجاه.

في الطريق من مكة إلى الكوفة عند ما رأى موكب الحسين عليه السلام لم يبد رغبة في لقائه عليه السلام فكان يحاول أن يرتحل كل ما حل الامام عليه السلام ويحل كل ما ارتحل لكنّ الاقدار شاءت أن تنصب القافلتان خيامهما في منزل واحد خلافاً لرغبة زهير؛ عند الظهر جلس زهير يتناول الغداء وإذا برسول الامام الحسين عليه السلام يدخل الخيمة ويقول: اجب الحسين! قال زهير: ليس لي شأن مع الحسين! في هذه اللحظة نادته زوجته قائلة: ألا تستحيي أن لا تجيب الحسين؟!

بتحفيز من زوجته الصالحة ذهب زهير إلى خيمة الامام عليه السلام وفي

لحظات نورانية جالس الحسين عليه السلام، في تلك اللحظات وبتوفيق من اللّه سبحانه تعرّف على الحسين عليه السلام وابصر ذلك الوجود الملكوتي فعشقه بكل كيانه لأنّه شاهد الجمال المعنوي- الرباني بأكمله فيه.

ما فارق زهير الحسين عليه السلام مذ ذاك الى أن نصب نفسه درعاً واقياً للامام حينما كان يؤدي صلاة الخوف مع من تخلف من أصحابه، فنال شرف الشهادة بذلك وسجل إسمه في عداد عشاق الحق والحقيقة في سجل الوجود مؤبداً وخالداً.

ذروة الفتوة

كان محمد بن أبي عمير وجهاً من وجوه الشيعة ومن أصحاب موسى بن جعفر عليه السلام؛ سُعي به إلى السلطان بأنّه يعرف أسامي عامة الشيعة بالعراق وكان الخليفة آنذاك هارون الرشيد فأمره السلطان أن يسمّيهم ويدل عليهم وعلى أصحاب الامام موسى بن جعفر فامتنع، عندها جُرّد فعُلّق بين القفازين وتولّى ضربه السندي بن شاهك فضربه مائة سوطاً فكاد أن يقرّ لعظيم الألم فسمع نداء محمد بن يونس بن عبدالرحمن يقول: «إذكر موقفك بين يدي اللّه عزوجل!»؛ فتقوى بقوله وصبر ولم يخبر ثم حُبس، فأضرّ به هذا الشأن مائة ألف درهم.

قال علي بن ابراهيم عن أبيه:

«كان ابن أبي عمير رجلًا بزازاً وكان له على رجل عشرة آلاف درهم، فذهب ماله، وافتقر فجاء الرجل فباع داراً له بعشرة آلاف درهم وحملها

إليه فدقّ عليه الباب، فخرج إليه محمد بن أبي عمير رحمه الله فقال له الرجل:

هذا مالك الذي لك عليّ فخذه، فقال ابن أبي عمير: فمن أين لك هذا المال؟ ورثته؟ قال: لا، قال: وُهب لك؟ قال: لا، ولكنّي بعت داري الفلاني لأقضي ديني، فقال ابن أبي عمير رحمه الله: حدّثني ذريح المحاربي عن أبي عبداللّه عليه السلام أنّه قال: لا يخرج الرجل عن مسقط رأسه بالدين [أيلا يؤخذ الدار بالدين]! إرفعها فلا حاجة لي فيها، واللّه إني محتاج في وقتي هذا إلى درهم، وما يدخل ملكي منها درهم» «1».

في اوج الوداد الانساني- الرباني

كان صفوان بن يحيى أبو محمد البجلي الكوفي من أصحاب الكاظم والرضا والجواد، وكانت له عند الرضا عليه السلام منزلة شريفة وتوكل للرضا وأبي جعفر وكان اوثق أهل زمانه وأعبدهم وكان يصلي في كل يوم خمسين ومائة ركعة؛ وكانت له منزلة من الزهد والعبادة وكان جماعة الواقفة بذلوا له مالًا كثيراً وسلم مذهبه من الوقف، وكان شريكاً لعبداللّه بن جندب وعلي بن النعمان، وروي أنّهم تعاقدوا في بيت اللّه الحرام أنّه من مات منهم صلى من بقي صلاته وصام عنه صيامه وزكّى عنه زكاته، فماتا وبقي صفوان وكان يصلّي في كل يوم مائة وخمسين ركعة ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ويزكّي زكاته ثلاث دفعات وكل ما تبرع به عن نفسه-

---

(1)- منهج المقال: 275؛ بحار الأنوار: 49/ 273؛ اختبار معرفة الرجال: 591، حديث 1106.

مما عدا ما ذكرناه- تبرّع عنهما مثله «1».

العفاف في معترك الحب

... كان رجل بالمدينة، وكان له جارية نفيسة فوقعت في قلب رجل وأعجب بها، فشكى ذلك إلى أبي عبداللّه عليه السلام قال: تعرّض لرؤيتها وكلما رأيتها فقل: أسأل اللّه من فضله، ففعل فما لبث إلا يسيراً حتى عرض لوليها سفر فجاء إلى رجل فقال: يا فلان أنت جاري وأوثق الناس عندي، وقد عرض لي سفر وأنا أحب أن أودعك فلانة جاريتي تكون عندك، فقال الرجل: ليس لي امرأة ولا معي في منزلي امرأة فكيف تكون جاريتك عندي؟ فقال: أقومها عليك بالثمن وتضمنه لكي تكون عندك، فاذا أنا قدمت فبعنيها أشتريها منك، وإن نلت منها نلت ما يحل لك؛ ففعل وغلّظ عليه في الثمن، وخرج الرجل فمكثت عنده ما شاء اللّه حتى قضى وطره منها.

ثم قدم رسول لبعض خلفاء بني أمية يشتري له جواري، فكانت هي فيمن سُمي أن يشتري، فبعث الوالي إليه فقال له: جارية فلان، قال: فلان غائب، فقهره على بيعها، فأعطاه من الثمن ما كان فيه ربح، فلما أخذت الجارية واخرج بها من المدينة، قدم مولاها، فأول شيء سأله، سأله عن

---

(1)- الإختصاص: 88؛ بحار الأنوار: 85/ 304، باب 2، حديث 2؛ سفينة البحار: 5/ 132، باب الصاد.

الجارية كيف هي؟ فأخبره بخبرها وأخرج إليه المال كله، الذي قومه عليه والذي ربح، فقال: هذا ثمنها خذه، فأبى الرجل، فقال: لا آخذ الا ما قومت عليك، وما كان من فضل فخذه لك هنيئاً! فصنع اللّه له بحسن نيته «1».

في قمة حب الفضائل

قال أبو اسحاق المقدسي:

حج معاوية سنة من سنيّه فسأل عن امرأة يقال لها الدارمية الحجونية- كانت امرأة سوداء كثيرة اللحم- فأخبر بسلامتها فبعث إليها فجيء بها فقال لها: كيف حالك يا بنة حام؟ قالت: بخير! ولس لحام، إنّما امرأة من قريش من بني كنانة ثمت من بني ابيك؛ قال: صدقتي، هل تعلمين لِمَ بعثت إليك؟ قالت: لا، يا سبحان اللّه وأنّى لي بعلم ما لم أعلم؟ قال: بعثت إليك أن أسألك علام احببت علياً وأبغضتيني، وعلام واليته وعاديتني؟

قالت: أو تعفيني من ذلك؟ قال: لا أعفيكِ ولذلك دعوتك؛ قالت: فأما اذا ابيت فإنّي احببت علياً عليه السلام على عدله في الرعية وقسمه بالسوية وابغضك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك؛ ووالیت علياً عليه السلام على ما عقد له رسول اللّه صلى الله عليه و آله من الولاية وحبه المساكين واعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى!

قال: صدقت، فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وربت عجيزَتُك!

---

(1)- الكافى: 5/ 559، باب نوادر ...، حديث 15؛ بحار الأنوار: 47/ 359، باب 11، حديث 69.

قالت: يا هذا، بهند [ام معاوية] واللّه يضرب المثل في ذلك لا أنا! قال معاوية: يا هذه لا تغضبي فإنّا لم نقل إلا خيرا! إنّه إن انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها، واذا عظم ثديها حسن غذاء ولدها، واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها؛ فرجعت وسكتت، فقال لها: يا هذه، هل رأيت علياً؟

قالت: اي واللّه رأيته! قال كيف رأيتيه؟ قالت: رأيته واللّه لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك، قال: فهل سمعت كلامه؟

قالت: نعم واللَّه فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست؛ قال: صدقت! هل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل اذا سألتك؟

قال: نعم، قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها، قال: ماذا تصنعين بها؟ قالت: اغذوا بالبانها الصغار واستحيي بها الكبار واكتسب بها المكارم وأصلح بها بيت العشائر؛ قال: فان أنا أعطيتك ذلك فهل أحل منك محلّ علي؟ قالت: يا سبحان اللَّه! أو دونه، أو دونه؟

فقال معاوية:

اذا لم أجد منكم عليكم فمن ذاالذي بعدي يؤمل بالحلم

خذيها هنيئاً واذكرى فعل ماجد حباك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال: أما واللَّه لو كان علياً ما أعطاك منها شيئاً! قالت: اي واللَّه ولا برّة واحدة من مال المسلمين يعطيني ... «1».

قارن بين هذه المرأة التي والت من اجتمعت فيه الفضائل والكمالات برمتها بالمرأة الغربية التي تعشق المنحطين من نجوم السينما وغيرهم!

---

(1)- أعيان الشيعة: 6/ 364؛ بلاغات النساء: 72- 73.

قس عشقها بعشق ربيبات الحضارة المادية اللاتي يعشقن التافه العابث؛ قارن حتى تعرف مدى الفرق بين التدين وأتباع القرآن باللادينية وأتباع الهوى والشيطان.

ا

فحام الظالمين

كانت أرْوى بنت عبدالمطلب امرأة عجوزاً مقوسة الظهر طاعنة في السن بحيث يصعب عليها المشيء من دون عصا، يقول أنس بن مالك عن لقاءها بمعاوية بن أبي سفيان:

«دخلت أروى بنت عبدالمطلب على معاوية بن أبي سفيان بالموسم وهي عجوز كبيرة، فلما رآها قال مرحباً بك يا عمة! قالت: كيف أنت يابن أخي؟ لقد كفرت بعدي بالنعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الاسلام! ولقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله فاتعس اللّه منكم الحدود واصعر منكم الحدود حتى رد اللّه الحق إلى أهله وكانت كلمة اللّه هي العليا ونبينا صلى الله عليه و آله هو المنصور على من ناواه ولو كره المشركون فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدراً حتى قبض اللّه نبيه صلى الله عليه و آله مغفوراً ذنبه، مرفوعاً درجته شريفاً عند اللّه مرضياً؛ فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول: [يا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي]! ولم يُجمع

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 172

بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله لنا شمل ولم يسهل لنا وعر وغايتنا الجنة وغايتكم النار!

قال عمرو بن العاص: أيتها العجوز الضالة إقصري من قولك وغضي من طرفك! قالت: ومن أنت لا أم لك؟ قال: عمرو بن العاص، قالت: يابن اللخناء النابغة أتكلمني! اربع على ظلعك واعن بشأن نفسك، فواللّه ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها ولقد ادعاك ستة من قريش كل يزعم أنّه أبوك، ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر [أيفاجر] فأتم بهم فانك بهم أشبه!

قال مروان الحكم: أيتها العجوز الضالة! ساخ بصرك مع ذهاب عقلك فلا تجوز شهادتك؟! قالت يابني أتتكلم! فو اللّه لأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم وأنك لشبهه في زرقة عينك وحمرة شعرك مع قصر قامته وظاهر دمامته؛ ولقد رأيت الحكم مادّ القامة، ظاهر الامّة، سبط الشعر؛ وما بينكما قرابة الا كقرابة الفرس الظامر من الإتان المقرب، فاسأل أمّك عما ذكرت لك فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت.

ثم التفتت إلى معاوية فقالت: واللّه ما عرضني لهؤلاء غيرك، وإنّ أمك للقائلة في يوم أحد في قتل حمزة رحمه الله:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب يوم الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر أبي وعمي وأخي وصهري

شفيت وحشي غليل صدري شفيت نفسي وقضيت نذري

فشكر وحشي علي عمري حتى تغيب اعظمي في قبري

فأجابتها:

يا بنت وقاع عظيم الكفر خزيت في بدر وغير بدري

صبحك اللّه قبيل الفجر بالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يقري حمزة ليثي وعلي صقري

اذ رام شبيب وأبوك غدري اعطيت وحشي ضمير الصدري

هتك وحشي حجاب الستري ما للبغايا بعدها من فخر

فقال معاوية لمروان وعمرو: ويلكما أنتما عرضتاني لها واسمعتماني ما أكره! ثم قال: يا عمة اقصدي قصد حاجتك ودعي عنك أساطير النساء!

قالت: تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار!

قال: ما نصنعين يا عمة بألفي دينار؟

قالت: اشتري بها عينا خرخارة في أرض خوارة تكون لولد الحارث ابن المطلب.

قال: نعم الموضع وضعتها، فما تصنعين بألفي دينار؟

قالت: أزوج بها فتيان عبدالمطلب من أكفائهم.

قال: نعم الموضع وضعتها، فما تصنعين بألفي دينار؟

قالت: استعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت اللّه الحرام.

قال: نعم الموضع وضعتها، هي لك نعم وكرامة.

ثم قال: أما واللّه لو كان علي ما أمر لك بها!

قالت: صدقت إن علياً أدى الأمانة وعمل بأمر اللّه وأخذ به، وأنت

ضيعت أمانتك وخنت اللّه في ماله فاعطيت مال اللّه من لا يستحقه وقد فرض اللّه في كتابه الحقوق لأهلها وبينها فلم تأخذ بها، ودعانا (أي:

علي) إلى أخذ حقنا الذي فرض اللّه لنا فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها وما سألتك من مالك شيئاً فتمنّ به! إنما سألتك من حقنا ولا نرى أخذ شيء غير حقنا، أتذكر علياً! فضّ اللّه فاك واجهد بلاءك! ثم علا بكاؤها وقالت:

ألا يا عين ويحك اسعدينا ألا وابك أميرالمؤمنينا

رزينا خير من ركب المطايا وفارسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال او احتذاها ومن قرأ المثاني والمئينا

اذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راع الناظرينا

ولا واللّه لا أنسى علياً وحسن صلاته في الراكعينا

أفي الشهر الحرام فجعتمونا بخير الناس طرّاً أجمعينا

قال: فأمر لها بستة آلاف دينار، وقال لها: يا عمة انفقي هذه فيما تحبين فاذا احتجت فاكتبي إلى ابن أخيك يحسن صفدك ومعونتك إن شاء اللّه «1».

أسرة من أهل الجنة سيرة ومسكناً

قد شاركت نسيبة بنت كعب- المكناة بام عمارة- في معركة أُحد برفقه زوجها وأولادها فحملت السيف وقاتلت لنصرة رسول اللّه صلى الله عليه و آله ودفاعاً عن حياض القرآن والاسلام، ولربما أخذت ترمي جموع الاعداء بالنبال

---

(1)- بلاغات النساء: 27- 30.

فيذهبون ادراجاً! وقد طعنت بالسيوف والرماح فجرحت في جسمها وكتفها اثنا عشر جرحاً.

روى ابن أبي الحديد قصتها في هذه المعركة عن الواقدي فقال:

«وكانت نسيبة بنت كعب أمّ عمارة... قد شهدت أحداً وزوجها غزيّة وابناها عمارة وعبداللّه ومعها قربة لها في أول النهار تريد أن تسقي الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسناً، فجرحت اثني عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف، فكانت أم سعد بنت سعيد بن الربيع تحدث، فتقول: دخلت عليها، فقلت لها: يا خالة، حدّثيني خبرك، فقلت: خرجت أول النهار إلى أُحد، وأنا انظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وهو في الصحابة والدولة والريح للمسلمين فلمّا انهزم المسلمون، إنحزت إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فجعلت أباشر القتال وأذبّ عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله بالسيف وأرمي بالقوس، حتى خلَصت إلى الجراح، فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: يا أمّ عمارة من أصابك بهذا؟ قالت: أقبل ابن قميئة وقد ولّى الناس عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله يصيح: دلّوني على محمد، لا نجوت إن نجا! فاعترض له مُصعب بن عمير وناس معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكنّ عدو اللّه كان عليه دِرعان فقالت لها: يدك ما أصابها؟ قالت: أصيبت يوم اليمامة، لما

جعلت الأعراب تنهزم بالناس، نادت الأنصار: أخلصونا، فاخلصت الأنصار فكنت معهم، حتى انتهينا إلى حديقة الموت، فاقتتلنا عليها ساعة، حتى قتل أبو دُجانة

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 176

على باب الحديقة؛ ودخلتها وأنا أريد عدوّ اللَّه مسيلمة، فيعرض لي الرجل، فضرب يدي فقطعها...

قال: سمعت عبداللَّه بن زيد بن عاصم يقول: شهدت أحداً مع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلما تفرق الناس عنه، دنوت منه، وأمي تذبّ عنه، فقال يابن عمارة، قلت: نعم، قال: ارم؛ فرميت بين يديه رجلًا من المشركين بحجر، وهو على فرس، فاصيبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت عليه منها وقرا والنبي صلى الله عليه و آله ينظر إلي ويبتسم، فنظر إلى جرح بأمي على عاتقها، فقال:

امّك أمّك! أعصب جُرحها، بارك اللَّه عليكم من أهل بيت! لمقام أمّك خير من مقام فلان وفلان ومقام ربيبك- يعني زوج أمه- خير من مقام فلان، رحمكم اللَّه من أهل بيت! فقلت أمي: ادع لنا اللَّه يا رسول اللَّه أن نرافقك في الجنة، فقال: «اللهم اجعلهم رُفقائي في الجنة» قالت: فما أبالي ما أصابني من الدنيا» «1».

الصلة الروحية بين أويس القرني والنبي الأكرم صلى الله عليه و آله

إنّ أويس القرني لم ير نبي الاسلام صلى الله عليه و آله ولكنّه عند ما سمع بأوصافه وتعرّف على دعوته، سار في مدار الهداية فاتّصف بالايمان الجامع والعبادة الكاملة والعرفان الصحيح.

فإنّ النبيّ الأكرم شهد له بالجنة فقال لأصحابه:

---

(1)- شرح ابن أبي الحديد: 14/ 265- 269.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 177

«ابشروا برجل من امّتي يقال له أويس فإنّه يشفع يوم القيامة بمثل قبيلتي ربيعة ومضر».

وقال صلى الله عليه و آله فيه أيضاً:

«تفوح روائح الجنة من قِبَل القَرَن، واشوقاه إليك يا أويس القرن».

وإنّه صلى الله عليه و آله عند ما كان يشمّ رائحة اويس من جانب اليمن، يقول:

«إنّي لأشمّ روح الرحمن من طرف اليمن».

وأويس نفسه كان يتحرّق شوقاً لرؤية النبي الأكرم صلى الله عليه و آله؛ حتّى أنّه قد استأذن امّه يوماً ليذهب الى المدينة لكي يتشرف بزيارة نبي الرحمة صلى الله عليه و آله، فقالت له امّه: أنا أأذن لك شريطة أن لا تمكث في المدينة أكثر من نصف نهار!

فتوجه إلى المدينة بترخيص من امّه، ولكن عند ما وصل المدينة فذهب إلى دار النبي صلى الله عليه و آله لم يجده! بعد أن قضى من النهار نصفه عاد ادراجه من دون أن يوفق لزيارة النبي صلى الله عليه و آله!

حينما جاء النبي صلى الله عليه و آله إلى الدار بعد الزيارة الخاطفة لأويس قال: لمن هذا النور الذي اشاهده في الدار؟ قالوا: [لا ندري! ولكن] جمّالٌ اسمه اويس جاء إلى الدار [سأل عنك] ثم ارتحل؛ قال الرسول صلى الله عليه و آله: ترك هذا النور في الدار هدية وذهب!

معروف بأنّه عند ما أُدميت جبهة الرسول صلى الله عليه و آله وانكسرت رباعيته في غزوة احد، كان أويس يرعى الجمال في صحاري اليمن، واذا به قد صرخ من وجع الجبهة والرباعية!

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 178

أجل، لا يلزم الحضور المادي للمعاشر الروحاني والكائن الملكوتي في مدارات الحياة الانسانيّة، فإنّ الانسان بجهده وسعيه وفعاليته الروحية الصحيحة، يتمكن من أن يدرك بنفسه المحضر المعنوي لأولياء اللّه سبحانه ويرتبط روحياً باولئك الكرام- كما كان أويس- فيحضى بفيوضات وجودهم المتدفقة، وقد قيل: ونعم ما قيل:

«من جَدّ وجَد» «1».

(1)- راجع: منتهى الآمال، الباب الثالث، الفصل السابع، سيرة اويس القرني.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 180

مجالسة الصالحين

الخير الجامع والشر الجامع

إن الاسلام- وهو الدين الوحيد الذي يمثل ثقافة كاملة وكفيلة بالسعادة- يرى أن الخير الجامع في العشرة الصحيحة والصداقة الحقيقية وفي مصاحبة أحباء القلوب والذوات الطاهرة النبيلة وأهل الايمان والمروءة ومجالسة أصحاب النفوس العيسوية الذين لا يريدون للانسان إلّا صلاحه وكرامته ونموه وتربيته وأدبه وسلامته، فهذا كله يوصف بالخير الجامع.

إن المنهاج الرباني المثمر يرى أن العشرة المغلوطة والصداقة الخاطئة ومصاحبة موتى القلوب وأولات الأرواح الشريرة والنفوس الخبيثة وروّاد الجريمة واللادينية ومجالسة الذين سلوكهم وأعمالهم كالرياح المزيفية تقضي على نظارة الانسان وقيمه، هذه كلها تمثل الشر الجامع.

وأن العِشرة مع الطيبين الأخيار ومجالسة المؤمنين أصحاب الذوات المقدسة، ومصادقة الأوفياء وأصحاب الضمائر الحية، هي كالشراب الشافي الذي يعالج الأمراض الفكرية والنفسية للانسان كما أنّها تمنح الانسان جدارة وحيوية لكي يخوض معترك حياة طيبة.

إنّ العِشرة مع الارجاس ومرضى القلوب ومجالسة فاقدي الايمان

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 182

وذوات الصفات الشيطانية، ومصادقة المنافقين من ذوي الوجهين، أصحاب الباطن الخبيث من الناس، مثل السمُّ القاتل الذي تسقى به حياة الانسان فتسمّم جميع شؤونها فتتركه في قفر الهلاكة وأرض الضلالة بائساً مبتلى، لا مفر له ولا محيص؛ إن الفضائح التي تنتاب الانسان جراء مجالسة الطالحين لا تجبر احياناً بل انها تكدر حلاوة الحياة ولذتها أبداً.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«عَارُ الفَضِيحَة يُكَدِّرُ حَلَاوَةَ اللَّذَّةِ» «1».

وفي كلام له أيضاً:

«لَايَقُومُ حَلَاوَةُ اللَّذَّةِ بِمَرَارَةِ الآفَاتِ» «2».

أجل إنّ الذي يعاشر الشاذين والأرجاس ويصادق الجهلة والفاقدين للرجولة والمروءة فيتخذهم بطانة ويرافقهم طويلًا فانه- بسبب تلك العِشرة المغلوطة- يُحرم من العلم والمعرفة والعبادة والخدمة والقيم والكرامة؛ فبعد تلك النكبات وغيرها من الإنتكاسات، عند ما يأتي على محاسبة نفسه يجد أن تلك اللذات لا تساوي شيئاً أمام النكبات والانتكاسات التي انصبت عليه.

---

(1)- غرر الحكم: 481، حديث 11060؛ مستدرك الوسائل: 11/ 346، باب 42، حديث 13217.

(2)- غرر الحكم: 854.

تشبيه لطيف من صديق حقيقي

يذكر جلال الدين الرومي في ديوانه المسمى ب «المثنوي» رواية مهمة عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، وقد نظّمها بأسلوب فني ظريف في أبيات شعرية، لا يخلو ذكر هذه الرواية عن فائدة في هذا المقال:

«إغْتَنِمُوا بَرْدَ الرَّبِيْعِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ بِأبدانِكُمْ كَمَا يَفْعَلُ بِأَشْجَارِكُمْ، وَاجْتَنِبُوا بَرْدَ الخَرِيْفِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ بِابْدَانِكُمْ كَمَا يَفْعَلُ بِأَشْجَارِكُمْ» «1».

ويعلّق جلال الدين الرومي قائلًا: إن النبي صلى الله عليه و آله أفصح الناس، وكلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، فلابدّ أن يقصد بكلامه في هذه الرواية حقيقة سامية، ومحتوى قيماً جداً.

وعليه، يحتمل أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه و آله كان يقصد ببرد الربيع، الكلام السحري لأولياء اللّه وأصحاب القلوب الطاهرة، وأقوالهم الملكوتية، وأنفاسهم العيسوية، فهي تُحي القلوب الميّتة، وتُنعش الأرواح الكئيبة، وتَهزّ النفوس الذابلة، كما يحي برد الربيع الأشجار.

ويقصد صلى الله عليه و آله ببرد الخريف، كلام أصحاب القلوب الميتة، وأقوال أهل الباطل، وأنفاسهم المسمومة، فهي تميت القلوب المحتضرة، وتقتل

---

(1)- بحار الأنوار: 59/ 271، باب 88.

القلوب الضعيفة، وتحيط بالنفوس الميتة وتسوقها نحو الشهوات بحيث تصيّرها حيوانات وحشية.

وبالتالي، فإنّ أمير الكلام، ومبلغ الوحي، وخير الأنام، أراد بهذا البيان أن يؤكّد على أهمية دور المعاشر الإلهي، وأنّه لو عاشر الإنسان معاشراً إلهياً، ورفيقاً ملكوتياً وصديقاً عرشياً- حيث انّه ينطق لسانه بالإيمان، وحالاته تظهر الحقائق، وأخلاقه ثمرة من بستان الكرامة- سوف تتبلور طاقاته الانسانية وحالاته المعنوية بأنفاس عيسوية وتتحول غرسة وجوده إلى شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وتعطي أكلها كل حين.

وأما لو عاشر وجالس الانسان معاشراً شريراً ورفيقاً شيطانياً وصديقاً مادياً لا دين له تمتد جذور لسانه في الكفر والشرك، وحالاته تتمثل فيها الثقافة الوثنية وخلقه مثل الحنظل سُمٌّ قاتل فاذا ما جالس الانسان الى مثل هذا الشخص ستقضي أنفاسه الخريفية الصفراء على قابلياته الانسانية وحالاته الباطنية فتتحول غرسة وجوده إلى شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

إنّ فائدة الصديق الحقيقي والرفيق الطاهر للانسان كفائدة نسيم الربيع للورد والشجر والغرس والنبات، وضرر الصديق المنحرف للانسان كضرر الرياح والنار التي تشب في الزرع فتحوله إلى رماد أسود تحمل الرياح كل ذرة منه إلى مكان سحيق.

إذن الشاعر الايراني الكبير مولوي قد بلور وأوّل حديثاً للرسول

الأعظم صلى الله عليه و آله يدعو فيه أصحابه أن يعرّضوا أنفسهم إلى نسائم الربيع لأنها تفعل في الأجسام ما تفعله في الأشجار كما انّه صلى الله عليه و آله يدعوا للتحرز من برد الخريف لأنه يضر بالأبدان كما يضرّ بالأشجار.

فالشاعر مولوي يقول أن هذا التعبير للرسول صلى الله عليه و آله تعبير كنائي فانه يريد بالربيع ما يفوح من كلمات الأولياء كاملي العقل والضمير فإن العقول والأرواح والضمائر تزدهر بفعل كلمات هؤلاء الأولياء مثلما تزدهر الأشجار والنباتات والأعشاب برياح الربيع.

وتخبو وتذبل وتصفر بما تتصاعد من رياح نتنة وضارّة كما تتضرّر الأشجار والنباتات والأعشاب برياح الخريف الضارّة.

وكذلك الشاعرة الفارسية المعروفة بروين اعتصامي حيث تصف في نهاية قصيدتها (الجليس غير السليم) بلسان الحال، الماء الذي انقلب إلى بخار لمجالسة النار وخسر أصالته وفقد كل تلك الفوائد التي كان يهبها للطبيعة والانسان فالأبيات تصف الآثار المدمرة التي تعصف بالقيم الانسانية والأخلاق الطيبة جرّاء مجالسة رفاق السوء.

إنّ المعاشر غير السليم والصديق المنحرف والرفيق الفاسد السيرة، يجفف جذور انسانية الانسان الطيبة ويسقط غصون شجرة الفطرة وأوراقها ويكسر أجنحة الانسان ويغلق جميع سبل السعادة بوجه الانسان ويجمّد العقل الفعّال والفكر السليم ويُسكت صراخ الوجدان ويوقف قوة الروح فيصنع من الانسان- وهو خليفة اللّه- أشواكاً يابسة ضارة تفتك بكل من يقترب منها.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 186

ينبوع في أعلى الجبل

إن الجليس الصالح والرفيق المناسب والصديق السليم كينبوع في أعلى الجبل بالنسبة إلى تربة وجود الانسان، يشرف على سفح الجبل ويجري ماءه العذب والنافع إلى جميع الأراضي الموجودة في سفح الجبل وتنبت من هذه الأراضي في الربيع نباتات خضراء وورود طيبة الرائحة وأشجار مثمرة تسرُّ الناظرين.

إنّ الشاعر الايراني الكبير مولوي قد بلور وأوّل حديثاً للرسول الأعظم صلى الله عليه و آله يدعو فيه أصحابه أن يعرّضوا أنفسهم إلى نسائم الربيع لأنّها تفعل في الأجسام ما تفعله في الأشجار كما أنّه صلى الله عليه و آله يدعوا للتحرز من برد الخريف لأنه يضر بالأبدان كما يضر بالأشجار.

فالشاعر مولوي يقول أنّ هذا التعبير للرسول صلى الله عليه و آله تعبير كنائي فانه يريد بالربيع ما يفوح من كلمات الأولياء كاملي العقل والضمير فان العقول والأرواح والضمائر تزدهر بفعل كلمات هؤلاء الأولياء مثلما تزدهر الأشجار والنباتات والأعشاب برياح الربيع.

وتخبو وتذيل وتصفرّ بما تتصاعد من رياح نتنة وضارة كما تتضرر الأشجار والنباتات والأعشاب برياح الخريف الضارة.

إنّ الانسان عند ما يُخالط صديقاً طاهراً وطيباً وصادقاً ومخلصاً وعالماً ويحرز كفاءته ولياقته، يتعلّم قيمه فيقوم بارادته بانتقاء تلك القيم، فحينما تمطر تلك القيم على الانسان ستثمر شجرة وجوده بالمعنويات ببركة تلك المعاشرة الصحيحة كما تمطر قطرات المطر من السحاب على الأرض المستعدة فتخرج الثمرات من أشجارها.

إن الخسارة المعنوية الناجمة من فقد الصديق الصالح تشبه حرمان الانسان نفسه من الهواء النقي وأشعة الشمس والغذاء السالم.

كان أبو لهب قد ناهز الخمسين من عمره عند معاصرته النبي الأكرم صلى الله عليه و آله في مكة إلا أنّه لم يقبل ولو في لحظة واحدة بمعاشرة النبي صلى الله عليه و آله ومرافقته لكي يوفق للتمتع بالقيم المعنوية للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله بل حرم نفسه إلى نهاية حياته من معاشرة النبي صلى الله عليه و آله ووُصم بالعار الأبدي والخسران الدائم والشقاء الباقي على جبين حياته حتى أن اللّه عزوجل عرّفه بوصفه شخصية منبوذة في قوله تعالى:

[تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَ] «1».

نعم، إن الحرمان من الصديق المناسب والمعاشر الطيب، ينزع غطاء الانسانية عن وجود الانسان ويلبس الباطن غطاء الحيوانية ويجعل من الانسان مصداقاً لقوله: [كَالْأَنْعامِ] «2»، [كَمَثَلِ الْكَلْبِ] «3» و [كَمَثَلِ

---

(1)- مسد (111): 1.

(2)- «أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ». الانعام (6) 179.

(3)- «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ». الأنعام (6) 176.

الْحِمارِ] «1».

ينبغي للانسان أن لا يغفل عن الارتباط بمن هو أعلى منه في العلم والمعرفة والأخلاق والتربية والوعي والكرامة، وأن لا يأنف من التماسه والتوسل إليه فإنّ الغفلة والأنفة في ذلك يؤديان إلى ضياع الدنيا والآخرة.

إنّ نداء دعوة الطاهرين مازالت تدوي في الآذان وتبقى لتسمعها إلى قيام الساعة وهي تنادي: يا أيها الانسان إربط غرسة وجودك بنا من طريق القلب والروح للتتخذ من الرزق الكامل والعطاء المعنوي الوافر الذي رزقه اللّه تعالى إيّانا لتوفر مؤهلات فينا حتى يكتمل عقلك ويزدهر فهمك كأزهار الربيع ويضيء نور المعنوية في نفسك وتخرج الثمار الملكوتية من وجودك وتنمو في الكون كشجرة طيبة- كما جاء في القرآن «2»- ليكون أصلك ثابت وتعلّق أوراق عقلك وقلبك وروحك وفهمك في فضاء الملكوت وتعطي ثماراً دائمة ليحظى الجميع من فاكهتها وثمارها الدائمة.

يدعوك هؤلاء وكل من تربى عليهم بأن تعال لتهذّب نفسك في ظل أنفاسنا القدسية فتشفى من الأمراض الفكرية والنفسية وتتشافى من أوجاعك المعنوية والمادية بحكمتنا وتتزيّن بالعافية والصحة الشاملة لتدخل إلى ساحة رحمة اللّه وعنايته وولاية أولياء، ولا سبيل للوصول

---

(1)- «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً». جمعه (62): 5.

(2)- «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ». ابراهيم (14): 24- 25.

إلى هذه الحقائق الا بمعاشرة ومصادقة الطيبين وإطاعتهم التي هي بالحقيقة طاعة اللّه.

روي عن الامام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«كُنْتُ مَعَ أَبِي حَتَّى انْتَهَيْنَا إلى القَبْرِ وَالمِنْبَرِ وَإِذَا أُناسٌ مِنْ أصحَابِهِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِم وَقَالَ: وَاللَّهِ إنِّي لَأُحِبُّكُم وَأُحِبُّ رِيحَكُمْ وَأرواحَكُم فَأعِينُونِي عَلى ذَلِكَ بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ فَإنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا وِلَايَتَنَا إلّابِالوَرَعِ وَالاجْتِهَادِ» «1».

يقول العالم صاحب كتاب «آداب النفوس»:

إنّ لصديق الحسن والرفيق الشفيق والصاحب الملائم أربعة صفات:

عفة النفس، التقوى، الزهد عن متاع الدنيا، الورع والعفاف، وهذه الصفات الأربعة هي حقائق لا يحصل عليها الانسان إلّاعن طريق مجالسة الطيبين.

ينبغي أن نعاشر ونرافق الذين يشملنا لطف الرب ورحمته في ظلهم يوم القيامة ونحظى بالجنة والرضوان الالهي بشفاعتهم ولا نعاشر أو نخالط من يأتي لهم الخطاب يوم القيامة:

[وَ امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ] «2».

فنصطفّ في صفوفهم ونتميز معهم لعِشرتنا إيّاهم.

---

(1)- مجموعة ورام: 2/ 90، اين روايت با كمى تغيير در: الكافى: 8/ 212، حديث 259؛ الأمالى، شيخ صدوق: 626، حديث 4؛ مشكاة الأنوار: 74، الفصل الثالث فى آداب الشيعة؛ بحار الأنوار: 7/ 203، باب 8، حديث 91 و 27/ 108، باب 4، حديث 81 و... ذكر شده است.

(2)- يس (36): 59.

لقمان الحكيم ومجالسة الأخيار

كان لقمان رجلًا أسود البشرة من بلاد السودان وكان عبداً يخدم الأثرياء لمدة طويلة، ويقوم بأعمال شاقة وصعبة، ولكنّه رغم ذلك لم يغفل عن الاتزام بتعاليم اللّه والاستماع إلى نصيحة الواعظين وحكمة العقلاء.

وبعد أن تحرر من العبودية، اهتم بمجالسة العلماء والطاهرين والمتدينين وأولي الألباب الحقيقيين، حيث إنّه نُقل عن تلك الشخصية المقدسة والمتأدبة بآداب اللّه أنّه قال لابنه:

«إنّ عدد هؤلاء العظماء الذين عاشرتهم وجالستهم وصل إلى أربعة آلاف شخص».

إن وقعة أنفاس المعاشرين الطاهرة والمنهج والأسلوب الإنسانيان للأصدقاء الطيبين وأخلاق هؤلاء الرفقاء المقدسين كانت كبيرة حيث أنّها جعلت قلبه الطاهر الصادق يتلقّى الحكمة الالهية من حضرة الحق مباشرة ومن دون وسيط:

[وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ...] «1»

---

(1)- لقمان (31): 12.

مضافاً إلى الحِكَم التي نقلها عزوجل في كتابه العزيز من لقمان، لقد نقل أهل البيت عليهم السلام أيضاً حكماً ثمينة عنه، من جملتها:

«أَيْ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ ذُقْتُ الصَّبْرَ وَأَنْوَاعَ الْمُرِّ فَلَمْ أَرَ أَمَرَّ مِنَ الْفَقْرِ فَإِنِ افْتَقَرْتَ يَوْمَكَ فَاجْعَلْ فَقْرَكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ وَلا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِفَقْرِكَ فَتَهُونَ عَلَيْهِم.

«يَا بُنَيَّ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ هَلَكَ فِيهَا نَاسٌ كَثِيرٌ تَزَوَّدْ مِنْ عَمَلِهَا وَاتَّخِذْ سَفِينَةً حَشْوُهَا تَقْوَى اللَّهِ ثُمَّ ارْكَبِ الْفُلْكَ تَنْجُو

[تَنْجُ

] وَإِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ لا تَنْجُوَ يَا بُنَيَّ السَّفِينَةُ إِيمَانٌ وَشِرَاعُهَا التَّوَكُّلُ وَسُكَّانُهَا الصَّبْرُ وَمَجَاذِيفُهَا الصَّوْمُ وَالصَّلاةُ وَ الزَّكَاةُ يَا بُنَيَّ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ مِنْ غَيْرِ سَفِينَةٍ غَرِق.

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ فِي أَيَّامِكَ وَلَيَالِيكَ وَسَاعَاتِكَ نَصِيباً لَكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ لَهُ تَضْيِيعاً مِثْلَ تَرْكِهِ.

يَا بُنَيَّ إِنَّهُ مَنْ يَصْحَبْ قَرِينَ السَّوْءِ لا يَسْلَمْ وَمَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ السَّوْءِ يُتَّهَم.

يَا بُنَيَّ سَيِّدُ أَخْلاقِ الْحِكْمَةِ دِينُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَثَلُ الدِّينِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ نَابِتَةٍ فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ مَاؤُهَا وَالصَّلَاةُ عُرُوقُهَا وَالزَّكَاةُ جِذْعُهَا وَالتَّأَخِّي فِي اللَّهِ شُعَبُهَا وَالْأَخْلاقُ الْحَسَنَةُ وَرَقُهَا وَالْخُرُوجُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ ثَمَرُهَا وَلا تَكْمُلُ الشَّجَرَةُ إِلّا بِثَمَرَةٍ طَيِّبَةٍ كَذَلِكَ الدِّينُ لا يَكْمُلُ إِلّا بِالْخُرُوجِ عَنِ الْمَحَارِمِ».

قال الصادق عليه السلام في وصفه:

«كَانَ رَجُلًا قَوِيّاً فِي أَمْرِ اللَّهِ مُتَوَرِّعاً فِي اللَّهِ سَاكِتاً سِكِّيتاً عَمِيقَ النَّظَرِ طَوِيلَ الْفِكْرِ حَدِيدَ النَّظَرِ مُسْتَغْنٍ بِالْعِبَر.

لَمْ يَغْضَبْ قَطُّ وَلَمْ يُمَازِحْ إِنْسَاناً قَط.

وَلَمْ يَمُرَّ بِرَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ أَوْ يَقْتَتِلانِ إِلّا أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَمْضِ عَنْهُمَا حَتَّى تَحَاجَزَا» «1».

---

(1)- وردت مواعظ لقمان في المصادر التالية:

الكافي: 1/ 16 كتاب العقل والجهل، ح 12؛ بحار الأنوار: 75/ 299، باب 25، حديث 1؛ 13/ 419، باب 8، ح 14؛ قصص الأنبياء للراوندي: 195، حديث 245.

وكذلك في أبواب مختلف من الكافي، في كتاب العقل والجهل الأبواب: مجالسة العلماء، الخوف والرجاء، الصمت، ذم الدنيا والزهد، من نكره مجالسته، كراهة المسألة.

المعاشرة المعنوية للمقدس الأردبيلي

يستطيع الانسان من خلال تعزيز الايمان والتقوى والعبادة والخدمة أن يصل إلى درجة يجد فيها نفسه حاضراً عند أولياء اللّه يتمتع بأنفاسهم القدسية.

وطبعاً لا يلزم الحضور المادي لهذه الشخصيات المقدسة في حياتنا بل تكفي معرفتهم وتعظيم مرتبتهم العليا في القلب والاطلاع على منهجهم وأسلوبهم وثقافتهم في تنمية الانسان وتكامله.

يعدّ المقدس الأردبيلي من الشخصيات البارزة التي سارت في طريق معرفة النبي الأكرم صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام وتجلّت حقيقتهم المضيئة في قلبه الطاهر فإنّه بعد تلقيه لثقافتهم وأخلاقهم وصل إلى مرتبة عالية ودرجة رفيعة حتى قال أحد تلامذته الأتقياء الصادقين:

رأيت الاستاد في منتصف الليل يمشي باتجاه الحرم المطهر للامام الموحدين ونور قلوب العارفين مولى المحبين أميرالمؤمنين علي عليه السلام مرتدياً عباءته فإنّ ذهابه باتجاه الحرم أثار عجبي لأنّ جميع أبواب الحرم كانت مغلقة، فقررت أن أتابع الأستاذ في ظلام الليل لأرى ما هي غايته من ذهابه إلى الحرم حيث بلغت تلك الليلة منتصفها.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 194

وصل الأستاذ إلى باب الحرم حيث كان مغلقاً، واذا بالباب قد انفتحت عليه، واصل خطواته نحو الضريح المقدس أيضاً، فدخل الروضة الشريفة، ثم خاطب مولاه بأني توقفت عند مسألة فقهية ولا أستطيع حلّها، فيا حلّال المسائل! حلَّ مسألتي!

سمعت نداءاً جميلًا من الضريح يقول: إذهب إلى مسجد الكوفة والتقي بولدي المهدي وأعرض عليه مسألتك الفقهية حتى تسمع جواب مسألتك.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 195

عُشرة وحيد البهبهاني الروحانية

كان الوحيد البهبهاني من الشخصيات الشيعية الفريدة والعلماء البارزين الذين صانوا الفقه الشيعي في فترة كانت المدرسة الاخبارية في ذروة قوتها، فأنقذ الفقه من خطر العاصفة الاخبارية الهوجاء!

عاصر البهبهاني دولة فتحعلي شاه القاجاري وكان الشاه يكنّ له كامل الاحترام.

كان الشاه الايراني يتذرع بكلّ ذريعة ووسيلة لتعزيز ملكه وعرشه ومنها أنّه كتب لهذا العالم العظيم والمرجع الفريد رسالة وطلب منه أن ينتقل من حوزة العراق إلى حوزة ايران وفي كل مرّة كان يأبى البهبهاني أن يجيب على رسالته.

وعند ما أصرّ الشاه على سفره إلى ايران اختار البهبهاني ستة من تلامذته من بينهم آية الحق وصاحب المكاشفة والكرامات وبحر العلوم والعلّامة السيد مهدي الطباطبائي واستشهد بهم عند الحرم الطاهر لأميرالمؤمنين عليه السلام وفي حضرة هؤلاء الأجلاء خاطب الامام عليه السلام: قد ألحّ شاه ايران عليَّ بأن أترك الحوزة وأتوجه إلى ايران وأقيم درسي هناك فأصبحت من شدّة الحاحه متحيّراً في أمري وعجزت عن الاختيار بين

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 196

الذهاب والبقاء، فأطلب منك سيّدي أن تعينني في اختيار الطريق.

بعد هذا الخطاب سمع جميع الحاضرين نداءاً من الضريح بأنه «لا تخرج من بلادنا».

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 197

حقوق الصداقة والعشرة

حينما يعاشر الانسان صديقاً صالحاً ومعاشراً طاهراً ورفيقاً صالح السريرة ومصاحباً كريماً، يوجب الاسلام عليهما حقوقاً لازمة وواجبة تارة ومستحبة تارة أخرى، الا أن يسقطا حقوقهما باختيارهما.

يقدم الاسلام حول الصداقة والعِشرة برنامجاً يصبح الانسان في حيرة من شموليّة قوانينه وبرامجه الجامعة لكافة شؤون الحياة، لاسيّما باب العِشرة.

من الواضح أن هذا الموجز لا يتسع لتفصيل وتبيين كلّ حق من هذه الحقوق إلّاأنّا نكتفي ببيان جانبٍ منها:

حقوق العِشرة عند أميرالمؤمنين عليه السلام

روي عن الحسين بن محمد بن علي الصيرفي، عن محمّد بن عمر الجعابي، عن القاسم بن محمّد بن جعفر العلوي، عن أبيه، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين عليه السلام:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و آله: لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ ثَلاثُونَ حَقّاً لا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا إِلّا بِالْأَدَاءِ أَوِ الْعَفْوِ يَغْفِرُ زَلَّتَهُ وَيَرْحَمُ عَبْرَتَهُ وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَيُقِيلُ عَثْرَتَهُ

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 198

وَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ وَيَرُدُّ غِيبَتَهُ وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ وَيَحْفَظُ خُلَّتَهُ وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ وَيَشْهَدُ مَيِّتَهُ وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُ وَيُكَافِئُ صِلَتَهُ وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ وَيَحْفَظُ حَلِيلَتَهُ وَيَقْضِي حَاجَتَهُ وَيَشْفَعُ مَسْأَلَتَهُ وَيُسَمِّتُ عَطْسَتَهُ وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ وَيَرُدُّ سَلامَهُ وَيُطِيبُ كَلامَهُ وَيَبَرُّ إِنْعَامَهُ وَيُصَدِّقُ إِقْسَامَهُ وَيُوَالِي وَلِيَّهُ وَلا يُعَادِيهِ وَيَنْصُرُهُ ظَالِماً وَمَظْلُوماً فَأَمَّا نُصْرَتُهُ ظَالِماً فَيَرُدُّهُ عَنْ

ظُلْمِهِ وَأَمَّا نُصْرَتُهُ مَظْلُوماً فَيُعِينُهُ عَلَى أَخْذِ حَقِّهِ وَلا يُسْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ وَيُحِبُّ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ».

ثم قال عليه السلام:

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه و آله يَقُولُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَدَعُ مِنْ حُقُوقِ أَخِيهِ شَيْئاً فَيُطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقْضِي لَهُ وَعَلَيْهِ» «1».

حقوق العِشرة عند الامام الصادق عليه السلام

قال الامام الصادق عليه السلام:

«المسْلِمُ أخُو المسْلم، هُوَ عَيْنُهُ وَمِرآتُهُ وَدَلِيلُهُ، لَايَخُونُهُ وَلَا يَخْدَعُهُ وَلَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَغْتَابُهُ» «2».

عن معلّى بن خنيس قال: قلت لأبي عبداللّه عليه السلام: ما حق المسلم على

---

(1)- كنز الفوائد: 1/ 306؛ وسائل الشيعة، 12/ 212، باب 122، حديث 16114؛ بحار الأنوار: 71/ 236، باب 15، حديث 36.

(2)- الكافى: 2/ 166، باب أخوة المؤمنين، حديث 5؛ وسائل الشيعة: 12/ 204، باب 122، حديث 16094؛ بحار الأنوار: 71/ 270، باب 16، حديث 9.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 199

المسلم؟ قال:

«لَهُ سَبْعُ حُقُوقٍ وَاجِبَاتٍ مَا مِنْهُنَّ حَقٌّ إِلّا وَهُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ إِنْ ضَيَّعَ مِنْهَا شَيْئاً خَرَجَ مِنْ وَلايَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ للَّهِ فِيهِ مِنْ نَصِيبٍ».

قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال:

«يَا مُعَلَّى إِنِّي عَلَيْكَ شَفِيقٌ أَخَافُ أَنْ تُضَيِّعَ وَلا تَحْفَظَ وَتَعْلَمَ وَلا تَعْمَلَ».

قال: قلت له: لا قوّة إلّابِاللَّهِ. قال:

«أَيْسَرُ حَقٍّ مِنْهَا أَنْ تُحِبَّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهَ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَالْحَقُّ الثَّانِي أَنْ تَجْتَنِبَ سَخَطَهُ وَتَتَّبِعَ مَرْضَاتَهُ وَتُطِيعَ أَمْرَهُ وَالْحَقُّ الثَّالِثُ أَنْ تُعِينَهُ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ وَلِسَانِكَ وَيَدِكَ وَرِجْلِكَ وَالْحَقُّ الرَّابِعُ أَنْ تَكُونَ عَيْنَهُ وَدَلِيلَهُ وَمِرْآتَهُ وَالْحَقُّ الْخَامِسُ لا تَشْبَعُ وَيَجُوعُ وَلا تَرْوَى وَيَظْمَأُ وَلا تَلْبَسُ وَيَعْرَى وَالْحَقُّ السَّادِسُ أَنْ يَكُونَ لَكَ خَادِمٌ وَلَيْسَ لِأَخِيكَ خَادِمٌ فَوَاجِبٌ أَنْ تَبْعَثَ خَادِمَكَ فَيَغْسِلَ ثِيَابَهُ وَيَصْنَعَ طَعَامَهُ وَيُمَهِّدَ فِرَاشَهُ وَالْحَقُّ السَّابِعُ أَنْ تُبِرَّ قَسَمَهُ وَتُجِيبَ دَعْوَتَهُ وَتَعُودَ مَرِيضَهُ وَتَشْهَدَ جَنَازَتَهُ وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ حَاجَةً تُبَادِرُهُ إِلَى قَضَائِهَا وَلا تُلْجِئُهُ أَنْ يَسْأَلَكَهَا وَلَكِنْ تُبَادِرُهُ مُبَادَرَةً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ وَصَلْتَ وَلايَتَكَ بِوَلايَتِهِ وَوَلايَتَهُ بِوَلايَتِكَ» «1».

وقال الامام الصادق عليه السلام في جزء من رواية مفصلة حول حقوق المسلم على أخيه المسلم:

---

(1)- الكافى: 2/ 169، باب حق المؤمن على أخيه، حديث 2؛ وسائل الشيعة: 12/ 205، باب 122، حديث 16097؛ بحار الأنوار: 71/ 238، باب 15، حديث 40.

«فَمَا أَعْظَمَ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَقَالَ: أَحِبَّ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَإِذَا احْتَجْتَ فَسَلْهُ وَإِنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ لا تَمَلَّهُ خَيْراً وَلا يَمَلُّهُ لَكَ كُنْ لَهُ ظَهْراً فَإِنَّهُ لَكَ ظَهْرٌ إِذَا غَابَ فَاحْفَظْهُ فِي غَيْبَتِهِ وَإِذَا شَهِدَ فَزُرْهُ وَأَجِلَّهُ وَأَكْرِمْهُ فَإِنَّهُ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُ فَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ عَاتِباً فَلا تُفَارِقْهُ حَتَّى تَسُلَّ سَخِيمَتَهُ وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ فَاحْمَدِ اللَّهَ وَإِنِ ابْتُلِيَ فَاعْضُدْهُ وَإِنْ تُمُحِّلَ لَهُ فَأَعِنْهُ وَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ أُفٍّ انْقَطَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْوَلايَةِ وَإِذَا قَالَ أَنْتَ عَدُوِّي كَفَرَ أَحَدُهُمَا فَإِذَا اتَّهَمَهُ انْمَاثَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ» «1».

يقول أبان بن تغلب كنت أطوف مع أبي عبداللّه عليه السلام فعرض لي رجل من أصحابنا، كان سألني الذهاب معه في حاجة فأشار إلي فكرهت أن أدع أبا عبداللّه عليه السلام وأذهب إليه، فبينا أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً فرآه أبو عبداللّه

علیه السلام فقال: یا أبان إیّاك یرید هذا؟ قلت: نعم، قال: فمن هو؟ قلت: رجل من أصحابنا، قال: هو علی مثل ما أنت علیه؟ قلت: نعم، قال: فاذهب إلیه، قلت: فأقطع الطواف؟ قال: نعم، قلت: وإن کان طواف الفریضة؟ قال:

نعم؛ قال: فذهبت معه، ثم دخلت علیه بعد فسألته، فقلت: أخبرني عن حق المؤمن علی المؤمن فقال: یا أبان دعه لا ترده، قلت: بلی جعلت فداك فلم أزل أردد علیه، فقال: یا أبان تقاسمه شطر مالك، ثم نظر إليّ فرأی ما دخلني، فقال: یا أبان أما تعلم أن اللّه عزّوجلّ قد ذکر المؤثرین علی أنفسهم؟ قلت: بلی، جعلت فداك، فقال: أما إذا أنت قاسمته فلم تؤثره

---

(1)- الکافی: 2/ 170، باب حق المؤمن علی أخیه، حدیث 5؛ وسائل الشیعة 12/ 206، باب 122، حدیث 16098؛ بحار الأنوار: 71/ 243، باب 15، حدیث 43.

بعد، إنما أنت وهو سواء، انما تؤثره اذا أنت أعطیته من النصف الآخر «1».

عن أبي عبداللّه علیه السلام قال: کان أبو جعفر علیه السلام یقول:

«عَظِّمُوا أَصْحَابَکُمْ وَوَقِّرُوهُمْ وَلَا یَتَجَهَّمْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً وَلَا تَضَارُّوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَإِیّاکُمْ وَالْبُخْلَ، کونُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِینَ «2».

عن شعیب العقرقوفي قال: سمعت أبا عبداللّه علیه السلام یقول لأصحابه:

«إِتَّقُوا اللَّهَ وَکُونُوا إِخْوَةً بَرَرَةً مُتَحابِّینَ فِی اللَّه، مُتَوَاصِلِینَ، مُتَرَاحِمِینَ، تَزَاوَرُوا وَتَلَاقَوا وَتَذَاکَرُوا أَمْرَنَا وَأَحیُوْهُ» «3».

عن أبي جعفر علیه السلام قال:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله: حَدَّثَنِی جَبْرَئِیلُ علیه السلام: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَهْبَطَ إِلَی الْأَرْضِ مَلَکاً فَأَقْبَلَ ذَلِکَ الْمَلَکُ یَمْشِی حَتَّی وَقَعَ إِلَی بَابٍ عَلَیْهِ رَجُلٌ یَسْتَأْذِنُ عَلَی رَبِّ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ الْمَلَکُ مَا حَاجَتُکَ إِلَی رَبِّ هَذِهِ الدَّارِ، قَالَ: أَخٌ لِی مُسْلِمٌ زُرْتُهُ فِی اللَّهِ تَبَارَکَ وَتَعَالَی، قَالَ لَهُ الْمَلَکُ: مَا جَاءَ بِکَ إِلّا ذَاکَ فَقَالَ مَا جَاءَ بِی إِلّا ذَاکَ، فَقَالَ: إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکَ وَهُوَ یُقْرِئُکَ السَّلَامَ وَیَقُولُ: وَجَبَتْ لَکَ الْجَنَّةُ وَقَالَ الْمَلَکُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ یَقُولُ: أَیُّمَا مُسْلِمٍ زَارَ مُسْلِماً فَلَیْسَ إِیَّاهُ زَارَ إِیَّایَ زَارَ وَثَوَابُهُ عَلَیَّ الْجَنَّةُ» «4»

_____.

(1)- الكافى: 2/ 171، باب حق المؤمن على أخيه، حديث 8؛ وسائل الشيعة 12/ 209، باب 122، حديث 16106؛ بحار الأنوار: 71/ 248، باب 15، حديث 46.

(2)- الكافى: 2/ 173، باب حق المؤمن على أخيه، حديث 12؛ وسائل الشيعة: 12/ 15، باب 5، حديث 15519.

(3)- الكافى 2/ 175، باب التراحم والتعاطف، حديث 1؛ وسائل الشيعة: 12/ 22، باب 10، حديث 15539؛ بحار الأنوار: 71/ 401، باب 28، حديث 45.

(4)- الكافى: 2/ 176، باب زيارة الاخوان، حديث 3؛ وسائل الشيعة: 14/ 583، باب 97، حديث 19864.

قال الامام الباقر عليه السلام:

«تَبَسُّمُ الرَّجُلِ فِی وَجْهِ أَخِیهِ حَسَنَةٌ وَصَرْفُ القَذی عَنْهُ حَسَنَةٌ وَمَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَیءٍ أَحَبَّ إِلَی اللَّهِ مِنْ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَی المؤْمِنِ» «1».

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«لَقَضَاءُ حَاجَةِ امرِیءٍ مُؤْمِنٍ أَحَبُّ إِلَی اللَّهِ مِنْ عِشْرِینَ حِجَّةٍ كُلَ حِجَّةٍ یُنْفِقُ فِیهَا صَاحُبَهَا مِأَةَ أَلْفٍ» «2».

وعنه عليه السلام:

«مَا قَضی مُسْلِمٌ لِمُسْلِمٍ حَاجَةً إِلّانَادَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالی: عَلَیَّ ثَوَابُكَ وَلَا أَرْضی لَكَ بِدُونَ الجَنَّةِ» «3».

أسباب خراب العِشرة

عند ما يتصادق ويترافق مُسْلِمان وشخصان يجب أن يجتنبا أموراً مثل: المكر والحيلة والنميمة والغيبة والتهمة وسوء الظن والحقد والمشاجرة وأن لا يكونا ذا وجهين أو يردّا السيئة بمثلها! فالندرس هذه المعوقات واحداً بعد الآخر:

---

(1)- الكافى: 2/ 188، باب ادخال السرور على المؤمنين، حديث 2؛ بحار الأنوار: 71/ 288، باب 20، حديث 15.

(2)- الكافى: 2/ 193، باب قضاء حاجة المؤمن، حديث 4؛ وسائل الشيعة: 16/ 363، باب 26، حديث 21769.

(3)- الكافى: 2/ 194، باب قضاء حاجة المؤمن، حديث 7؛ بحار الأنوار: 71/ 285، باب 20، حديث 8.

1- المكر والحيلة

من نواهي رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مَنْ غَشَّ مُسْلِماً فِي شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ فَلَيْسَ مِنَّا وَيُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ اليَهُود لأَنَّهُمْ أَغَشُّ الخَلْقِ لِلْمُسْلِمِينَ» «1».

وعنه صلى الله عليه و آله:

«مَن بَاتَ وَفِي قَلْبِهِ غِشٌّ لِأَخِيهِ المسْلِمِ بَاتَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَأَصْبَحَ كَذَلِكَ حَتّى يَتُوبَ» «2».

2- النميمة

قال الامام الصادق عليه السلام إلى منصور الدوانيقي:

«لَاتَقْبَلْ فِي ذِى رَحِمِكَ وَأَهْلِ الرّعَايَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ قَوْلَ مَنْ حَرَّمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَجَعَلَ مَأْوَاهُ النّارُ، فَإِنَّ النَّمَّامَ شَاهِدُ زُورٍ وَشَرِيكُ إبليسَ فِي الإغراءِ بَيْنَ النّاسِ...» «3».

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله في حديث هامّ:

«إِنَّ شَرَّ النّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ المثَلَّثُ، قِيْلَ وَمَا المثَلَّثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

---

(1)- من لا یحضره الفقیه: 4/ 13، باب ذکر جمل من مناهی النبی صلی الله علیه و آله، حدیث 4968؛ بحار الأنوار: 72/ 284، باب 72، حدیث 3.

(2)- من لا یحضره الفقیه: 4/ 15، باب ذکر جمل من مناهی النبی صلی الله علیه و آله، حدیث 4968؛ بحار الأنوار: 72/ 284، باب 72، حدیث 3.

(3)- الأمالی، شیخ صدوق: 611، مجلس 89، حدیث 9؛ بحار الأنوار: 72/ 264، باب 67، حدیث 3.

الرَّجُلُ یَسعی بِأخِیهِ إلی امَامِهِ فَیَقتُلُهُ، فَیُهْلِكُ نَفْسَهُ وَأخَاهُ وَإمَامَهُ» «1».

3- الغیبة

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله:

«واللَّهِ الَّذِی لَاإلهَ إلّاهُو مَا أُعطِیَ مُؤمِنٌ قَطُّ خَیْرَ الدُّنیَا وَالآخِرَةِ إلّابِحُسْنِ ظَنِّهِ بِاللَّه عَزّوَجَلَّ وَالکَفِّ عَن اغتِیَابِ الْمُؤْمِنِینَ، واللَّهِ الَّذِی لَاإلهَ إلّاهُوَ لَا یُعَذِّبُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مُؤْمِناً بِعَذَابٍ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْاسْتِغْفَارِ لَهُ إلّابِسُوءِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ عَزّوَجَلَّ وَاغْتِیَابِهِ لِلْمُؤمِنِینَ» «2».

وقال في مقولة قیمة له صلی الله علیه و آله:

«إیّاکُمْ وَالظَّنَّ فَإنَّ الظَّنَّ أکْذَبُ الکَذِبِ وَکُونُوا إخْوَاناً فِی اللَّهِ کَمَا أمَرَکُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَنَافَرُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَتَفَاحَشُوا وَلَا یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً وَلَا تَتَبَاغَوْا وَلَا تَتَبَاغَضُوا وَلَا تَتَدابَرُوا وَلَا تَتَحَاسَدُوا فَإنَّ الحَسَدَ یَأکُلُ الایمَانَ کَمَا تَأکُلُ النّارُ الحَطَبَ الیَابِسَ» «3».

4- التهمة والبهتان

إن التهمة من أعظم الذنوب التي یرتکبها الانسان فإنّه یتّهم بالنقص وعدم الصلاح من کان صالحاً ومتنزّهاً عن العیوب فکم هو من ذنب عظیم

(1)- قرب الإسناد: 15؛ بحار الأنوار: 72/ 266، باب 67، حديث 14.

(2)- الإختصاص: 227؛ بحار الأنوار: 72/ 259، باب 66، حديث 55.

(3)- قرب الإسناد: 15؛ بحار الأنوار: 72/ 252، باب 66، حديث 28.

أن تتهم أحداً وكم هو من عمل شنيع وفعل شيطاني! فقد نوّهت الآيات والروايات في ذلك على أمور هامة يندهش من أطلع عليها!

روي عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مَنْ بَهَتَ مُؤْمِناً أوْ مُؤمِنَةً أوْ قَالَ فِيْهِ مَا لَيْسَ فِيهِ أقَامَهُ اللّهُ تَعَالى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى تَلٍّ مِنْ نَارٍ حَتّى يَخْرُجَ مِمّا قَالَهُ فِيهِ» «1».

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«من بَاهَتَ مُؤمِناً أوْ مُؤمِنَةً بِمَا لَيْسَ فِيهِمَا حَبَسَهُ اللّهُ عَزّوَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي طِينَةِ خَبَالٍ حَتّى يَخْرُجَ مِمّا قَالَ، قُلْتُ: وَمَا طِينَةُ خَبَالٍ؟ قَالَ: صَدِيدٌ يَخْرُجُ مِنْ فُرُوجِ المومِسَاتِ يعنى الزّوانِىَ» «2».

5- النفاق

حول المنافق وذي الوجهين قال الامام الباقر عليه السلام

«بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ يُطْرِى أخَاهُ شَاهِداً وَيَأكُلُهُ غَائِباً إنْ أُعطِىَ حَسَدَهُ وَإنِ ابْتُلِىَ خَذَلَهُ» «3».

وعن الامام الصادق عليه السلام روي أنّه قال:

«مَنْ لَقِىَ المسْلِمِينَ بِوَجْهَيْنِ وِلِسَانَيْنِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ» «4».

(1)- عيون أخبار الرضا عليه السلام: 2/ 33، باب 31، حديث 63؛ بحار الأنوار: 72/ 194، باب 62، حديث 5.

(2)- معانى الأخبار: 163، حديث 1؛ بحار الأنوار: 72/ 194، باب 62، حديث 6.

(3)- الكافى: 2/ 343، باب ذى اللسانين، حديث 2؛ بحار الأنوار: 72/ 202، باب 63، حديث 1.

(4)- الكافى: 2/ 343، باب ذى اللسانين، حديث 1؛ بحار الأنوار: 72/ 204، باب 63، حديث 12.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 206

6- جزاء السيئة

إنّ الاسلام يريد من الناس إذا ما لاقوا أذاً أو ظلماً أو أساءة من أسرتهم أو عشيرتهم أو أصدقاءهم فأرادوا معاقبتهم أن لا يتجاوزوا الحد في انزال العقاب ومع ذلك فإنّ الاسلام يفضل العفو والاصلاح في ذلك كله:

[وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] «1».

وقال أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«ثَلَاثَةٌ لَايَنْتَصِفُونَ مِنْ ثَلَاثَةٍ: شَرِيفٌ مِنْ وَضِيعٍ وَحَلِيمٌ مِنْ سَفِيهٍ وَمُؤْمِنٌ مِنْ فَاجِرٍ» «2».

7- الحقد والملاحاة

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقِمَ بَدَنُهُ وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ وَمَنْ لَاحَى الرِّجَالَ سَقَطَتْ مُرُوَّتُهُ وَذَهَبَتْ كَرَامَتُهُ. ثُمّ قَالَ رسول اللّه: لَمْ يَزَلْ جَبْرَئِيْلُ يَنْهَانِي عَن مُلَاحَاةِ الرِّجَالِ كَمَا يَنْهَانِي عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ» «3».

دواء الداء

من أجل معالجة أمراض القلب، يوصي سالكي سبيل الدين ومحبي الحقائق والفضائل والمتزينين بالعلم والعمل والمعرفة والبصيرة بأمور

---

(1)- الشورى (42): 40.

(2)- بحار الأنوار: 75/ 271.

(3)- الأمالى، شيخ طوسى: 512، حديث 1119؛ بحار الأنوار: 7/ 210، باب 64، حديث 4.

تُصفّي وتصقل القلب من الادران فيجدر بالجميع أن يوصوا أصدقاءهم بالأمور التالية:

1- إخلاء الجسد من الحرام

المال الحرام، هو المادة التي تحصل عن طريق الظلم والتجاوز والمكاسب المحرمة كالربا و السرقة والغصب والرشوة والاختلاس والغش والحيلة و... بطبيعة الحال الاجتناب عن أكل الحرام يوفّر أرضية صالحة لمعالجة الأمراض النفسية فيؤدّي إلى صفاء وجلاء باطن الانسان.

إن الآيات والروايات تردع الانسان بشدة من التقرب إلى المال الحرام وتؤكد أن أكله يُفسد الباطن ويسوّد القلب ويجلب ظلمات القبر:

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله:

«رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ مُشَرّدٍ فِي الأسفَارِ مَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وغَذّى بِالحَرَامِ يَرفَعُ يَدَيهِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ فَأنّى يُسْتَجَابُ لِذلِكَ؟!» «1».

وقال صلى الله عليه و آله:

«مَن اشتَرى ثَوباً بِعَشرَةِ دَراهِمَ وَفِي ثَمَنِهِ دِرهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقبَلِ اللّه تَعالى صَلاتَهُ مادامَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيء» «2».

وقال صلى الله عليه و آله:

---

(1)- المحجة البيضاء: 3/ 204، كتاب الحلال والحرام.

(2)- المحجة البيضاء: 3/ 204، كتاب الحلال والحرام.

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 208

«كُلُّ لَحمٍ نَبَتَ مِن حَرامٍ فَالنّارُ أولى بِهِ» «1».

وروي عنه صلى الله عليه و آله:

«مَنْ لَمْ يُبَالِ مِن أينَ اكتَسَبَ المالَ لَمْ يُبالِ اللّهُ مِن أينَ أدخَلَهُ النّارَ» «2».

وقال صلى الله عليه و آله:

«دِرهَمٌ مِن رِبا أشَدُّ مِن ثَلاثينَ زَنْيَةً فِي الإسلامِ» «3».

وعنه صلى الله عليه و آله قال:

«مَن أصابَ مَالًا مِن مَأْثَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِماً أو تَصَدَّقَ بِهِ أو أنفَقَهُ فِي سَبيلِ اللَّهِ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ ذلِكَ جَميعاً ثُمّ قَذَفَهُ فِي النّار» «4».

وعن الامام الصادق عليه السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«إن أخوَفَ مَا أخَافُ عَلى أُمَّتي مِن بَعدى، هذِهِ المكَاسِبُ الحَرَامُ والشَّهوَةُ الخَفِيَّةِ وَالرِّبا» «5».

وروي عن الامام الصادق عليه السلام:

«إذَا اكتَسَبَ الرَّجُل مَالًا مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ثُمَّ حَجَّ فَلبّى نُودِيَ لَالَبّيكَ وَلَا سَعدَيْكَ» «6».

---

(1)- مسالك الأفهام: 12/ 7؛ المحجة البيضاء: 3/ 204، كتاب الحلال والحرام.

(2)- عدة الداعي: 82؛ بحار الأنوار: 100/ 13، باب 1، حديث 63؛ المحجة البيضاء: 3/ 204.

(3)- المحجة البيضاء: 3/ 205، كتاب الحلال والحرام.

(4)- المحجة البيضاء: 3/ 205، كتاب الحلال والحرام.

(5)- الكافى: 5/ 124، باب المكاسب الحرام، حديث 1؛ وسائل الشيعة: 17/ 81، باب 1، حديث 22041.

(6)- الكافى: 5/ 124، باب المكاسب الحرام، حديث 3؛ وسائل الشيعة: 17/ 89، باب 4، حديث 22052.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 209

وعنه عليه السلام أنّه قال:

«كَسْبُ الحَرام يَبِينُ فِي الذُّرِّيَّةِ» «1».

وروي عن الامام موسى الكاظم عليه السلام:

«إِنَّ الحَرَامَ لَايَنمى وَإِنْ نَمى لَايُبارَكُ لَهُ فِيه، ومَا أنفَقَهُ لَم يُؤجَرْ عَلَيه وَمَا خَلَّفَهُ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ» «2».

وقال الحكماء والعرفاء عن الحلال:

لا يدرك العبد حقيقة الايمان إلّاأن تتوفر فيه أربعة خصال:

الف: أن يعمل بالواجبات التي جاءت في السنة النبوية وروايات أهل البيت عليهم السلام.

ب: أن يأكل الطعام الحلال متورعاً ومتعففاً.

ج: وأن يجتنب ما نهي عنه في الظاهر وباطن.

د: وأن يواظب على هذه الأمور إلى نهاية حياته.

فمن أحبّ أن تتوفر فيه علامات الصديقين، عليه أن لا يأكل إلّاالحلال ولا يسير إلّافي طريق الدين ولا يمارس إلّاما تقتضيه ضرورات الحياة.

وقالوا: من تناول لقمة الشبهة أربعين يوماً يظلم قلبه «3».

وقال قائلهم: ترك درهم فيه شبهة أحب إليّ من التصرّف بمائة ألف

(1)- الكافى: 5/ 124، باب المكاسب الحرام، حديث 4؛ وسائل الشيعة: 17/ 81، باب 1، حديث 22043.

(2)- الكافى: 5/ 125، باب المكاسب الحرام، حديث 7؛ وسائل الشيعة: 17/ 82، باب 1، حديث 22045 (با كمى اختلاف).

(3)- المحجة البيضاء: 3/ 208، كتاب الحلال والحرام.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 210

درهم «1».

إنّ شدّة ورع وتقوى أولياء اللّه من الحرام كان بدرجة حيث أن الامام الصادق عليه السلام- كما في الخبر- دخل سجن الحاكم العباسي، في هذه الاثناء أرسلت امرأة مهذبة صالحة قرصاً من الخبز بيد السجان إلى الامام الصادق عليه السلام والسجان وضع القرص على طبق وقدّمه إلى الامام إلّاأنّ الامام أعرض عن تناول القرص من جهة أنّه حمل على طبق الظالمين.

2- الجوع والاعتدال في الأكل

روي عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله في فضيلة الاجتناب عن الأكل الكثير وبالتالي الجوع روايات مهمّة، حيث قال صلى الله عليه و آله:

«جَاهِدُوا أنْفُسَكُم بِالْجُوعِ وَالعَطَشِ فَإنَّ الأجرَ فى ذلِكَ كأجرِ المجاهِدِ فِى سَبيلِ اللَّهِ، وإنّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أحَبَّ إلى اللَّهِ تَعالى مِن الجُوعِ وَالعَطَشِ» «2».

«لا يَدخُلُ مَلَكُوتُ السَّماواتِ وَالأرْضِ قَلْبُ مَنْ مَلأ بَطنَهُ» «3».

«وَقيلَ يارَسولَ اللَّهِ أىُّ النَّاسِ أفضَلُ؟ قالَ: مَن قَلَّ طَعْمُهُ وَضَحِكُهُ وَرَضِىَ بِما يَسْتُرُ بِهِ عَورَتُهُ» «4».

(1)- المحجة البيضاء: 3/ 208، كتاب الحلال والحرام.

(2)- المحجة البيضاء: 5/ 146، كتاب كسر الشهوتين.

(3)- مجموعة ورام: 1/ 100؛ المحجة البيضاء: 5/ 146، كتاب كسر الشهوتين (با كمى اختلاف).

(4)- المحجة البيضاء: 5/ 146.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 211

«إنّ اللَّهَ يُباهِي المَلائِكَةَ بِمَن قَلَّ طَعمُهُ فِي الدُّنيا يَقُول: انْظُروا إلى عَبْدِي ابْتَلَيْتُهُ بِالطَّعامِ وَالشَّرابِ فِي الدُّنيا فَتَرَكَهُما لِأجْلِي اشْهَدُوا يا مَلائِكَتِي ما مِنْ أكْلَةٍ تَرَكَها لِأجلِي إلّاأبْدَلْتُهُ بِها دَرَجاتٍ فِي الجَنَّةِ» «1».

«لاتُمِيتُوا القُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإنَّ الْقَلْبَ يَمُوتُ كالزَّرْعِ إذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الماءُ» «2».

«الفِكرُ نِصفُ العِبادَةِ، وَقِلَّةُ الطَّعامِ هِيَ العِبادَةُ» «3».

3- التهجد وعبادة الليل

إنّ اللّه تبارك وتعالى لم يوجب صلاة الليل- وهي إحدى عشر ركعة ووقتها من منتصف الليل حتى أذان الصبح- ولكن لو قام بها الانسان بارادته واختياره وبرغبة وشوق فقد ينال كرامة وفضلًا لا يعلمه إلّااللّه.

قال تعالى في كتابه العزيز:

[تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ* فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ] «4».

---

(1)- المحجة البيضاء: 5/ 147، كتاب كسر الشهوتين.

(2)- مجموعة و رام: 1/ 46؛ المحجة البيضاء: 5/ 147، كتاب كسر الشهوتين (با كمى اختلاف).

(3)- المحجة البيضاء: 5/ 146، كتاب كسر الشهوتين.

(4)- السجدة (32): 16- 17.

[وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً] «1».

وعن عبادة اللَّه والتهجد إليه في الليل جاء في روايات عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه:

«رَكعَتَان يَرَكَعهُمَا العَبد فِي جَوفِ اللَّيلِ خَيرٌ لَهُ مِنَ الدُّنيَا وَمَا فِيهَا وَلَولَا أنْ أشُقَّ عَلى أُمَّتِي لَفرضتُهُمَا عَلَيْهِمْ» «2».

«عَلَيكُم بِقِيَامِ اللَّيلِ فَإنَّهُ دَأبُ الصَّالِحِينَ قَبلَكُم وَإنَّ قِيامَ اللَّيلِ قُربَةٌ إلَى اللَّهِ تَعالى وَتَكفيرٌ لِلذُّنُوبِ وَمَطرَدَةٌ لِلدّاءِ عَنِ الجَسَدِ وَمَنهاةٌ عَنِ الإثمِ» «3».

وفي رواية أن رجلًا في زمن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يقوم ليله عند خلود الناس إلى النوم فكان يعبد اللَّه ويتلو الكتاب ويقول: «الهي آمني من نار جهنم، أُخبر الرسول بصنيعه فقال الرسول صلى الله عليه و آله: أطلعوني عند ما يقوم للتهجد، حينما اخبر وقف خلف جدار بيته فسمع صراخه، عند ما أصبح الصباح سأله رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لِمَ لَم تطلب الجنة في دعائك؟

فأجاب: يا رسول اللَّه أنا لست جديراً بتلك المرتبة ولا يبلغها عملي! بعد هنيئة نزل جبرئيل فقال: يا رسول اللَّه أخبر فلاناً بأنّ اللَّه قد آمنه من نار جهنم وأدخله الجنّة «4»!

وروي عن الامام الصادق عليه السلام عن العبادة في الليل بأنه قال:

---

(1)- الفرقان (25): 64.

(2)- المحجة البيضاء: 2/ 388، كتاب ترتيب الأوراد؛ مجمع البيان: 2/ 368 (باكمى اختلاف).

(3)- المحجة البيضاء: 2/ 389، كتاب ترتيب الأوراد.

(4)- المحجة البيضاء: 2/ 389، باب ترتيب الأوراد.

«إنَّ مِن رَوْحِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ثَلَاثَةً: التَّهَجُّدَ باللَّيلِ، وإفطَارَ الصَّائِمِ، وَلِقَاءَ الإخوَانِ» «1».

جاء رجل إلى أبي عبداللّه عليه السلام فشكى إليه الحاجة فأفرط في الشكاية حتى كاد أن يشكو الجوع، فقال له أبو عبداللّه عليه السلام: يا هذا أتصلي بالليل؟

فقال الرجل: نعم، فالتفت أبو عبداللّه عليه السلام إلى أصحابه فقال: كذب من زعم أنّه يصلي بالليل ويجوع بالنهار، إنّ اللّه تبارك وتعالى ضمن قوت النهار بصلاة الليل «2».

4- البكاء والتضرع في الأسحار

من الأمور المحبوبة عند اللّه كثيراً كثيراً، التضرع والبكاء في الأسحار حتى قال تعالى عن ذلك:

[ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً...] «3»

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه و آله:

«إذَا أحَبَّ اللّهُ تَعالى عَبْداً ابْتَلَاهُ حَتّى يَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ» «4».

جاء في الدعاء الثامن والأربعين من الصحيفة السجادية:

---

(1)- من لا يحضره الفقيه: 1/ 472، باب ثواب صلاة الليل، حديث 1361؛ وسائل الشيعة: 8/ 153، باب 39، حديث 10282.

(2)- من لا يحضره الفقيه: 1/ 474، باب ثواب صلاة الليل، حديث 1371؛ ثواب الأعمال: 41؛ بحار الأنوار: 84/ 153، باب 6، حديث 31.

(3)- اعراف (7): 55.

(4)- المحجة البيضاء: 2/ 293، كتاب الأذكار والدعوات.

«وَلَا يُنْجيني مِنكَ إلّاالتَّضَرُّعِ إلَيكَ».

إنّ اللّه أوحى إلى موسى عليه السلام:

«يا مُوسى كُن إذا دَعوتَنِي خَائِفاً مُشفِقاً وَجِلًا عَفِّرْ وَجْهَكَ لِي فِي التُّرَابِ واسجُد لِي بِمَكارِمِ بَدَنِكَ، وَاقْنُت بَيْنَ يَدَيَّ فِي القِيَامِ وَناجِنِي حِينَ تُنَاجِينِي بِخَشيَةٍ مِن قَلبٍ وَجِلٍ» «1».

وأوحى إلى عيسى عليه السلام:

«يَا عيسى ادْعُنِي دُعَاءَ الغَرِيقِ الحَزِينِ الَّذى لَيسَ لَهُ مُغيثٌ... يَا عِيسى أطِبْ لِي قَلبَكَ وأكثِر ذِكرى فِي الخَلَواتِ واعلَم انَّ سُرورِى أن تُبَصبِصَ إلَيَّ وَكُن فِي ذلِكَ حيّاً وَلَا تَكُن مَيِّتاً واسمعنى منكَ صَوتاً حَزيناً» «2».

وروى عن الامام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنَّ اللّه عَزَّوَجَلَّ كَرِهَ إلحاحَ الناسِ بَعضِهِم على بعضٍ فِي المسألَةِ وأحَبَّ ذلِكَ لِنفسِهِ، إنَّ اللّهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ أن يُسأَلَ وَيُطلَبَ مَا عِندَهُ» «3».

5- مجالسة الصالحين

إن من أفضل الطرق في معالجة أمراض القلب وأحسن الأساليب لصفاء الروح هو مجالسة الصالحين والأبرار، الذين يتلون القرآن لأجل تربية

---

(1)- الكافى: 8/ 44، حديث موسى عليه السلام، حديث 8؛ بحار الأنوار: 74/ 34، باب 2، حديث 7.

(2)- الكافى: 8/ 138 و 141، حديث عيسى بن مريم عليه السلام، حديث 103؛ بحار الأنوار: 90/ 341، باب 20.

(3)- الكافى: 2/ 475، باب الالحاح فى الدعاء، حديث 4؛ وسائل الشيعة: 7/ 58، باب 20، حديث 8715.

نفوسهم وتهذيبها ويجتنبون المحرمات وشعارهم الأكل القليل، يبيتون الليل بالعبادة والتهجد والطاعة ويتمتعون بالبكاء والتضرع في الليل.

بلى؛ إنّ مجالستهم دواء أمراض القلب والروح هؤلاء هم الذين بمعاشرتهم ومرافقتهم تنزل البركة والنعمة وتظهر الهداية والكرامة والنور وتنشط الحركة.

ومن تمعّن في عالم الطبيعة، يجد دونما شك بأن اللّه تعالى قد أقام علاقة متناسقة بين جسد الانسان وجميع النعم المادية، فعندما تدخل هذه النعم في الجسد وتتفاعل معه، ستؤدي الى سلامة البدن ونموه وتربيته وتكامله وقوته، ولكن عند ما يتفاعل البدن مع طعام مسموم ويستنشق هواءً ملوثاً ويأكل نباتاً ضارّاً وشوكاً صحراوياً مثلًا فإنّ ذلك كله سيؤذي البدن ويخلّ بسلامته ويؤدي إلى اضطرا الأعصاب وتلوث الدم وما الى ذلك من أمراض ومشاكل وصعوبات.

كذلك المجالس الصالحة فانها كالنعم المتجانسة مع البدن فإنها عند ما تدخل آثارها في تركيبة شخصية الانسان تنمي عقله وفكره وتكمل إيمانه وتثبّت قلبه على الدين وترفع من مستوى خلقه وسلوكه وتهدي به إلى طريق الصواب وبالتالي يصير الانسان صالحاً ببركة مجالسة الصالحين ويتحول إلى عبد يرضاه اللّه ويحبه.

قبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران في سنة (1356- 1357 هـ ش) عند ما كانت تسير المسيرات والمظاهرات في الشوارع وكانت المواجهات بين الشعب والسلطة الطاغية القائمة آنذاك قائمة كان في

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 216

منطقتنا جندياً يشد على الناس كثيراً ويضربهم بشتى الوسائل ويشتم قائد الثورة والمشرفين على المظاهرات.

بعد انتصار الثورة القى القبض على هذا الجندي في جملة الذين ألقيَ القبض عليهم فأودع في سجن الثورة، وقد مكث في السجن حيناً من الزمن حتى اعفي عنه وشملته الرأفة الاسلامية فأُطلق سراحه بعد ذلك عاد إلى عمله ليكمل ما تبقّى من خدمته العسكرية.

أثناء خدمته العسكرية في العهد الجديد تعرف على شاب مؤمن وصالح وكان قد تأثر بأخلاقه أثناء مصاحبته فتاب من ماضيه وبدأ يحب الاسلام وأنصاره وعند ما بدأ الغزو البعثي على الجمهورية الاسلامية ذهب إلى ساحات الجهاد حباً للدين والوطن وقاتل قتال الأبطال حتى قضى نحبه في سبيل اللّه وتشرف بالشهادة!

إنَّ الصديق الصالح لا يجلب البركة والرحمة والهداية والنور في الدنيا فحسب بل في الاخرة أيضاً فإنّه يذهب بالانسان الى الجنة والرضوان الالهي.

قال ابن عباس- وهو من تلامذة أميرالمؤمنين علي عليه السلام- في تفسير الآية الشريفة:

[يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ...] «1».

إنّ اللّه عزوجلّ ينادي يوم القيامة أئمّة الهدى المصابيح المنيرة المبددة للظلمات وأعلام التقى أميرالمؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، ثم

---

(1)- اسراء (17): 71.

يقول لهم: اعبروا الصراط مع شيعتكم وادخلوا الجنة من دون حساب، ثم ينادي أئمّة الفسق والفجور- وتا للّهإنّ يزيدَ منهم- فيخاطبهم: اذهبوا مع أتباعِكم إلى نار الجحيم من دون حساب.

بالمقاطعه تقبل التوبة

من أحكام الاسلام المفيدة والراقية هو القتال والجهاد مع أعداء اللّه لأجل حماية الدين والدفاع عن الوطن والامة ومن فيها من أطفال ومستضعفين من رجال ونساء، وهو واجب على كل من توفرت فيه الشروط.

فقد فضل اللّه تبارك وتعالى الذين يقاتلون الأعداء على الذين يقعدون عن الجهاد فقال سبحانه:

[... فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً] «1».

فإنّ أميرالمؤمنين علي عليه السلام في اللحظات الاخيرة من عمره الشريف أوصى أولاده وجميع المؤمنين إلى يوم القيامة بالجهاد وذلك للمكانة التي يتمتع بها هذا الواجب وما يستتبعه من اجر عظيم في الدنيا والآخرة فقال:

«اللّه اللّه فِي الجهادِ بِأموالِكُمْ وَأنفُسكُمْ وألسِنَتِكُم» «2».

التزاماً بهذا الحكم الرباني الأكيد وهذا العمل الاسلامي العظيم، اتجه

---

(1)- نساء (4): 95.

(2)- نهج البلاغة: 421، نامه 47؛ بحار الأنوار: 75/ 99 باب 18، حديث 2.

المسلمون بقيادة النبي الأكرم صلى الله عليه و آله لقتال أعداء الدين والناس في منطقة تبوك، هذه الأثناء تخلَّف عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قوم من المنافقين وثلاثة من المؤمنين هم كعب بن مالك الشاعر، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الرافقي فلما تاب اللَّه عليهم قص كعب بن مالك قصة المؤمنين الثلاثة فقال: ما كنت قط أقوى مِنّي في ذلك الوقت الذي خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى تبوك وما اجتمعت لي راحلتان قط إلّافي ذلك اليوم، فكنت أقول: أخرج غداً، أخرج بعد غد، فإنّي مقوي وتوانيت وبقيت بعد خروج النبي صلى الله عليه و آله أياماً أدخل السوق ولا أقضي حاجة، فلقيت هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وقد كانا تَخلَّفا أيضاً فتوافقنا أن نُبكّر الى السوق فلم تقض لنا حاجة فما زلنا نقول: نخرج غداً وبعد غد حتى بلغنا إقبالُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه و آله فندمنا، فلمّا وافى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله استقبلناه فَهَنّئُه بالسلامة فَسلّمْنا عليه فلم يرد علينا السلام بل دار بوجهه الكريم عنا وسَلَّمنا على اخواننا فلم يردوا علينا السلام، فبلغ ذلك أهلُونا فحرَّموا الكلام معنا وكنّا نحضر المسجد فلا يسلم علينا أحدٌ ولا يكلِّمونا، فجائت نساؤنا إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقلن:

قد بلغنا سخطك على أزواجنا، أفنعتزلهم؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: لا تعتزلنهم ولكن لا يقربونكنَّ، فلمّا رأى كعب بن مالك وصاحباه ما قد حل بهم قال: ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلمنا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولا إخواننا ولا أهلونا، فهلِمُّوا نخرج إلى هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب اللَّه علينا أو نموت، فخرجوا إلى ذِناب جبل بالمدينة، فكانوا يصومون وكان أهلوهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية، ثم يُولُّون عنهم فلا يكلمونهم فبقوا على

هذا أياماً كثيرة يبكون ليل نهار ويدعون اللَّه أنْ يغفرَ لهم، فلمَّا طال عليهم الأمر قال لهم كعب: يا قوم قد سخط اللَّه علينا ورسوله واخواننا وأهلونا فلا يكلمنا أحد فَلِمَ لا يسخط بعضنا على بعض؟ فتفرقوا في الليل وحلفوا أن لا يكلم أحدٌ منهم صاحبه حتى يموت أو يتوب اللَّه عليه، فبقوا على هذه ثلاثة أيام كل واحد منهم في ناحية من الجبل لا يرى أحدٌ منهم صاحبه ولا يكلمه، فلما كان في الليلة الثالثة ورسول اللَّه صلى الله عليه و آله في بيت أمّ سلمة نزلت الآية في قبول توبتهم على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَ ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «1».

---

(1)- التوبة (9): 118.

مثل عليا من العِشرة

الصبر للَّه

كانت لأبي طلحة- أحد أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله- زوجة تسمى أم سليم، وقد كان لهما ولد يحبّانه كثيراً وكان أبو طلحة يعزّ هذا الولد معزّة شديدة.

وذات يوم مرض الولد واشتدّ به المرض إلى حد علمت أمّ سليم بأنّ ابنها سوف يموت، فأرسلت زوجها إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حتى لا يجزع عند موت ابنه.

وبعد مدّة وافاه الأجل، ثمّ لفّته أمّ سليم في خرقة، واخفت جسده في إحدى غرف البيت وأمرت أهلَ بيتها بالسكوت وعدم إخبار أبي طلحة بموت ولده.

ثمّ أعدَّت طعاماً وتطيّبت وزيّنت نفسها لزوجها وبعد ساعة جاء أبو طلحة، وعند ما رأى أهل البيت قد تغيرت أحوالهم سأل عن صحة ولده، فقالت له أمّ سليم: إن إبنك قد سكن، ثم طلب منها طعاماً فأتت له بالطعام الذي أعدَّته من أجله وجلسا على خوان المائدة وأكلا ثم ناما في فراشهما.

عند ما سكن أبو طلحة، قالت له أمّ سليم: أريد أن أسألك عن أمر، قال:

اسألي، فقالت: إن أخبرتك أن الأمانة التي كانت مودعة عندنا سلّمناها إلى صاحبها هل تتألّم من الخبر؟ قال أبو طلحة: كلّا، ولماذا أتألّم فإنها أمانة ويجب أن نردّ الامانات إلى أهلها، فقالت أمّ سليم: سبحان اللّه، فأخبرك بأنّ اللّه سبحانه قد أخذ الولد الذي أمّنه لدينا، فاهتزّ أبو طلحة من عبارة هذه المرأة وقال: واللّه لأبيّ أولى منك بالصبر على وفاة ولدنا.

فقام واغتسل وصلّى ركعتين ثمّ ذهب إلى رسول اللّه وأخبره بما جرى من أوّلِهِ إلى آخِرِه، فقال له رسولِ اللّه صلى الله عليه و آله: بارك فيكما ورزقكما ذريّة صالحة، واشكر اللّه لِأنّ جعل في أمّتي امرأة صابرة كصابرة بني إسرائيل.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 225

ذروة الانسانية

إن أميرالمؤمنين علي عليه السلام شخصيّة جمعت بين جنبيها كلّ القيم الانسانية، فتراه في موضع لا ينطق إلّابحماس وقوة وكأنّه قد قضى عمره على هذا المنطق، وقد امتلأت روحه حماساً وقتالًا، ولكن تجده في موضع آخر يختلف تماماً عمّا كان عليه سابقاً فهو في هذا موضع لم يكن فيه إلّاعارفاً وكأنّه لم يملك من الدنيا إلّاالدعاء والمناجات.

نأتي هنا بشاهدين من نهج البلاغة لكلا البعدين كي نتعرف أكثر على منطق الاسلام الصحيح:

في أول لقاء لأميرالمؤمنين علي عليه السلام ومعاوية في صفين كان يسير الجيشان جيش معاوية وجيش أميرالمؤمنين نحو الفرات، عند ما اقترب الجيشان أمر معاوية أصحابه وجيشه أن يسبقوا جيش علي وأصحابه الى النهر ليقطعوا عليهم الماء، ففرح أصحاب معاوية بهذه الخطوة وقالوا:

قد استعملنا حيلة رائعة لأن علياً وجيشه إذا لم يجدوا ماءً سيولون الأدبار.

فقال أميرالمؤمنين علي عليه السلام لمعاوية: إنّا سرنا إليك مسيرنا هذا وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 226

وبدأتنا بالحرب ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه أخرى قد فعلتموها قد حلتم بين الناس وبين الماء.

فاجتمع معاوية مع أصحابه وقال لهم: ما ترون؟ أنمنعهم الماء أو نسقيهم؟ فقال بعضهم: امنعوهم وقال بعض: اسقوهم.

وقال عمرو بن العاص: اتركوهم ولا تمنعوهم فإنّ منعتموهم من الماء فسوف يأخذونه منكم عنوة فتذهب كرامتكم، وقال آخرون: كلا، لا نترك الفرات لهم ولا يستطيعون أن يأخذوه منا، فمنعوا جيش علي من الماء.

ثمّ قال علي عليه السلام وخطب أمام جيشه خطبة حماسية، كان أثرها في نفوسهم أكثر من ألف طبل، فقال:

أيها الناس! قد استطعموكم القتال فقروا على مذلة وتأخير محلة أو رووا السيوف من الدماء تروّوا من الماء.

ثم عرّف الامام الموت والحياة في عبارة حماسية هيّجت مشاعر الجميع حيث قال:

«فَالمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ» «1».

تهيّج جيش علي بشدّة بعد خطبته وهجموا على العدو وأبعدوه عن الفرات مسافة طويلة وسيطر الجيش على المشرعة ثمّ منعوا الماء عن معاوية وجيشه فأرسل معاوية رسالة ندامة وترجّى الماء منهم، فقال أصحاب علي عليه السلام: لا نعطيكم الماء أبداً فأنتم كنتم أوّل من بدأ بمنع الماء،

---

(1)- نهج البلاغة: 88، خطبه 51؛ بحار الأنوار: 32/ 442، باب 11، حديث 393.

وقلتم: لا نعطيكم الماء، ولكن أميرالمؤمنين قال لأصحابه: نحن لا نفعل هذا أبداً، فهذا غدر، وأنا لا أغدر عدوي بل اقابله وجهاً لوجه ولا أطلب الانتصار بمثل هذا التضييق فإنّه ليس من شأني ولا من شأن أيمسلم عزيز ذو كرامة «1».

---

(1)- الانسان الكامل: 65- 66.

تحصيل العلم للرشد والكمال

يقول المرحوم آية اللّه نجفعلي القوشاني في كتابه «سياحة الشرق»:

وبالجملة؛ فينبغي لطالب العلم أن يجتهد في تغسيل الباطن، وإذا كان في عنفوان شبابه وقبل أن يتلوث باطنه بالزلات فعليه أن يحافظ على طهارة باطنه وعليه أن يحصل على العلم والعمل والاخلاق حتى وإن كان تقليداً ثم يجتهد في تحصيل حقيقة العلم.

انّ ملا صدرا كان من الذين لا يطلبون العلم للمال أو الجاه، فكان يعتقد أن على طالب العلم أن لا يفكر بالمال والجاه إلّابما يكفيه لضروريات عيشته، فقد كان صدر المتألهين يقول: إنّ من يطلب العلم للمال والجاه يجب الحذر منه لأنه انسان خطر.

ذات يوم، بعد أن انتهى درس ميرداماد وكان أول يوم يحضر فيه ملا صدرا درسه، أخذ ميرداماد ينصح ملاصدرا، فقال له: يا محمد! قلت لكم في درس اليوم إن من يروم تحصيل الحكمة ينبغي أن يجتهد في تحصيل الحكمة العملية وأقول لك الآن إن الحكمة العملية لا تحصل إلّا بأمرين:

أولهما: العمل بجميع واجبات الشريعة الاسلامية.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 229

وثانيهما: الاجتناب عن كلّ شيء تطلبه النفس الأمارة لراحتها.

فالأمر الثاني الذي ينبغي لمن يطلب الحكمة أن يلتزم به هو عدم تلبية ما تشتهيه النفس، إذ أن من أطاع النفس الأمارة وهو يشتغل بتحصيل الحكمة، فربما يخسر دينه وينحرف عن الصراط المستقيم.

يقول محمد بن زكريا الرازي (الطبيب الاسلامي المعروف) في تبيين صفات طالب الطب:

يجب على طالب الطب أن لا يطلب علمه لكسب المال وعليه أن يتذكر دائماً أن أقرب الناس إلى اللّه هو أعلمهم وأعدلهم وأكثرهم محبة بالناس.

كانت الطلبة تتوافد من أنحاء ايران إلى شيراز ليحضروا درس ملا صدرا ولكنه كان الأستاذ لايستقبلهم إلّاأن تتوفر فيهم شروطاً أربعة:

الأول: لا يهوي تحصيل المال إلّابقدر ما يؤمّن معيشته.

الثاني: لا يطلب الجاه بعلمه.

الثالث: لا يعصي اللَّه.

الرابع: لا يكون يقلّداً عن عمى ومن غير بصيرة، فاذا كان الطالب يقبل بهذه الشروط ويعمل بها كان يوافق على حضوره في مدرسته ويكون طالباً فيها إلى جانب الطلبة الأخرين، وإلّا فكان يقول له: اذهب عن هذه المدرسة واطلب العلم في مكان آخر.

كان ملا صدرا يعتقد بأنّه لا يمكن الجمع بين طلب المال وطلب العلم، لأنهما متباينان لا يقترنان.

فالانسان الذي يُنمّي جسده طولًا، يكون نموه في العرض قليل،

فكذلك الانسان الذي يطلب المال ربما يصبح ثرياً لكن من دون ترديد يتأخّر عن طلب العلم، والغني المتظاهر بالعلم لا يكون علمه إلّارياءاً وتفاخراً «1».

---

(1)- سمات النبلاء (سيماي فرزانگان»: 34- 37.

العارف العالم ميرزا جواد ملكي

كان العالم العامل والعارف الكامل والعابد السالك والذي تربّى حقيقة بالآيات القرآنية، أعني ميرزا جواد آقا ملكي، كان من تلاميذ جمال السالكين وقطب العارفين صاحب الأنفاس القدسيّة الآخوند ملا حسين قلي الهمداني.

قد اشتغل الميرزا جواد لسنين طويلة في مدينة قم- عشّ آل محمّد عليهم السلام- بتدريس وتربية تلاميذ مدرسة أهل البيت عليهم السلام. كان يواظب على الصيام في أشهر رجب وشعبان ورمضان وكان يبيت الليل بالتهجد والبكاء والانابة والأنين وكان يلقي دروساً في الأخلاق لطلبة العلوم الدينية في مدرسة الفيضية، مازالت جدران المدرسة وأبوابها وأجواءها الروحانية تتذكر ذلك الصوت الحزين والعيون الباكية والضجّات الخالصة عند ما كان يدعدوا بهذا الدعاء:

اللَّهُمَّ ارْزُقنِي التَّجَافِي عَن دَارِ الغُرورِ وَالإنَابَةَ إلى دَارِ الخُلُودِ وَالاستِعدَادَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ حُلُولِ الفَوْتِ «1».

(1)- كان الامام السجاد يقرأ هذا الدعاء في ليلة 27 من شهر رمضان المبارك من أوله الليل إلى آخره، الإقبال: 228؛ بحار الأنوار: 95/ 63، باب 31.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 232

إن فضائله وكراماته أكثر ممّا يسعه هذا المختصر، فان طلبته ينقلون حكايات كثيرة عن أخلاقه وزهده وتقواه وحبه وعرفانه فعدوه من أفضل الباكين بين يدي اللَّه سبحانه.

إنّ آية اللَّه جعفر الشاهرودي صاحب كتاب «خزينة العلماء» وقد كان من خواص طلبة الميرزا نقل لي هذه الحكاية:

عند ما كنت في شاهرود رأيت ليلة في المنام أن الامام الحجة في صحراء ومعه جماعة- وكأنهم كانوا يقيمون صلاة الجماعة- اقتربت منه لأزور جماله الفريد وأقبّل يده، فرأيت شيخاً جليل القدر ملاصقاً للامام وكان الجمال والوقار والشرف ظاهر على سيماه، عند ما استيقظت من النوم تأملت في هيئة ذلك الشيخ وسألت نفسي من كان هذا الرجل الذي اقترب من الامام لهذه الدرجة؟ فسافرت إلى مشهد لأجد ضالتي المنشودة ولكنّي لم أعثر عليه هناك ثم ذهبت إلى طهران، كذلك لم أعثر عليه أيضاً ثم قفلت إلى قم واذا به يدرس في حجرة من حجرات مدرسة الفيضية فسألت من هذا الرجل؟ قالوا: إنّه الحاج ميرزا جواد ملكي التبريزي.

جلست في حضرته وأخذ يتفقدني ويسأل عن حالي وسألني متى أتيت؟ وكأنه يعرفني قبل هذا ويعلم بالرؤية فبعد ذلك اللقاء أصبحت من تلاميذه وطلبته فوجدته كما كان في عالم الرؤيا.

في سحر ليلة الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة 1343 هـ. ق. كنت بين النوم واليقظة وإذا بأبواب السماء تتفتح لي والحجب تزول عنّي

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 233

بحيث كنت أشاهد أعماق الملكوت إذ ذاك وجدت الحاج ميرزا جواد آقا واقفاً مادّاً يديه بالقنوت ويتضرع ويبكي ويناجي ربه، فتحيرت من مقامه وقربه من الحق تعالى.

كنت في ذلك الحال فاذا بطارق يطرق الباب، قمت وفتحت الباب مسرعاً، كان طارق أحد أصدقائي قال: يا فلان عجّل وتعال إلى بيت ميرزا جواد، فقلت ما الأمر؟ قال: عظم اللَّه لك الأجر فقد انتقل الشيخ إلى جوار ربّه «1»!

(1)- خزائن العلماء (گنجينه دانشمندان): 231.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 234

آية اللّه القاضي في قمة العرفان

الحديث هنا عن شخصية كانت فريدة في زمانها ومتميزة بين أقرانها، لمعرفة أوصاف هذا الرجل يحسن أن نصغوا إلى أحد تلامذته، أعني المفسّر الكبير والعارف الفريد والفيلسوف الخبير العلّامة الطباطبائي- أعلى اللّه مقامه- الذي تربّى في الواقع بتربية القرآن، حيث قال:

كل ما لدينا في هذا المجال هو من المرحوم قاضي سواء ما تعلمناه في حياته ومن حضرته، أو من طريقتنا التي هي أيضاً للمرحوم القاضي.

كان المرحوم قاضي يهذّب طلبته بطريقة خاصّة حيث كان يُلزمهم باعتماد الموازين الشرعية في طريقهم إلى السير والسلوك وبمراعاة الآداب الباطنية للأعمال وحضور القلب في الصلوات والاخلاص في الأفعال وبهذه كان يهيّء قلوبهم لتلقي الالهامات الغيبية.

كانت له في مسجد الكوفة ومسجد السهلة حجرة يبيت فيها بعض الليالي لوحده وكان يوصي طلبته بالمبيت في مسجد الكوفة أو السهلة للتهجد والعبادة.

وقد أوصى طلبته أنهم اذا شاهدوا وجهاً جميلًا حين الصلاة أو قراءة القرآن أو حين التدبر أو ترتيل الأذكار، أو انكشف لهم شيء من عالم

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 235

الغيب، فلا يلتفتوا إليه ويستمروا بعبادتهم.

يقول العلّامة الطباطبائي: ذات يوم كنت جالساً في مسجد الكوفة أُردّدُ أذكاراً، فاذا بحور ظهرت عن يميني وقدّمت لي كأساً من خمر الجنة وعرضت نفسها لي، حينما أردت الانتباه إليها تذكرت كلام الأستاذ فأدرت وجهي عنها، ثم قامت وأتت لي

من اليسار وقدّمت لي ذلك الكأس فلم التفت إليها وأدرت وجهي عنها ثانية فازعجها ذلك وذهبت عني ولكنّي حتى اليوم كلّما اذكر ذلك الموقف أتألّم من تألّمها.

كان المرحوم قاضي من كبار المجتهدين وقد درّس كتباً في الفقه أيضاً وكان يقيم في العشرة الأولى والثانية من شهر رمضان مجالس للتعليم والتهذيب وبعد أربعة ساعات من هذه الجلسات كان تلاميذه يلتقون بالاستاذ ويطول بهم اللقاء إلى ساعتين غير أنّه في العشرة الثالثة كان يعطل هذه المجلس ويغيب عن أنظار الجميع حتى نهاية شهر رمضان، وكلما كان تلاميذه يبحثون عنه في النجف ومسجد الكوفة ومسجد السهلة وفي كربلاء ما كانوا يجدون له أثراً وقد دامت هذه الطريقة له حتى وفاته قدس سره.

كان المرحوم قاضي- بحسب العادة- يتواجد عشرة إلى عشرين يوم ويلتقي في هذه الفترة مع الأصدقاء، ويدرّس ثم دفعة كان يغيب عن الأنظار لمدة يوم أو أكثر من ذلك فلا يجده أحداً في تلك الأيام حتى في بيته وفي المدرسة بل أن أهل بيته أيضاً كانوا يجهلون مكانه وأنّه ماذا يعمل فما كان أحد يعلم ذلك على الاطلاق.

قد جاء في الروايات عن أنّ الامام الحجة عليه السلام عند ما يظهر، يبدأ دعوته

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 236

من مكة حيث الركن والمقام فيعلن حركته من هناك ويلتف حوله ثلاثمائة وثلاثة عشر من الخواص.

يقول القاضي عن ذلك: حينئذ يخاطبهم الامام عليه السلام سراً بأن ينتشروا في أقطار العالم لأنّهم جميعاً يتمكنون من طيّ الأرض، ثمّ يتفحصوا العالم فيعرفون بعد ذلك بأنه لا يمتلك أحد الولاية الالهية المطلقة إلّاالامام المنتظر وهو الذي أمر بالظهور والقيام، وأنّه يمتلك جميع خزائن أسرار اللّه، فعندئذ يأتي الجميع إلى مكة ويستسلمون إليه ويبايعونه.

ثمّ كان المرحوم القاضي يقول: إني اعرف تلك الكلمة التي يقولها الامام إلى أصحابه ثم يتفرقون في أقطار الأرض جميعاً.

العلّامة الطباطبائي ينقل عن حياته ويقول: كنّا أنا وزوجتي من الأرحام القريبين للمغفور له الحاج ميرزا علي‌آقا القاضي حين اقامتنا في النجف كان المرحوم يصلنا ويتفقد حالنا.

رزقنا في تلك الأيام أولاداً لاكثر من مرّة ولكنهم توفوا في الطفولة جميعاً.

ذات يوم زارنا المرحوم القاضي في البيت وكانت زوجتي آنذاك حامل في حين أني كنت أجهل وجود حمل فيها، فعند ما أراد أن يودّعنا قال لزوجتي، يا بنت العم هذه المرّة يبقى الطفل حياً وهو ولد واسمه عبدالباقي.

ففرحت من كلام المرحوم، وفعلًا رزقنا اللّه بلطفه بعد مدّة ولداً بقي حياً هذه المرّة وسمّيناه عبدالباقي «1».

---

(1)- سيما النبلاء (سيماى فرزانگان): 76؛ الشمس الساطعة (مهر تابان): 19؛ تذكرة علامة الطباطبائي: 61.

حرية الروح وعظمتها

إن الميرزا الشيرازي (صاحب فتوى التنباك) هو أحد علماء الشيعة، ذلك العالم الذي بإصداره لتلك الفتوى قضى على هيمنة بريطانيا في إيران، ونبّه بفعله هذا العالم الغربي على دور المرجعية الشيعية وعظمتها وعلى دور الافتاء وايمان الناس بالمرجعية لأنها النائبة عن الامام الحجّة عليه السلام.

بعد ارتحاله رجع الناس إلى آية اللّه السيد محمّد الفشاركي ليكون الزعيم الحامل لراية المرجعية ولكنّه- وبالرغم من توجّه أعاظم العلماء إليه- رفض المرجعية وقال:

إني لا أصلح للمرجعية والزعامة والحكومة الدينية على الشيعة إذ أن المرجعية والسيادة الدينية يشترط فيها مضافاً إلى العلم والفقه مسائل أخرى كالوعي السياسي والشهامة في اتخاذ القرارات الصائبة في كل موقف، وأنا اشكّ في توفر هذه الأوصاف فيّ فقبولي للزعامة والمرجعية سيؤدي إلى ضياع النظام الشيعي وفساد قضايا الناس الدينية، فلا يجوز لي غير التدريس!

وبذلك استطاع الفشاركي الذي حمى نفسه من الهوى وحُبّ الدنيا

وتخلّق بأخلاق خواص أولياء اللّه وجاهد النفس والشيطان، أن يرجع الناس إلى ميرزا محمّد تقي الشيرازي العالم الذي تميز بالكياسة والفطنة في السياسة والادارة «1».

قال مؤسّس الحوزة المباركة في قم آيةاللّه العظمى الحائري: إني سمعت من أستاذي آية اللّه الفشاركي يقول: عند ما توفي ميرزا الشيرازي صاحب الفتوى الشهيرة في تحريم التنباك ذهبت إلى البيت ووجدت نفسي كأنها مسرورة، كلما بحثت عن داعي هذا السرور في نفسي ما كنت أحصل على اجابة لهذه الحالة الغريبة وقد توفي ميرزا الشيرازي وكان أستاذي ومرشدي الذي تميز بعلمه وتقواه وفطنته وذكائه الفريد.

تأمّلت قليلًا لأفهم الداعي من هذا السرور! وأخيراً توصلت إلى نتيجة وهي أنّه قد يكون سبب السرور هو أنني سأكون قريباً مرجعاً للتقليد واستلم مهام زعامة الشيعة، فقمت من مجلسي وتشرفت إلى حرم أميرالمؤمنين علي عليه السلام وطلبت من الامام أن يدفع عني هذا المنزلق، لأنّي بدا عليّ حبُّ الرئاسة!

بات آية اللّه الفشاركي تلك الليلة في الحرم حتى الصباح وعند الصباح ذهب لتشييع الجنازة، فوجده الناس انّه ملتهب العينين وكان واضحاً عليه بأنه تهجد الليل كله! وعلى كلّ فإنّه سعى لأن تنتقل الرئاسة من بيته إلى محل آخر.

نعم، إن رجال اللّه الذين تهذبوا بالقرآن إلى هذه الدرجة يراقبون

---

(1)- الفوائد الرضوية: 594 بتصرف وجيز في العبارات.

أنفسهم حتى أنهم يصلون إلى مرتبة المرجعية وتتسنى لهم الفرصة ولكنهم لا يخضعون لها «1».

يا ليت لو كنا نستطيع أن نُخبر زعماء العالم لاسيّما الغرب بهذه الحقائق التي تدلّ على حرية أرواح عباد اللّه المخلصين وتدلّ على تربيتهم القرآنية، ليدركوا ويفهموا أن التربية الصحيحة لا تحصل إلّافي ظلال القرآن، كما أن الإستمتاع بالعدالة لا يكون إلّابتطبيق القرآن، ولا يزول شر الظلم والاضطهاد والأخلاق الحيوانية عن الحياة إلّابالعمل بتعاليم القرآن الكريم.

ما زال الانسان في القرن الواحد والعشرين سواءاً كان شرقياً أو غربياً هو مخاطب لهذه الآية:

[... وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] «2».

وبالرغم من أنّه استطاع وبفضل تطور العلوم والفنون أن يعالج كيفية تربية (علماء) ولكنه ما زال يجهل تربية الانسان ليكون إنساناً! فالحضارة تستطيع واستطاعت فعلًا- إلى حد ما- أن تجتاز بوابة كيفية تعليم علماء ومفكرين واستطاعت أن تحل رموز التعليم ولكن هيهات- وللأسف- لم تستطع أن تحل عقدة تربية (الانسان).

إذن بصورة عامة يمكن القول بأن: حضارة اليوم تعالج مسألة تربية علماء ولكنها قاصرة عن معالجة مسألة تربية الانسان «3».

---

(1)- تذكرة الشهيد القدوسي: 203.

(2)- الاسراء (17): 85.

(3)- الفضائل المهجورة.

إنسان اجتمعت فيه الفضائل

من الشخصيات البارزة والنادرة التي تغذت من تعاليم القرآن المجيد وتشبعت بها هو الآخوند ملا عباس التربتي.

يقول العالم المحقّق المرحوم راشد- نجل الآخوند التربتي- في وصف والده:

كان زاهداً في الدنيا وكان يذكر اللّه في جميع أعماله وكان لا يعمل إلّا للّهوكانت لديه عقيدة راسخة وإيمان ثابت باللّه ورسوله ويوم الجزاء بحيث لا يخطر بباله خلاف ذلك أبداً، ولذلك كان يعمل بالواجبات والتكاليف الدينية الملقاة على عاتقه ليلًا ونهارً ولا يغفل عن ذلك حتى دقيقة واحدة ولا يضيع لحظة واحدة من عمره في اللهو والباطل.

عمل خلال عمره بكل العبادات- الواجبة والمستحبة- وما ارتكب ذنباً- كبيراً كان أو صغيراً- أبداً، بحث يمكن القول فيه بأن هذا الرجل لم يفكّر بارتكاب الذنب أصلًا.

كان يصوم أكثر أيام السنة وغالباً ما كان لا يأكل وجبة السحور ويكتفي بالفطور؛ وعلاوة على الصلوات الواجبة- التي كان يؤديها في أوقات الفضيلة مع جميع آدابها وشروطها- والنوافل، كان ينتهز الفرص لاقامة

صلوة، سواء كان في مجلس لم يحن فيه وقت ارتقاء المنبر أو كان في البيت؛ في كل هذه الحالات لا يغفل عن إقامة الصلوة وكان يقيمها كما يقيم الصلاة اليومية.

وكان يصلي لوالده ووالدته المرحومان وعمته وعمه وغيرهم من أرحامه وحتى أثناء المشي كان يصلّي فكان يضع التربة على جبهته بدلًا عن السجود، ولذلك كان دائماً على وضوء وطهور.

وكان يلتزم بأداء كل ما ورد من الأدعية والأعمال المستحبة الواردة في أيام السنة طيلة عمره، منذ سن التكليف حتى يومين أو ثلاثة قبل وفاته، كان يؤدي فيها صلاة الليل مع جميع شروطها وآدابها ولم يتخلّ عن القيام في الليل إلا في اليومين أو الثلاثة الأخيرة من عمره.

كان يبكي كثيراً خوفاً من اللّه وكان يحب أهل بيت النبوة عليهم السلام غاية الحب بحيث كلما سمع باسم رسول اللّه صلى الله عليه و آله أو أحد الأئمة الأطهار عليهم السلام سالت دموعه، كان إذا سمع مصائب آل البيت على المنبر يبكي أكثر من المستمعين، في أغلب الأحيان- بسبب احتياطه- كان يذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام أو يقدم الموعظة أو يبين المسائل الدينية معتمداً الكتب المعتبرة. كما كان يهتم بأحوال الزهاد والعبّاد بحيث كان يقول دوماً: ثمة بعض الناس لا يشربون الماء البارد في الصيف بل يضعونه أمام الشمس وبعد أن تقل برودته ويحتر، يشربونه لكي لا يتمتعوا حتى بهذا المقدار من ملذات الدنيا «1».

---

(1)- الفضائل المجهورة: 99.

زهد وتقوى فريدان

يقول المرحوم راشد:

كنت أنا- حسينعلي راشد مؤلف هذه السطور- وأخي من طلّاب العلوم الدينيّة وكان والدنا الآخوند ملّا عبّاس في كلّ عمره لم يعطنا ولا قراناً واحداً من الوجوه الشرعية التي كانت تدفع له سواءاً كانت خمساً أو ردّ مظالم أو كفّارات وكنّا نخاف كثيراً من التقرب إلى هذه الأموال بحيث كنا نتخيلها حيّة أو عقرباً فنجتنب عنها.

كنت في أيّام شبابي أدرس في مشهد وفي الصيف كنّا نذهب إلى (تربت حيدريّة) ذات يوم عند ما كادت الشمس أن تغرب أرادت والدتي أن تصرّف أموالها فطلبت من والدي أن يصرّفها بالوجوه الشرعية «سهم الامام والخمس» ولكنّه قال: لا أصرّفها بهذه الأموال، صرّفوها عند البقال، فذهبت إلى البقال وصرّفت الأموال عنده.

المرحوم الآخوند ملا عبّاس بالاضافة على عدم استعمال الوجوه الشرعيّة كان يستخرج من ماله الخمس والزكاة، كانت له أرض زراعيّة صغيرة ورثها من أبيه وكان يستخرج زكات الحنطة في نفس الأرض عند الحصاد ويأتي بالباقي لأهله وقد جعل أوّل يوم من شهر رجب اليوم الأوّل من «سنة خمسه» خصوصاً في الزراعة لأنّه باشر بالزراعة في أوّل

يوم من شهر رجب (حسب الأشهر القمرية).

وعلى أيّة حال كان يخرج في أوّل شهر رجب من كلّ سنة خمس ما كان لديه في البيت من حنطة وطحين وخبز ودهن وسكر وملح وفلفل وشاي و... يخرج خمس كلّ ذلك ويقسّمه إلى سهم الامام وسهم السادة ثمّ يصرفه في مصارفه.

حينما توفي والده كان له وارثان، الآخوند وأخته أيعمّتي فقال والدي لعمّتي: أخرجي من التركة كلّ ما تريدين فهذا سهمك، فأخذت من التركة ما شاءت ثمّ دفع والدي كلّ ما تبقّى له من مال نقدي وأعيان كالبقر والغنم والحنطة والعلف دفعها كلها لرد المظالم والزكاة والخمس نيابة عن والده، وكان يقول دفعتها لأني لا أعلم هل كان والدي قد دفع حقوقه الشرعية تماماً أو لا، ولم يبق له سوى الأرض الزراعية، وكان نصفها مهر والدتي وكانت الأرض تكفينا على طبخ خبز لتمام السنة!

ومن الأمور الأخرى التي فعلها، أنّه انتبه إلى أن أوّل سنة خمسه هو أوّل يوم من شهر رجب [كما أسلفنا] في حين عمل الزراعة يتم على أساس السنة الشمسية فقد يصادف أوّل شهر رجب موسم الخريف الذي تخضرّ فيه السنبلة ولم تعط حنطة بعد، وهذا العلف الأخضر هو بحد ذاته له قيمة فيجب أن يخمّس ولكنه لم يدفع خمس هذا العلف من قبل ولذلك قرّر أن يدفع 300 تومان في ذلك الوقت (وهو سنة 1345 هـ) احتياطاً، ولقد ضاقت بنا العيشة من جراء دفع ذلك المبلغ وتجرّعنا الفقر لمدّة طويلة «1».

---

(1)- الفضائل المهجورة: 101.

التبرك برسائل الآخوند ملّا عبّاس

كانت الرسائل التي يكتبها الآخوند للآخرين يُعمل بها وتأخذ طريقها إلى التنفيذ وكان لا يكتب قبل اسمه (الأحقر) أو ما شابه ذلك، كان يملأ الورقة- وهي بطول بطاقة الطبيب- من الكتابة ولم يبق في أطرافها فراغاً لأنه كان يعتبر ذلك إسرافاً ثم يطوي الرسالة ويسلّمها إلى صاحب الحاجة من دون غلاف، كانت رسائله تنقذ السجين من السجن، وتعفي المغرّم عن دفع الغرامة، وتستمهل للمدين لدفع دينه وكان يمهل.

أتذكّر أن ذات يوم جاءت امرأة إلى المرحوم تشكي وتقول: إنّ زوجها قد أُلقي القبض عليه من قِبل مدير الشرطة، فكتب والدي رسالة- بنفس النمط الذي مرّ بيانه- إلى المدير فذهبت المرأة وكان ذلك وقت الظهيرة بعد ساعة عادت وقالت: أخذت رسالتكم وسلّمتها إليه وكان قد انتهى من الطعام وأراد أن ينام، فأتى له الخادم بملحفة ليغطيه، فقرأ الرسالة ومزقها.

تألّم والدي من هذا الموضوع وبلغ الخبر إلى المدير فجاء إلى والدي وأتى بنفس الرسالة قبّلها وعرضها عليه وقال: إني احتفظ بجميع الرسائل التي استلمها منكم وقد أوصيت أن يجعلوها في كفني بعد الموت لتكون

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 245

وسيلة نجاة لي عند اللّه، وأما تلك المرأة فقلت لها: أنا أريد أن أنام ولم يكن فلان حاضراً في المكتب ليخرج زوجك من السجن، فعند ما يأتي العصر أقول له أن يخرجه، ولكن المرأة جاءت لكم وكذبت بتلك الكذبة للأسف أن أرباب الحوائج كانوا يكذبون كثيراً لقضاء حوائجهم ومازالوا يكذبون.

وهكذا كان المرحوم الحاج الآخوند يواظب دائماً على عبادته طيلة الأربعة والعشرين ساعة، وأيضاً كان يهتم بقضاء حوائج الناس وأعمالهم الشرعيّة ويسرع لقضائها حتى في المنتصف من ليالي الشتاء ونهار الصيف، وكان في سبيل أداء هذه المسؤوليات والواجبات ينسى نفسه ويتعبها في ذلك.

إني قد امضيت أربعين عاماً من عمري في حياة المرحوم الآخوند وأقولها بكلّ اطمئنان أن المرحوم كان قد هذّب نفسه تمام التهذيب، فمثلًا في بعض الأيام كان الناس يأتون ويطرقون باب البيت في منتصف الليل فنقوم على أثر الطرقة بدهشة من النوم فاذا برجل يطلب الآخوند ويقول: إنّ فلاناً يحتضر في فراش الموت فليأتي الآخوند إلى فراشه! فكان يقوم الآخوند كالطير الخفيف ويتوضّأ ثمّ يذهب فوراً ودون أي ضجر «1».

---

(1)- الفضائل المهجورة: 105.

جاءت الفضائل والحسنات

يقول المرحوم راشد:

إنّني «حسينعلي راشد» من مواليد سنة (1284 هـ. ش) ولد والدي في (سنة 1251 هـ. ش)، فكان عمره حين ولادتي 34 سنة، عند ما بلغت الثالثة من عمري غادر والدي كاريزك- ولم نذهب بعد من هذه القرية إلى مدينة تربت- مع قافلة متجهين نحو كربلاء مشياً على الأقدام، كانت السفرة تصادف قصف المجلس [إبان الثورة الدستورية في ايران] بالمدفعيات وطال السفر سبعة أشهر.

أتذكر ذلك اليوم الذي رجع فيه والدي من السفر وقد اجتمع الرجال والنساء في بيتنا بحيث لم يبق مكاناً للجلوس وكانوا يوزعون على الناس المرطبات وتحلّق الناس حول والدي. قامت امرأة من بين النساء ووقفت رافعة يدها تقول: جاء الدين، وجاء الايمان، وجاء النور، وجاءت الرحمة، وجاء الخير، وجاءت البركة، وجاء المحراب، وجاء المنبر، وجاءت الصلاة، وجاء المسجد، وجاء الكتاب، وجاء القرآن، فكانت تردد مثل هذه العبارات.

مازلت أتذكر صورة المرأة وصوتها وكأني رأيتها في الأمس «1».

---

(1)- الفضائل المهجورة: 133.

مَظْهَر النور

يقول المرحوم راشد:

شاهدنا من الآخوند مواقفاً لازالت مبهمة لدينا، منها:

أن والدي قد توفي في يوم الأحد (24 مهر سنة 1322 هـ. ش) مطابقاً ل (17 شوال سنة 1362 هـ. ق) ساعتين بعد طلوع الشمس وقد أقام صلاة الصبح وهو مضطجع وكان بكامل وعيه إلى اللحظة الأخيرة وهو يتمتم كلمات كأنه يشعر بنزعة روحه، وقد فاضت روحه بكلمة لا إله إلّااللّه.

وبالضبط في الأحد الماضي بعد قيام صلاة الصبح تمدد وأخذ ينام وقد غطى وجهه بعبائته فجأة أخذ جسده يضوي كأنّ الشمس أشرقت من نافذة على المكان أو وجّه شارفاً عليه فأصبح لون وجهه شفافاً بعد أن إصفرّ بسبب المرض، بحيث بانت ملامح وجهه من تحت العبائة، ثم اهتز وقال: السلام عليكم يا رسول اللّه، هل جئتم إلى زيارة هذا العبد الحقير، ثم كأنه بدأ يسلّم على الأئمّة واحداً تلو الآخر من أميرالمؤمنين حتى الامام الثاني عشر عليهم السلام ويشكرهم على زيارتهم وبعدهم سلّم على السيّدة الزهراء عليها السلام وبعد أن رأى السيّدة زينب عليها السلام أجهش بالبكاء وقال: يا سيدتي لقد بكيت عليك كثيراً ثمّ سلّم على أمّه وقال: إنّي أشكرك أن أرضعتيني

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 248

حليباً طاهراً... وقد استمرت هذه الحالة إلى ساعتين بعد طلوع الشمس ثم زال ذلك الضوء عن جسده وعاد إلى حالته الطبيعية فعاد صفار وجهه وبعد اسبوع من ذلك الحادث في يوم الأحد وفي نفس تلك الساعين احتضر ثم فاضت روحه.

ذات يوم- ما بين الأحد الأول والثاني- قلت له: نحن نسمع من الأنبياء والأولياء روايات نرجو أن نكون من المشمولين لمضامينها والآن رأيت فيكم مثل هذه الحالة وأنتم أقرب الناس لي، فأرغب في فهم ما جرى عليكم، سكت ولم يقل شيئاً، فكررت سؤالي بعبارات أخرى ولكن سكت في كلّ مرّة، أردت أن أسأله للمرة الرابعة أو الخامسة فقال: لا تؤذيني يا حسينعلي، قلت: أردت أن أتعلم شيئاً، فقال لي: إني لا أستطيع أن أعلمك فاطلب ذلك بنفسك «1».

هذه كانت حياة الآخوند وهكذا كانت وفاته، ذلك الانسان المؤمن الخلوق والعامل المخلص الذي تهذب بالقرآن، هل- يا ترى- أنّ الموالين لهذه الحضارة ومثقفوها من الذين لم ينالوا شيئاً من الايمان باللّه واليوم الآخر وما حمله القرآن المجيد في ثناياه، فهل تجد في داخلتهم ذرة من حالات هؤلاء الأخيار الطيّبين الذين تربّوا على ثقافة القرآن الربانيّة الخالدة؟ وهل توجد في شرق الأرض ومغربها، مدرسة أو جامعة أو مؤسسة تتمكن- ببعدها عن الحقيقة والروحانية- من تربية هكذا شخصيات عظيمة وزاهدة وعابدة ومؤمنة وخادمة ومضحية ومخلصة؟

---

(1)- الفضائل المهجورة: 149.

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 249

إن تحرير الامم والشعوب وانقاذها من النكبات والانتكاسات غاية مثلى لا تحصل إلّاعن طريق الرجوع إلى القرآن ومعرفته والتدبر فيه والعمل بتعاليمه، نعم، لو كان القرآن قرين الناس وكانوا يعيشون تحت رايته ويرافقون رجال الحق وأولياء اللَّه ويصاحبونهم لنالوا سعادة الدنيا والآخرة.

إنّ تحرير الأمم وانعتاق الشعوب وانفاذها من النكبات والانتكاسات غاية مثلى لا تحصل الّا من طريق العودة الى القرآن ومعرفته والتدبر فيه والعمل بتعاليمه؛ أجل، لو كان القرآن قرين الناس وكانوا يعيشون تحت رايته ويرافقون رجال الحق وأولياء اللَّه ويصاحبونهم لنالوا سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

إنّ انقاذ الانسان من الحضارة المتغطرسة الغارقة في مستنقع الماديات والغفلة والفساد- والتي اسقطت عليه كمّاً هائلًا من الاضطراب والخوف والوحشة واليأس- لا يتحقق الا بالعودة إلى القرآن ومفسريه الكرام وهم آل بيت النبي صلى الله عليه و آله، ولو عاد الناس إلى القرآن المجيد وعملوا بتوجيهاته وجعلوها نصب أعينهم في جميع شؤون الحياة لتنزلت عليهم البركات والفيوضات من السماء والأرض ولنالوا عشرات أضعاف ما يهدفون إليه.

نظام العشره فی المنظور الاسلامی، ص: 250

صيانة الدين في عواصف اللادينية

ولدت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في بيت حمل على جبينه وصمة العار في تاريخ الاسلام، نزلت آيات في حق ثلاثة من أعضاء هذه الأسرة وهم والدها عقبة وهي نفسها وأخوها وليد.

والذي يلفت النظر هو أن هذه المرأة العظيمة انتصرت في صراعها ما الاغراءات المادية، وكانت راسخة الايمان في مواجهة أبيها وأخيها؛ لأنّه تربّت في مدرسة الوحي ومكتب الرسالة!

لا بأس بأن نتعرف شيئاً ما على هذه الأسرة كي تتضح شخصية هذه المرأة وعظمتها، كان والدها من الشخصيات التي لم يتحرج من أي اعتداء على رسول اللَّه ولم يكف عن أيإذاء له حتى وصل به الأمر في موقف أن يرمي بصاقه على وجهه المبارك! ولهذا السبب أنزل اللَّه تعالى هذه الآية في حقه وصاحبه:

[وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا] «1».

وأمّا ابنه وليد وهو أخٌ لعثمان من الأم، فقد احتفل مع عمرو بن عاص

---

(1)- فرقان (25): 27.

في يوم شهادة حمزة عم النبي وشرب الخمر، إنّ وليد وإن اعتنق الاسلام في ما بعد ولكن لم يغير شيئاً من سلوكه وأخلاقه وعند ما أصبح والياً على الكوفة في عهد عثمان، صلّى صلاة الفجر- في حال السكر- بأربعة ركعات وعند ما وصل الخبر إلى المدينة أحضره أميرالمؤمنين علي عليه السلام وأقام عليه الحد بالرغم من مخالفة عثمان.

وفي يوم- في حياة النبي صلى الله عليه و آله- أمره رسول اللّه صلى الله عليه و آله أن يذهب إلى عشيرة بني المصطلق ويجمع زكواتهم وكان بينه وبين العشيرة في عصر الجاهلية عداوة، فعند ما استقبله رجال العشيرة بالسرور والفرح زعم أنهم يريدون قتله فرجع إلى المدينة وقال بأنهم امتنعوا عن دفع الزكاة.

فغضب النبي صلى الله عليه و آله وقرّر أن يحاربهم ولكن اللّه تعالى قبل أن يترتب أثر على خبر وليد الفاسق أنزل هذه الآية:

[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ] «1».

وهكذا أثبت القرآن الكريم لقب الفاسق لوليد إلى الأبد «2».

وكان وليد من أشدّ المعاندين لأميرالمؤمنين علي عليه السلام.

ولكن كانت أمّ كلثوم من النساء اللواتي اعتنقن الاسلام في بداية مبعث النبي صلى الله عليه و آله فهي صلّت نحو القبلتين بيت المقدس والكعبة وبايعت النبي صلى الله عليه و آله، وهاجرت إلى المدينة مشياً على الأقدام.

---

(1)- الحجرات (49): 6.

(2)- بحار الأنوار: 22/ 53، باب 37.

وأما أخواها وليد وعمارة اللذان مازال نور الايمان لم يدخل إلى قلبهما بعد وكانا يعادون الاسلام بشدة ولم يتحرجا عن ارتكاب أي جريمة من أجل محاربة الاسلام، فقد حاولا أن يمنعاها عن الهجرة.

وكانت هجرة أمّ كلثوم بعد انعقاد صلح الحديبية وقد تعهد المسلمون في هذا الصلح أن يُرجعوا كلّ من هاجر إلى المدينة إلى موطنه وعشيرته، فالنبي الأكرم وفقاً لهذه المعاهدة أرجع حتى المسلمين الذين هربوا إلى المدينة، إلى مكة مرّة أخرى؛ وكانت هذه الخطوة من الانجازات العظيمة للنبي صلى الله عليه و آله والتي كان لها دور مرموق في نشر الاسلام، ولكن النساء ما كنّ مشمولات لهذا العقد لأنّه منذ البداية صرّح بارجاع الرجال المهاجرين إلى مكة فحسب، وعليه فالنساء المهاجرات لم يلزمن بالرجوع إلى مكة فاستغلت أمّ كلثوم هذه الفرصة وبقيت في المدينة.

وقال تعالى في حقّ أمّ كلثوم والنساء اللواتي كنّ مثلها:

[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ...] «1».

فبقت أمّ كلثوم- التي كان ميلها إلى الحق هو الدافع الوحيد للهجرة بأمر من اللّه سبحانه ولذلك لم يتمكن اخواها من ارجاعها إلى مكة.

وبعد أن استقرت أمّ كلثوم في المدينة تزوجت من زيد بن حارثة وكان من أبطال الاسلام ولكن لم يدم زواجها بذلك الرجل المغوار وانتهت

---

(1)- الممتحنة (60): 10.

حياتهما الزوجية، وقد تزوجت أمّ كلثوم بعد شهادة زوجها من آخرين ولكن لم يكن أحدٌ من هؤلاء يصل إلى مرتبة زيد في الايمان والجهاد والتضحية في سبيل الغايات السامية للاسلام.

وهذه المرأة العظيمة بالاضافة إلى أنها تخلّت عن الوطن والاسرة والاقرباء حباً للاسلام وطاعة لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وأنها هاجرت مشياً على الاقدام من مكة إلى المدينة- رغم محاولات إخوانها على ارجاعها، كانت راوية تروي أحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله ومن جملة ما روته الحديث التالي:

سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: «لَيْسَ بِالكَاذِبِ مَن أصلَحَ بَينَ النَّاسِ فَقَالَ خَيراً» «1».

---

(1)- أسد الغابة: 5/ 614؛ ميزان الحكمة: 11/ 5138، الكذب، حديث 17479.

أمّ كانت خيرُ مربيةٍ

كان لعوف بن محلم الشيباني بنت تسمى أياس وقد تربّت هذه البنت ونشأت باشراف من والديها، عندما حان موعد زواجها خطبها رجل يسمى عمر بن حُجر الكندي، ثم عقد عليها وجاء وقت زفافها لتبدأ حياتها الزوجية، ففي الليلة التي أرادت العروس أن تذهب إلى بيت الزوج جاءتها أمها وقالت لها: يا بنيّتي! أنت كنت قبل هذا تعيشين عند والديك والآن يجب أن تذهبي إلى بيت الزوج وأن تغضّ الطرف عن العِشّ الذي كنت تسكنين فيه سنيناً فانّكِ تسيرين نحو بيت لا تعرفين صاحبه ولا تعلمين أخلاقه وسلوكه، أنت تودّعين الذين كنت قد استأنست إليهم وفي نفس الوقت تصاحبين من كان غريباً عليك قبل هذا، فعليك أن تخضعي له حتى يخضع لك، واوصيك بالالتزام بالتعليمات الآتية لتستعينين بها في معترك الحياة وهي:

1- أن تكوني قانعة.

2- وأن تسمعي أوامره جيداً وتُنفّذيها.

3- تتزيّني له حتى اذا نظر لك لا تشمئز نفسه.

4- طيّبي نفسك بالعطر والطيب حتى يشمّ منك أطيب رائحة.

5- أطعميه اذا حان موعد الطعام لأنه عند الجوع متضايق ومضطرب.

6- ساعديه اذا حان موعد النوم لأنه قد يغضب عند ما يغلب عليه النعاس.

7- احفظي ماله في غيابه.

8- أكرمي خدمه وحشمه.

9- لا تخالفيه في أوامره.

10- لا تفشي أسراره فاذا ابحتي أسراره وخالفتيه فلا تأمني مكره وأذاه.

11- انتبهي وتذكّري أن لا تفرحي في حزنه ولا تحزني في فرحه وسروره.

فاذا التزمت بهذه الوصايا وجعلتيها برنامج حياتك فسوف يتحول بيتكما إلى روضة من رياض الجنة «1».

لو قارنّا بين أصالة هذه المرأة كالمرشدة المخلصة التي قدمت أفضل الوصايا من أجل تحكيم وتثبيت بينان حياة بنتها الزوجية وبين النساء الغربيات في هذا العصر واللواتي نَشَأن في أحضان الحضارة الفاقدة للدين، لعرفنا أن الحياة في ظلال الدين والمتدينين والتوجيهات القرآنية تكون كالحياة في الجنة وهي بغياب القرآن تكون كالعيش في النار.

---

(1)- المرأة في مرآة التاريخ الاسلامى: 72.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 256

مهمة المربين العظمى

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 259

الحاجة إلى الصداقة

إن العِشرة والصداقة تعد من القضايا الهامة والملفتة في خيمة حياة الانسان وعيشه بحيث إنّ صورتها الايجابية تكون سبباً للسعادة في الدارين كما أن صورتها السلبية تغدو سبباً للشقاء فيهما.

إنّ الصداقة والتودّد حقيقتان ينجذب إليهما كلّ انسان بفطرته وطبيعة وأصالتهما في وجود الانسان بدرجة من القوة بحيث عدهما البعض من الغرائز والدوافع الطبيعية فيه.

في الواقع أنّ هذه الطبيعة والجاذبية الفطرية إنّما نشأت من ارادة الرب الرحيم الذي خلق الانسان اجتماعيّاً ومدني الطبع وجعل ضمان بعض حاجاته المادية والمعنوية مرهونة بالآخرين.

إنّ أصل خلقة الانسان قامت على أن لا يستطيع أن يعيش بمفرده نائياً بنفسه عن المجتمع يدبر شؤون حياته في معزل منفصلًا عن الآخرين.

فالانسان وإن اختار في الظاهر العزلة لكنّه يبقى في مقوّمات حياته رهن عمل وجهد الآخرين فهو في النهاية- حتى عند عزلته- يعيش اجتماعياً أيضاً.

إن الرغبة في العيش المشترك وغريزة الصداقة كانتا موضع اهتمام مذ

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 260

زمن أول الأنبياء إلى لحظة ظهور الاسلام فكانتا دائماً موضوعة حيوية يعتني بها هذا الدين الذي هو يمثل الثقافة الربانية الوحيدة منذ بدء خليقة الانسان إلى قيام الساعة، وفي ذلك وضعت قضايا وقوانين مفيدة للغاية لأجل ترشيد هذه الغريزة وهذه النزعة الانسانية كيما تثمر شجرة الصداقة والعِشرة ثمارها ومحاصيلها الأساسية في الدنيا والآخرة.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 261

المربي، بستاني حديقة الحياة

إن القرآن والروايات تعبّر عن الانسان بالنبتة والغرسة، وهذا التعبير يشير إلى عظم مسؤولية المربي لاسيّما الآباء والأمهات في التوجيه الصحيح لجميع شؤون وجود الانسان.

إن الاطّلاع على طريقة عمل البستاني الذي يتعامل مع الشتل والغرس يومياً، يعرّفنا بطريقة التربية تماماً.

كيف يعمل البستاني؟ إنّ البستانيّ لا يصنع القابلية والصلاحية في النبتة والشجرة فإن النبتة اليابسة التي تفقد القابلية والاستعداد، تخرج عن حقل عمل البستاني، فمهمة البستاني تقتصر على اعداد الأرضية لمختلف مجالات النمو والنضوج، وعليه يمكن تلخيص مهمة البستاني بما يلي:

1- المعرفة الكاملة بأوصاف النبتة أو البذرة

بدون المعرفة الصحيحة بأوصاف الكائن الذي يكون في طور النمو، لا تكون فعاليات البستاني مثمرة، لأن كل نبتة إنما تنمو وتكشف عن مؤهلاتها في ظروف معينة، لعلّ بعض الظروف تكون مفيدة لنبتة أو بذرة ولا تكون مفيدة لأخرى.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 262

2- اعداد الأرضية المناسبة للنمو والتطور

إنما يشترط ذلك لأنّ في الغالب تظهر قابلية ونمو النبتة والبذرة بعد ازالة موانعها.

ومن هنا يحرث البستاني الأرض لاصلاح التربة وجرف الأرض وازالة الغرين والحجر عن موضع نمو جذور النبتة وبذلك يُعدّ البستان والحديقة لنمو وترعرع البذرة، وأحياناً لبلوغ هذا الغرض ولكي تأخذ الشجرة نموها الطبيعي تقطع الغصون المعوجة الملتوية.

3- الدعم اللازم لأجل النمو والتكاثر

لكن ترعرع الوحدة النباتية تحتاج- زائداً على القدرة والقابلية الذاتيتين- إلى رعاية خارجية لأجل أن تتمتع الوحدة النباتية بفضل قابلياتها من أشعة الشمس الباعثة للحياة ومن المواد السكرية المتوفرة في الأرض ومن المياه العذبة ومواد أخرى، فتنمو وتبرز قابلياتها وجدارتها من طريق ثمارها وأوراقها وزهورها، وقد يضطر البستاني إلى أن يغير في الوحدة النباتية من خلال تطعيم القلم المناسب.

4- المواظبة المتواصلة للوحدة النباتية عند نموها

لا توجد وحدة نباتية- قد لوحظت فيها جهة خاصة في النمو- تستغني من هذا الشرط، ربّما غفلة المربي تؤدي إلى أنّ الكائن النباتي يخرج من مسار وجهته الخاصة فلا يصل إلى غرضه المنشود.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 263

ما قلناه في الوحدة النباتية تصوير مقتضب من أعمال المربي البسيط وهو لا يبلغ أبداً في واحد من ألف من ناحية الظرافة واللطافة ولزوم توظيف أساليب مختلفة في تربية الوحدة الانسانية.

عند ما تستلزم تربية ورعاية نبتة مثل هذه الخطة الهامة الملفتة المترامية الأطراف، يلزم أن يكون مربي الوحدات الانسانية- لاسيّما الآباء والأمّهات- على معرفة تامة لمسؤولياتهم اتجاهها فهو كما يقال:

«اعرف التفاصيل من هذه الاشارة».

إذن هذا التصوير الذي قلناه في تربية الوحدة النباتية، يجب أن يطبق في مقياس أوسع بكثير من نطاق تربية الانسان الذي يؤهل بها- في خاتمة المطاف- إلى دخول المجتمع.

مراحل تربية الانسان

أولى مراحل التربية هي المعرفة بالخصائص البدنية والنفسية والظروف المفيدة والأرضية المضرة للطفل، إلّا أنّه- وللأسف- أن المربين وبشكل خاص الآباء والأمّهات يفقدون هذا الشرط الأساسي في التربية، فمع انهم لا يعرفون عن الطفل شيئاً، يتوقعون منه أموراً عجيبة.

ومن العجب العجاب إنّ الاهتمام في وقتنا الراهن بالهندسة الانسانية- وهي هندسة الانسان الذي يصنع الماكنة ويقودها- أقل من هندسة الماكنة- التي صنعها فكر الانسان-.

للتعرف على طريقة عمل ماكنة بسيطة أو آلة كاتبة أو قيادة سيارة يلزم

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 264

أن تتلقى دروساً نظرية وتطبيقية إلّا أنّ الانسان عند ما يريد أن يربي طفلًا بوصفه أباً أو أُمّاً لم يتلق أيّ تعليم، لذلك فانّ الآباء والأمّهات بوجه عام يلقون بالتقصير على الطفل ونادراً ما يسألون أنفسهم بأنه قد تكون طريقة تربيتهم غير سليمة.

إنّ نظماً وتفاعلات وقوانين خاصة تحكم الانسان، فإذا أردنا أن نتعامل معه يلزم أن نتعرف على الميكانيزمات والقوانين التي تحكم سلوكه.

في الواقع بني الانسان مثل الصناديق ذوات الشفرة! فإنّ فتح أبواب أرواحهم وقلوبهم والتعاون معهم، يحتاج قبل كل شيء إلى وعي وظرافة لا إلى قوة وبطش.

إن قواعد السلوك الانساني تخضع للكشف ولا تخضع للوضع كما هو الحال في قوانين الفيزياء والكيمياء والفيزيولوجية.

فإنّ المقررات الموضوعة للقيادة الانسانية لو لم تتفق مع القوانين الفطرية والمتطلبات الطبيعية، لا تلقى القبول ولا تهضم- ولكونها تعارض السنن المعمولة- لا يمكن أن تفرض على الانسان بالقوة والتعسف.

بعد تحقق الاجراء الأول في عملية التربية وهو تعرف المربي على خصائص الطفل وميكانيزما خلقته، واتضاح الاسلوب الأنسب والخطة المثلى اللذان يجب اتباعهما في الجهات الفردية للطفل مثل نمو البدن والعقل ونمو الشخصية وحصول الثقة بالنفس، وكذلك الاجراءات الاجتماعية المتخذة في تربية الطفل لكي يكون عضواً مؤثراً ومفيداً في

المجتمع؛ بعد هذا كله يأتي دور الخطوات الثلاثة الاخرى التي أشرنا إليها في مراحل ترتبية الوحدة النباتية.

فإنّ التكامل الصحيح هو الذي يعمُّ كافّة الشؤون الفردية في التربية، لأنّ التكامل في جهة دون جهة أخرى يؤدي إلى فناء الفرد فمثلًا عند تكامل الطفل جسمياً ومادياً اذا نمى القلب مثلًا دون غيره من الأعضاء أو لم يكن نموها متناسباً مع نمو القلب فمثل هذا التكامل ذي البعد الواحد ينتهي بالطفل إلى الموت.

وهذا الأمر نفسه يحكم مجموع الشؤون الانسانية حينما يكون التأكيد في النمو والتطور على الجوانب المادية والغرائز النفسانية مع اهمال الجوانب الاخرى، فمثل هذا التكامل سيكون تكاملًا ذا بعد واحد وفاقداً للانسجام.

إنّ التكامل الصحيح هو الذي يكون كفيلًا للبقاء، شاملًا لجميع جوانب وجهات الكائن الذي يكون في طور النمو فيدفع به- وفق نظام خاص- إلى الأمام.

فان قصور المذهب الأخلاقي الغربي يكمن في انّه يؤكد على بعد واحد من أبعاد الروح الانسانية فمثلًا أيمدرسة تربوية تعتمد التحليل النفسي الفريدي الذي يؤكد على الغريزة الجنسية في اللاوعي الانساني، فانه يحلل شخصية الانسان من طريق الغرائز ويركز على الغريزة الجنسية؛ وعليه يتلخص خلق الانسان وشخصيته في الشهوة والشؤون الجنسية، وأما الابعاد الأخرى للروح الانسانية التي كشف عنها

علم النفس فتكون منسية.

هذه الجماعة من علماء النفس وأصحاب الاختصاص في الشأن التربوي تنظر للانسان من زاوية الشهوة ومن وراء نظارة الميول الجنسية؛ غير انّه بسبب قصور هذا المنهج البحثي تصبح هذه الجماعة في غفلة وجهل من آفات الانسان الأحرى.

إنّ ضرر هذه الجماعة من أصحاب الاختصاص في الشأن التربوي فادح ورهيب.

وهناك طائفة من علماء التربية من أصحاب المذهب المادي المنكرون لعالم الغيب يهتمون في الغالب بتربية الجسم دون الروح، فهم بدلًا من أن يرشدون الغرائز ويعدلونها يعمدون إلى ارضائها أكثر فأكثر، وفي ظل هذه الخبرة المغلوطة والضئيلة يخرجون أناساً يجولون في البر والبحر والفضاء ويتمكنون من المعمورة بحيث يشبون النار فيها باطلاق شرارة واحدة، فان هؤلاء وفي ظل هذه الخبرة البسيطة لا يستطيعون أن يخرجوا انساناً يتحلّى بالفضائل الانسانية ورعاية بني الانسان وأن يعملوا على ترسيخ التفاهم والانسجام.

المربين والأدوار التربوية الخمسة

إنّ برامج الاسلام واهتماماته لا تقتصر على غريزة حب الصداقة بل تشمل جميع الغرائز الذاتية والفطرية ويحتوي مشروعه التربوي على تعاليم متقنة ومجدية لجميع مراحل حياة الانسان وما تتضمّنه من أميال وغرائز.

وأرجو الالتفات بدقة إلى هذه الآية المباركة التي تقسم حياة الانسان إلى خمسة أدوار:

[اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٌ وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ] «1».

من الواضح أنّه لو اعتمد المرشد الواعي والمخلص- لاسيّما الآباء والأمّهات- في هذه الأدوار الخمسة إلى التوجيهات القرآنية والمعارف الالهية والسنة الشريفة وجعلها أدواته التي يستعين بها في تربية شخصية الانسان، فسوف تؤتي ثمارها وهي رضى اللَّه تعالى وغفرانه في دار

---

(1)- الحديد (57): 20.

الآخرة واذا كان توجيه هذه الأدوار الخمسة خاطئاً وغير منسجم مع الدين الحنيف فهذا يجعل النبات يابساً بعد أن كان مفعّماً بالطراوة والحياة، كما ويسلب من الانسان شخصيته وأدبه ويجعل منه إنساناً شريراً وحسوداً وحريصاً وظالماً ومتجاوزاً على حقوق الآخرين ويسمح لنفسه أن يرتكب كل فساد وكل موبقة من أجل ارضاء واشباع غريزته ويعرّض نفسه لعذاب الآخرة ولهيب جهنم بفعل صنيعه السيىء.

ان من حق الانسان في هذه الدنيا أن يتمتع بالنّعم والخيرات المادّية، لكن هذا التصرف لابدّ أن يكون قريناً بهداية الباري وارشاد الانبياء والأئمّة عليهم السلام ومقيداً بحبل القناعة التي هي من الفضائل الأخلاقية.

وأما حاجة الانسان إلى الطعام والشراب والملبس والسكن والمركب وتحصيلها عن طريق الكسب والتجارة المشروعة هي حاجة فطرية وطبيعية ويجب على كل انسان- كما ذكرت المعارف الالهية- أن يبذل كل ما في وسعه لتوفير الراحة والأمان لنفسه وأسرته وأهله وأبناء نوعه ولا يتوقف عن متابعة هذه الأمور.

فانّ بذل الجهد من أجل توفير مستلزمات الحياة والاستمتاع بالنعم على قدر الحاجة والانفاق على الآخرين بما يزيد على المؤونة، كل هذا اقتداء بسيرة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وأولياء اللّه رضوان اللّه عليهم.

فمن دون شك أن هذا النمط من الحياة أولًا: يورث نقاء جميع شؤون الحياة ويوفر الأمن والسكينة، وثانياً: يجلب للانسان في الآخرة رضى اللّه وغفرانه، فإنّ الحياة من دون هداية اللّه ودون التشبّع بالثقافة الاسلامية

ستنتهي بالانسان الى الشقاوة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

نظراً إلى أهمية الأولاد في الحياة الانسانية ينبغي للمربين- لاسيّما الآباء والأمّهات- أن يبذلوا كل ما بوسعهم من أجل رعاية هذه الغرسة الحساسة ويستعينوا طيلة هذه المراحل الخمسة بالوعي ومعرفة النظام الجامع الذي يساعد على النمو والتكامل وأن يوفروا لها الجو الهادئ المفعم بالمحبة والتعامل اللطيف ويواظبوا على توظيف القوانين الالهية- الانسانية وأن يعملوا بحسب البرامج العقلائية البنّاءة والأساليب الحكيمة في التربية.

وهذه المراحل الخمسة هي وفقاً لما أتي:

المرحلة الأولى (اللعب)

عبّر القرآن الكريم عن المرحلة الأولى من الحياة باللعب، فالطفل في هذه المرحلة يحب اللعب والتسلية مع الآخرين ويظهر حبه لأنواع الألعاب وشتى أقسام اللعب، ففي أول لقاء مع قرينة في العمر سرعان ما يجلبه إلى اللعب وكأنهما من نفس الأبوين ويغضب إذا حُرم من ذلك ويتحول الغضب إلى عقدة تنعكس على نفسيته اللطيفة.

لعب الطفولة

على المربّين لاسيّما الأبوين أن يتركوا الطفل ليلعب، ذلك أن انجذابه نحو اللعب أمر فطري وطبيعي وهو حقيقة أودعها الخالق في نفسه.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 270

روي عن الامام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«الغُلامُ يَلْعَبُ سَبْعَ سِنِينَ» «1».

فان اللعب كما أسلفنا أمر فطري إلّاأنّه لابدّ من بذل الرقابة على كمّه وكيفه، فيوجّه الطفل في لعبه واختياره للقرين ونوعية أدوات اللعب حتّى تمرّ هذه المرحلة بسلامة وصحّة فيجب أن تنظّم بالشكل الذي تنعكس ايجابياً على نمو شخصية الطفل ولكن إذا أهمل الطفل في اختيار اللعب والقرين والأدوات فسوف تظهر عنده وقاحة وإن كانت نسبتها قليلة بادئ الأمر لكن شيئاً فشيئاً تشتدّ عنده حالة العناد والوقوف في وجه الأبوين والآخرين فيتملص من الاستماع إلى النصيحة لأن طبيعته ميّالة إلى الطغيان والتمرّد.

فيجب أن نحافظ على سلامة أجواء اللعب ونتجنّب عن زيارة الأسر الغير المبالية والغير مهذّبة حتى لا تتهدّم شخصية الأطفال بسبب الارتباط بأطفال هذه الأسر.

تمرّد الأطفال

لأميرالمؤمنين علي عليه السلام مقولة حول النفس الانسانيّة وطبيعتها التمرديّة يقول فيها:

«النَّفْسُ مَجْبُولَةٌ عَلى سُوءِ الأَدَبِ وَالعَبْدُ مَأمُورٌ بِمُلازِمَةِ حُسْنِ الأَدَبِ

---

(1)- الكافى: 6/ 47، باب تأديب الولد، حديث 3؛ تهذيب الأحكام: 8/ 111، باب 5، حديث 29؛ وسائل الشيعة: 17/ 331، باب 105، حديث 22688.

وَالنَّفْسُ تَجرى بِطَبْعِهَا فى مَيْدانِ المخَالَفَةِ وَالعَبْدُ يَجْهَدُ بِرَدِّهَا عَن سُوءِ المطالَبَةِ فَمَتى أطلَقَ عِنانَهَا فَهُوَ شَريكٌ فِي فَسَادِها وَمَنْ أعَانَ نَفْسَهُ فِي هَوى نَفْسِهِ فَقَدْ أشْرَكَ نَفْسَهُ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ» «1».

إن الطفل بسبب رغبته إلى التمرد وارضاء حاجاته الفطرية لا يستطيع أن يهذّب نفسه المتمرّدة ويزيّنها بالخصال الحميدة ولذلك تقع مسؤولية تحديد عمر اللعب واختيار الصديق واختيار أنواع الألعاب واللعب على عاتق الوالدين- طبعاً على قدر طاقاتهم وامكانياتهم- حتى يوفقا في تحليته بالاخلاق الحسنة والخصال الفاضلة فينبغي عليهما أن يتخذا من المنطق والحكمة وسيلة لتربية ابنائهما وتنميتهم ورشدهم.

فتوجيه غريزة الطفل وميله إلى اللعب والصداقة مع أقرانه- في هذه المرحلة- هي مسؤولية إلهية وانسانية قد ألقيت على عاتق الآباء والأمّهات والتكاسل والتقصير في أداء هذه المسؤولية سوف يؤدّيان إلى ضياع الطفل وانحرافه، فتنجم من ذلك خسارة لا يمكن أن تتلافى أبداً.

قصّة وعِبرة

حُكي أنّه قضى حاكم مدينة بالشنق على شاب بسبب أفعاله السيّئة من قتل وسرقة وجرائم اخرى مثلها.

في ساعة تنفيذ الحكم، سمحوا له بأن يوصي أو يطلب ما شاء، فقال لهم: لا أريد منكم شيئاً إلّاأن تحضروا والدتي إلى جنب المشنقة لكي

---

(1)- مشكاة الأنوار: 247، فصل اول؛ مستدرك الوسائل: 11/ 137، باب 1، حديث 12642.

أراها في آخر لحظات حياتي.

ذهب الحراس إلى بيت والدته وأتوا بها إلى جنب المشنقة لترى ولدها قبل الشنق، فقال الولد لأمه: أرجوك في هذه اللحظات الأخيرة أن تضعي لسانك في فمي وتتفضلي علي بذلك! عند ما وضعت الأم لسانها في فم الولد عضّ الولد بقوّة لسان أمّه وترك جرحاً عميقاً على لسانها حتّى وامتلأ فمها من الدم! استنكر الجميع هذا العمل الشنيع فردّ الولد قائلًا:

هذه المشنقة هي حصيلة تربية أمّي لأنها كانت تشجّعني في أيام طفولتي على سرقة البيض وبالتالي أصبحت سارقاً وقاتلًا.

يقول أميرالمؤمنين علي عليه السلام في حكمة له يخاطب بها الانسان:

«فِكْرُكَ يَهْدِيْكَ إلَى الرَّشَادِ» «1»

. هل للأم والأب في هذه الدنيا شيء أثمن وأغلى من الأولاد؟ أوَ ليس المسؤولية الخطيرة والحساسة للوالدين تجاه الطفل تلزمهم أن يفكروا ويتأملوا في توجيهاتهم وارشاداتهم للطفل حتى يختاروا الأساليب الحكيمة والرصينة في تربيتهم؟

فاذا حكم الوالدان التعقل الصحيح والكلام الحكيم في القول والفعل وانتقلت ثمرات ذلك إلى الطفل فبالتأكيد يتحول الطفل مصدراً للخير ونبعاً صافياً للأدب وسوف يكون في المستقبل عنصراً مفيداً لمجتمعه.

---

(1)- غرر الحكم: 63، حديث 777.

المرحلة الثانية (اللهو)

وأما المرحلة الثانية من حياة الانسان فبتعبير القرآن هي مرحلة التلهّي والانشغال.

واضح، أن التلهي والانشغال بالأمور التي تساعد على نمو الانسان ونضجه وتدفع به الى ميادين الخير والكمال هو ما يرتضيه الاسلام ويحث عليه.

فالطفل الذي انتقل من مرحلة اللعب إلى مرحلة اللهو وأخذ يشغل وقته بالشفرة والمقص والورق والألوان ويستعين من فكره ومن الآخرين ليرسم رسوماً وخرائط رائعة ويقطّع هذه الرسوم والخرائط بالمقص ويضعها بدقة وترتيب على ورقة ثانية ليصنع منها بيتاً أو حديقة أو أداة فنية أو سيّارة أو يرتّب قِطَعاً من الأقمشة الملوّنة بالخيط والابرة ويخيط بها فستاناً للعبته ويتلقى على ذلك التشجيع من والديه والناس المحيطين به، ومن خلال ذلك ينمّي قابلياته، فهذا الطفل بالتأكيد يصبح في المستقبل إما مخترعاً أو صانعاً أو مهندساً أو خياطاً فينتفع الناس بعلمه أو فنه.

أوقات الفراغ

ينبغي للمربّين لاسيّما الآباء والأمّهات أن يشجّعوا الطفل على القيام بهذه النشاطات في أوقات فراغه ويلزم أن يوفّروا له الأدوات اللازمة ويهيّؤوا له المكان المناسب ليقوم بنشاطاته من دون تضييق كما يمكن

لهم أن يشتروا منه نتاجه ويدفعوا له الثمن ليشتري به أدواتٍ أخرى.

دونما شك اذا تلهى الطفل في أكثر أوقاته بالقمار بأنواعه والموسيقى المحرّمة والأفلام الاباحية والمسلسلات المخرّبة، وقضى أوقاته مع أطفال منحرفين ومنحطّين وانشغل بقراءة الروايات السيّئة والقصص البوليسية والجنائية والروايات الممزوجة بالأفكار المنحرفة والصور والأشرطة الإباحية فسوف يخسر فكره وعقله وذكاءه مضافاً إلى أنّه قد يتحوّل في المستقبل إلى انسان سيءٍ وفاجر.

يعتقد علماء النفس بأن الأفلام الجنائية والاباحية لها دور كبير في تصاعد منسوب الجريمة والفساد بحيث أن كثيراً من المجرمين اعترفوا أمام المحاكم أن أعمالهم السيئة كانت نتيجة مشاهدة أفلام سينمائية ومسلسلات ذات أهداف فاسدة والتي كانت تعلّم المشاهد الجريمة والخيانة.

العقل دليل الغريزة

بلا ريب كل الملكات النفسانية والغرائز الانسانية لها غاية خاصة ومعينة. ولولا وجود هذه الغرائز لما كان الانسان قادراً على الحياة فاذا فقد يوماً من الأيام الغضب أو شهوة أو الرغبة في المال والجاه والنساء والأولاد و... سوف تصبح له الحياة عبثاً فلا يخطوا خطوة واحدة من أجل البقاء والاستمرار بالحياة.

كما أنّه لا ريب في أن الغرائز تستقيم بالعقل والفكر، فالعقل يدلّ

الانسان إلى حد ما للاستمتاع بهذه الملكات النفسانية والطبيعية، فالغرائز في الانسان بمثابة محرك السيارة التي تولّد القدرة والطاقة والحركة والنشاط في حين أن القوى العقلية في الانسان بمثابة كبّاحة السيارة التي تمنع عن الحركات الخطرة ويحافظ على سلامة السائق وبقاءه.

إن العقل والفهم في الانسان بمثابة الضوء في السيارة الذي يضيء المسير للانسان ويحدّد له الطريق.

يتميّز العقل في حركة روح الانسان بمكانة خاصّة فيجب الاحتراز عن الأسباب التي تعرقل جهاز العقل وتفسد المنظومة الفكرية وتضعف البصيرة، لأنّه لا حياة معنوية ولا مادية في غياب قيادة العقل.

وقد منع الاسلام العوامل التي تفسد العقل حفاظاً على شأن العقل وموقعيته فهو حرّم تعاطي المخدّرات، شرب الخمر، واللهو المخرّب، والقمار، والسهرات الليلية، والانشغالات التي تمنع الانسان عن الرشد والتعالي؛ وبالمقابل أراد من الانسان أن يجمع بين العقل الفطري والعقل الذي يحصل من تجارب الحياة والعِبَر وبتعبير علمي (العقل المدرسي) لينمّي بهذا الثاني عقله الفطري.

فالعلم والدارسة ومطالعة آثار العلماء ومؤلفاتهم والبحث في قوانين الخليقة تؤدّي إلى نضوج العقل والفهم كما أن ممارسة الذنب ومجالسة الطالحين ومشاهدة فعل الموبقات تضعف العقل والفكر وتزيل قبح كثير من الأعمال الشنيعة والسيئة.

الانحرافات الفكرية

إنّ أسوأ الانحرافات هي الانحرافات الفكرية التي تجعل الانسان لا يفرّق بين المعروف والمنكر بشكل صائب، بل أكثر من ذلك فانه بأول أمره الى أن يرى الباطل حقاً والحق باطلًا.

الرواية التالية تشير إلى الانحرافات الفكرية وعدم القدرة على تمييز الحقائق:

«كَيْفَ بِكُمْ إِذَا فَسَدَتْ نِسَاؤُكُمْ، وَفَسَقَ شَبَابُكُمْ وَلَمْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ تَنْهَوا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَقِيلَ لَهُ: وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُول اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَشَرٌّ مِن ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُم إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ المعرُوفِ؟ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسولَ اللَّهِ وَيَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ المعْرُوفَ مُنكَراً وَالمُنْكَرَ مَعْرُوفاً؟!» «1».

إن الفقرة الأخيرة في الرواية تومؤ إلى هذه الحقيقة بأنه سيأتي على الناس يوم تتحول فيه قوة التمييز عندهم فلا يميزوا آنذاك بين المعروف والمنكر وذلك لكثرة الذنوب وانتشار السيئات وتلوث الناس بها وبالرذائل الأخلاقية فتحتلّ موقع الفضائل الاخلاقية في سلوكياتهم.

للأسف، في كثير من العوائل تتوافر أجواء تحثّ على الانحراف والانحطاط فهي عديمة الرقابة والترشيد الصحيح.

فما يتلقاه الأولاد ولاسيّما الأحداث منهم عن طريق المشاهدة

---

(1)- الكافى: 5/ 59، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حديث 14؛ وسائل الشيعة: 16/ 122؛ بحار الأنوار: 97/ 91، باب 1، حديث 82.

والاستماع، ينعكس يقيناً على سلوكهم فكثيراً ما تعتمد سيناريوهات الأفلام وبرامج الفضائيات على الحب والمغازلة أو المطاردات فتكوّن خلفية للانحراف عند الشباب فتياناً وفتيات فتؤدي الى انهيار شخصيتهم وتُذهب عنهم العقل والفكر وتذهلهم فيضلوا الطريق.

واذا أردنا أن نعرف مدى تأثير هذه امكانيات والأجهزة على فكر الانسان وشخصيته يكفي بنا أن نتابع سلوك الأطفال الذين يشاهدون لمرات أفلاماً يسودها العنف والصدام فسنجد أنهم يقلدون في الغالب- وعند أوقات الفراغ- حركات وأفعال أبطال تلك الأفلام ومن هنا يسمّون أنفسهم بأسماء اولئك الأبطال فتراهم في الشارع والبيت والمدرسة يتضاربون باليد والرجل ويلكم بعضهم البعض على رأسه ووجهه بل وفي بعض الأحيان يشتدّ الأمر فينتهي بهم إلى نتائج لا تحمد عقباها.

تقارير مدهشة

قد ورد في بعضه التقارير أن لفيفاً من الأطفال فرّوا من منازلهم فذهبوا إلى الغابات الشمالية حتى يمثلوا دور طرزان كما بدى لهم في الأفلام! قال أحد مدراء المدارس بهذا الصدد بأن تلميذاً من مدرسته كان قد شاهد فلم ال ... وبعدها أخذ يقلّد ما شاهده في الفلم فبدأ يخدع أقرانه في المدرسة من أجل أن يؤسسوا كتلة مهمتها سرقة وسائل التلاميذ الدراسية.

وذكرت صحيفة كيهان «1» أن ولداً في فرنسا قتل طفلًا بعد أن سرقه فكان عمر هذا القاتل أربعة عشر عاماً! أضافت الصحيفة أنّه اعترف بأنه ارتكب هذه الجريمة بعد أن شاهد فلماً يتخلله العنف والقسوة على شاشة التلفاز!! وقد قص ما حدث للحارس قائلًا: إنّني قبل القتل بليال شاهدت برنامجاً من تلفاز باريس وكان الفلم يعرض قصة شاب عمره واحد وعشرون سنة وكان يقتل الناس ليعاقبهم فأردت أن أجرّب طعم الشنق فأخذت ب (امانوئيل) الصغير إلى خارج المدينة بحجة اللعب.

كان (امانوئيل) فرحاناً جداً وكنت أتألّم من فرحته وكان حتّى آخر لحظة يتصور أنّي الاعبه فكان يضحك «2».

وهذه العاقبة السيئة حصيلة اللهو الضار الذي قد يجلب في بعض الحالات خسائر لا تجبر الى الأبد.

ونظراً لهذه الحقائق تتضح أهمية الدور التربوي الذي يقوم به الآباء والأمّهات في المرحلة الثانية من عمر الأطفال، أيمرحلة اللهو والانشغال بالمسليات! فاذا غفلوا عن دورهم التربوي في هذه المرحلة أو كان تعاملهم غير واعٍ فسوف يتمخض من ذلك كوارث كبيرة واضرار فادحة يتحمّل مسؤولياتها الامّهات والآباء أولًا ثم المجتمع والدولة.

---

(1)- العدد 732.

(2)- المربي الأمثل: 59- 66 مع اختصار.

المرحلة الثالثة (الزينة)

إن هذه المرحلة التي تعدّ من أهم مراحل عمر الانسان هي فرصة الشاب بكل جماله ونشاطه فتملأ نفسه نشوة واحساسٌ وتتفجر فيها الأميال والغرائز بحيث تصل إلى ذروتها فتظهر غريزة حب الزينة والميل إلى الجمال في جميع تصرفاته.

ويرغب في هذه المرحلة جميع الشباب ذكوراً واناثاً بأن يقتنوا أجمل حذاء وملبس وبيت وما الى ذلك من أشياء تخصهم فيسعون في كل يوم وكل ساعة ليظهروا بأمل وجه واحلى شعر وافضل هيئة وفي كل لحظة يظهر بمظهر جديد.

تعليم الشباب وتربيتهم

إنّ مسؤولية الآباء والأمّهات وغيرهم من المربّين كالمعلّمين والأساتذة وكل من يتعامل بشكل أو آخر مع شريحة الشباب والأحداث أشد وأصعب بكثير من المسؤولية المراحل السابقة بحيث اذا غفل هؤلاء المربون واجباتهم فسوف يتهدّم بنيان الشاب تحت عواصف الشهوة والفساد.

ومن أروع وأفضل الناس أسوة ومثلًا للمربّين في هذه المرحلة هو الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام فانه عرض أروع الصور التربوية وأصبح أساليب التعامل في رسالته إلى ولده الامام الحسن عليه السلام، فبدأ مشروعه التربوي بتأسيس العواطف والمشاعر الدينية عند ولده إذ قال:

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 280

«وأنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعلِيم كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَتَأوِيلِهِ وَشَرَايِعِ الإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ» «1»

. فإذاً ينبغي للمربين أن يبدءوا بتعليم القرآن الكريم للشباب والاحداث، هذا الكتاب الذي حوى برنامجاً كاملًا للحياة وتضمّن في ثناياه أحسن القوانين ثم يهمّوا بتعليمهم أحكام الشريعة الغراء بحلالها وحرامها فهي الأحكام الالهية التي هي أنفع المعارف للانسان ولكن يجب أن لا يعتمد هذا المنهج التعليمي العنف والتهديد والخشونة، وينبغي أن لا تكون حلقات التعليم طويلة ومملّة لأن هذا النوع من التعامل يضر بعواطف الشباب ومشاعرهم ولا سامح اللّه يجعلهم يكرهون الدين والمتدينين فيلجؤوا إلى ذئاب يتظاهرون بالحب والصداقة والرأفة وبالتالي يخسر هذاالانسان انسانيته بفعل هؤلاء الذئاب بل وقد يتحول هو نفسه إلى ذئب يصيد الآخرين بمظهره الخلاب.

إذاً عند ما يكون التعليم مستنداً إلى الخلق الحسن والوجه البشوش واللسان الطيب وجاذبية عاطفية عالية فسوف تختلط التعاليم بلحم الشاب ودمه وتجعل منه انساناً مؤدباً يتصف بالوقار والرزانة في شخصيته فيصبح نبعاً صافياً للكمال والقيم الانسانية.

قال الامام الصادق عليه السلام في هذا المجال:

«مَنْ قَرَأَ القُرآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤمِنٌ اختَلَطَ القُرآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» «2».

---

(1)- نهج البلاغة: 394، نامه 31؛ بحار الأنوار: 74/ 203، باب 8، حديث 1.

(2)- الكافى: 2/ 603، باب فضل حامل القرآن، حديث 4؛ وسائل الشيعة: 6/ 177، باب 6، حديث 7670؛ بحار الأنوار: 89/ 187، باب 20، حديث 9.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 281

وقال عليه السلام في رواية أخرى:

«... وَيَتَعَلَّمُ الكِتَابَ سَبْعَ سِنِيْنَ وَيَتَعَلَّمُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ سَبْعَ سِنِيْنَ» «1».

فالامام الصادق عليه السلام يحذر من الضغط على الشباب في تعليم القرآن والحلال والحرام والاقتصار على فترة زمنية مكثّفة من أجل تعليمهم هذه المعارف.

الخطر بالمرصاد

يحذّر الامام الصادق عليه السلام في الرواية الآتية المربين من مخاطر الثقافات المنحرفة والفاسدة التي قد تؤثر على الشباب والأحداث وتستغل مشاعرهم وعواطفهم فيقول:

«بَادِرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَكُمْ إِلَيْهِمُ المُرْجِئَةُ» «2».

التأدّب

يشير أميرالمؤمنين علي عليه السلام في الرواية الآتية إلى ثمرة ومنفعة التربية الصحيحة والأدب المتقن حيث يقول:

«من كَلفَ بِالْأَدَبِ قَلَّتْ مَسَاوِيْهِ» «3».

وعليه عند ما يتلقّى الشاب من والديه أو من مربٍ واعٍ ومخلص التربية

---

(1)- الكافى: 6/ 47، باب تأديب الولد، حديث 3؛ وسائل الشيعة: 17/ 331، باب 105، حديث 22688.

(2)- الكافى: 6/ 47، باب تأديب الولد، حديث 5.

(3)- غرر الحكم: 247، حديث 5091.

الصحيحة سيكون مصدر أمن وسكينة لأبويه وللآخرين ويكون للمجتمع وسيلة خير وبركة.

وأمّا الآباء والأمّهات الذين غفلوا عن تأديب أولادهم واكتفوا بشراء الألبسة وتوفير الطعام فبالتأكيد يتجرّعون في المستقبل آلام هذه الغفلة ويعيشون الاضطراب والقلق في حياتهم كما يقول الامام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ خَيْرَ مَا وَرَّثَ الآبَاءُ لِأَبْنَائِهِم أَلْأَدَبُ لَاالمالُ» «1».

التربية في آخر الزمان

لقد أخبرنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله في رواية عن مستقبل أمّته وشكى من غفلة الآباء وإهمالهم تربية الأطفال وقال:

«وَيْلٌ لِأَوْلَادِ آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ آبائِهِمْ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ آبَائِهِمُ المشرِكِينَ؟ فَقَالَ: لَامِنْ آبَائِهِمُ الْمُؤمِنِينَ، لَايُعَلِّمُونَهُمْ شَيْئاً مِنَ الفَرَائِضِ وَإِذَا تَعَلَّمُوا أَوْلَادُهُمْ مَنَعُوهُمْ وَرَضُوا عَنْهُمْ بِعَرَضٍ يَسِيرٍ مِنَ الدُّنْيَا فَأَنَا مِنْهُمْ بَرِئٌ وَهُمْ مِنِّى بُرَآءٌ» «2».

فترة التربية

يقول أميرالمؤمنين علي عليه السلام الذي نهض بأعباء مسؤولية تربية ولده

---

(1)- الكافى: 8/ 150، حديث من ولد فى الاسلام، حديث 132.

(2)- جامع الأخبار: 106، فصل 2؛ مستدرك الوسائل 15/ 164، باب 59، حديث 17871 (باكمى اختلاف).

كاملة- يقول في رسالته إلى الامام الحسن عليه السلام:

«فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ» «1».

يحذّر الامام في هذه الرسالة الآباء والأمّهات والمربّين من التقصير تجاه تربية الشباب ومن عدم تعليم القرآن والمعارف الالهية وثقافة أهل البيت عليهم السلام الأصيلة لهم لأنه سوف يقسو قلب الشاب وبالتالي يبتلي بالثقافات الشيطانية وينشغل بالأمور الباطلة.

حق الولد

يقول الامام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

«وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَنَّكَ مَسؤولٌ عَمَّا وَلَّيْتَهُ مِنْ حُسْنِ الأَدَبِ وَالدَّلَالَةِ عَلى رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالمعُونَةِ لَهُ عَلى طَاعَتِهِ فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مُثَابٌ عَلى الإِحْسَانِ إِلَيْهِ مُعَاقَبٌ عَلَى الإِسَاءَةِ إِلَيْهِ» «2».

مسؤولية الشاب تجاه غفلة الوالدين

يوصي أميرالمؤمنين علي عليه السلام الشباب الذين أهملوا من قبل والديهم ومربيهم بوصية مهمّة ينبغي أن يلتفت إليها الشباب ويعيرونها اهتماماً

---

(1)- نهج البلاغة: 391، نامه 31؛ وسائل الشيعة: 21/ 478، باب 84، حديث 27635؛ بحار الأنوار: 74/ 220، باب 8، حديث 2.

(2)- من لا يحضره الفقيه: 2/ 621، باب الحقوق، حديث 3214؛ مكارم الأخلاق: 421، فصل 1؛ بحار الأنوار: 71/ 6، باب 1، حديث 1.

بالغاً ولا يعذروا أنفسهم في التحلي بالأدب والخلق الكريم بسبب إهمال وتساهل الوالدين ولا يسقطوا التكليف عن أنفسهم.

يقول الامام عليه السلام في هذه الوصية:

«يَا مَعْشَرَ الفِتيَانِ حَصِّنُوا أَعرَاضَكُمْ بِالْأَدَبِ وَدِينَكُمْ بِالعِلْمِ» «1».

علاج حب الزينة

إن على الآباء والأمّهات أن لا يعارضوا صفة حب الجمال والزينة عند فتيانهم بل يحسن أن ينصحوهم بلسان طيب وأخلاق حميدة ومنطق متقن كي لا يكون حبهم للجمال والزينة سبباً في ابتعادهم عن الروحانية وتحصيل المعرفة والانشغال بأمور عبثية والاندفاع نحو الشهوات والارتباط بأهل الفجور ومرتكبي الموبقات.

فيجب على الآباء والأمّهات والمربين أن يشجعوا الشباب في هذا العمر - الذي تبلغ فيه العواطف والمشاعر والغرائز والأميال ذروتها - على تزيين القلب والباطن، ثمّ يوفروا لهم أرضية تساعدهم على التمسك بالدين وتحصيل العلم والمعرفة والقيام ببعض الأعمال الناقصة كالزراعة والصناعة والتجارة والفنون النافعة كما يجب عليهم في هذا العمر - الذي يتلهف الشاب في بناء العلاقات مع أقرانه، فيبحث، شئنا أم أبينا، عن الصديق بين أقربائه وأقرانه وفي المدرسة والشارع - أن يرشدوه إلى بناء علاقة طيبة وأن يقتني صديقاً صالحاً، ويوضحوا له أن من بين أصدقائه وأقرانه ورفقائه من هو سبب في سعادته كما أن هناك من هو سبب في

---

(1)- تاريخ يعقوبى: 152.

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 285

شقاءه، فلابدّ أن يحذر ويحتاط في علاقاته، حتى اذا التقى بالذين يسوقونه الى غير سبيل الهدى والفضيلة، يطردهم عن نفسه ويقطع علاقته بهم.

المرحلة الرابعة (التفاخر)

وأمّا في هذه المرحلة التي عبّر عنها القرآن بمرحلة التباهي والتفاخر على الآخرين، فالمطلوب من الانسان أن يلتفت إلى أن التباهي بأمور فانية والتفاخر على الآخرين بأمور اعتبارية وغير حقيقية كالحسب والنسب والجاه والشهادات العلمية التي لا تفيد الانسان أكثر من كسب مال الدنيا؛ هي من الأخلاق السيئة البعيدة عن الخلق الانساني لأنّها كبر وغرور وفيها أذى للآخرين.

مرض حبّ الجاه

قد نوّه أميرالمؤمنين عليه السلام في رسالته الخالدة إلى مالك الأشتر على أن ألقوه والسلطة آلة لنصرة الناس ورأس مال لخدمة الأمة ومفتاح بيد صاحبها ليفتح به مشاكل الناس وعقدهم.

فاذا أصبحت القوة وسيلة للغرور والكبر سوف تنقلب أخلاق الانسان إلى أخلاق فرعونية تلوّث أخلاق الناس المحيطين به أيضاً ثم شيئاً فشيئاً تكوّن حكومة مستبدة ويسودها الظلم والجور والاضطهاد.

وقد كتب أميرالمؤمنين علي عليه السلام في رسالته إلى أشعث بن قيس عن السلطة بأنها أمانة من اللّه في عنق الانسان فيجب أن تتخذ سبيلًا لخدمة عباد اللّه فقال له:

نظام العشره فى المنظور الاسلامى، ص: 286

«وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ» «1».

اذن لا ينبغي أن يكون المال- الذي هو عرضة للفناء- والشهادات العلمية- التي تشير إلى مرتبة في العلم والمعرفة- سبباً للغرور والتفاخر بل أن جميع هذه النعم هي فرصة ذهبية بيد أصحابها لكي توظف في خدمة العباد والبلاد.

التفاخر الجائز

لا يجوز للانسان أن يتفاخر أو يتباهى إلا بتقواه واخلاصه في العبادة التي وفقه اللّه اليها.

يشير أميرالمؤمنين علي عليه السلام إلى هذهالمعنى في قول حكيم له، حيث يقول:

«لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ وَلا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلّا لِرَجُلَيْنِ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذَنْباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَلايَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّل» «2»

. فليس من الكرامة والمروءة أن يتباهى أو يتكبر الفرد بمتلكاته المادية وثرواته الظاهرية على الآخرين لاسيّما على من حُرم منها.

المرحلة الخامسة (التكاثر)

يعبّر القرآن عن هذه المرحلة بمرحلة حب التكاثر بالأموال والأولاد

---

(1)- نهج البلاغة نامه پنجم: 578.

(2)- نهج البلاغة: 484 حكمت 94؛ بحار الأنوار: 66/ 409، باب 38، حديث 121.

فاذا لم تقيد هذه الرغبة بالايمان والتقوى وأخذ العِبَر من حياة الآخرين فدونما تردد يتحول الفرد إلى قارون مستكبر حريص يوصف بالبخل وبذا يجلب الانسان الى نفسه شقاوة الدنيا وعذاب الآخرة.

واذا أراد الانسان أن يؤمّن سعادته بالمال والأولاد فعليه أن يستعين في كسب المال وصرفه وإنفاقه بالهداية الربانية والتوجيهات الإلهية، كما يجب أن يستعين في تربية أولاده على الفضيلة والخير والكرامةبنور الهداية والارشادات الالهية الجلية.

إذاً، لو كانت تربية الانسان في هذه المراحل الخمسة قائمة على أساس الهداية الالهية وتوجيهات المرشد المخلص الشفيق فسوف يرى غفران اللّه ورضاه في الآخرة، وأما اذا أهمل الفرد وأصبح متمرداً فستكون بداية كزرع أخضر يعجب الانسان عند النظر إليه، ونهايته كالاعشاب الصفراء اليابسة لا تعالج إلّابالاحراق كما أشار تعالى في هذه الآية:

[اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٌ وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ] «1».

انتهت المراجعة الأولى في أوّل أذان الظهر من يوم الأربعاء

16/ 10/ 1383 هـ. ش

حسين أنصاريان

---

(1)- حدید (57): 20.